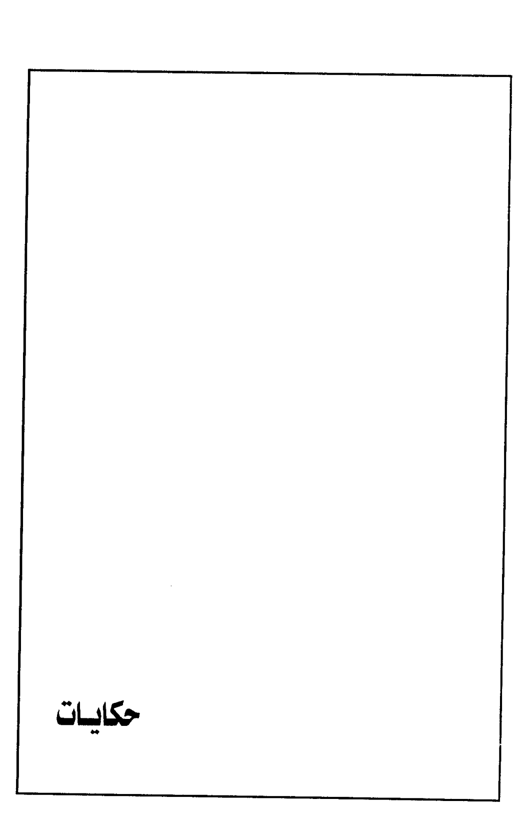
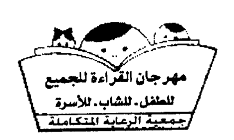

حكايـات

حكايـات

زينب صادق



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الإبداعية)

حكايات

زينب صادق

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: **محمود الهندى**
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان



فَهِمت..

نسمة هواء رقيقة معطرة برائحة البحر أستنشقها أفتح رئتى على مصراعيهما وأستنشقها بعمق.

أستمتع بلحظات مرورها على قبل أن تذهب. لأنى أعرف أنها ستذهب لأنى لم أعد أحلم ببقاء النسمات الحلوة.

هى تأتى أحياناً وتذهب. علمتنى الحياة هذا..

وقد فهمت.

وردة جميلة رائحتها حلوة. أشم رائحتها بعمق. أستمتع بمنظرها الجميل أيام وجودها. قبل أن تذبل.

لأنى أعرف إنها ستذبل. علمتنى الحياة هذا..

وقد فهمت.

هذه الغبطة التى يستشعرها القلب أحيانا.

أتركها تغمرنى، بلا تفكير ماذا بعد..

أفرح بهذه الغبطة. أستمتع بسريانها فى بدنى.

تكاد تحملنى من على الأرض، فأقفز فى رقصة منتشية قبل أن تذهب هذه الغبطة، لأنى لم أعد أحلم ببقاء هذه الغبطة هى تأتى أحياناً وتذهب.

علمتنى الحياة هذا. وقد فهمت.

أعطانى لقب «حبيبتى». لابد للأذن أن تطرب.

لكن الألقاب زائلة. فأرجو أن تنادينى باسمى.

ربما يوما يلغون الألقاب، وتكون قد نسيت إسمى. علمتنى الحياة هذا.. وقد فهمت.

عندما كنت صغيرة كانت تستهوينى عبارة «ضع يدك فى يدى ونسير إلى الإمام». وكلما أمسكت بيدى يد وأستشعر فى ضمتها الأمل، وأطير من الفرحة أجدنى أمسكت بهواء.

علمتنى الحياة أن أمسك بيدى يدى، فالعبارة التى كانت تروقنى لها سحر النشوة الوقتية.

وقد فهمت.

علمتنى الحياة كثيرا وفهمت. ولأنى فهمت.

فشعور الإحباط يسحبنى، لكنه لا يسحبنى بشدة، لأنى أيضا فهمت أن لمحـــة الأمل لايصح أن تكون شـــديدة الإرتفـاع ولحظة الإحـــبــاط لايصح أن تكون شديدة الإنخفاض..

مليكى

«شعرت بغبطة مفاجئة، كأنى سألقاه فى الغد، كأنى سأسمع منه إنه جاء وإننى سأذهب إليه، لحظة احتوانى هذا الشعور بالغبطة. يا مليكى افتقدتك، أتخيل نفسى جالسة أمامك، اتحدث أحاديث ذكية، تخرج من أفكارى الأحاديث الذكية لأن ما يعجبك فى المرأة الذكاء، فأحاول أن أنال المزيد من اعجابك.

أتخيل نفسى جالسة عند قدميك امسحهما بيدى كما تفعل المرأة فى الأفلام الهندية، وأقول لك يا مليكى يأسرنى نبلك، وأقول للعالم هذا الرجل النبيل يحبنى واحبه.

يا مليكى تأخرت عن موعدك كثيرا، تركتنى طويلا، استرجع نظرتك المعجبة المحبة، وضمتك الحنونة المحبة، وغضبتك الحزينة المحبة، وكلماتك الرقيقة المحبة، وتصرفاتك النبيلة المحبة.

يا مليكى انتظرك، ليكن هذا الشعور بالغبطة الذى اعترانى لحظة حقيقيا، وتأتى فى الغد أو.. فى الأيام المقبلة القريبة، اتخيل نفسى جالسة عند قدميك امسحهما برأسى، ستقول على نساء العالم المناديات بتحرر المرأة إننى متخلفة، وربما تبتسم بعض النساء ويقلن إننى أحب حقيقة، وربما يقلن إننى جننت، فلم أعد أعرف موضع رأسى من قدمى، أريد أن أعطيك يا مليكى ما لم تعطه امرأة لك. ما لم تفعله امرأة لك، لابد أن تأتى وأنا فى هذه الحالة العاطفية».

ومرت السنون على مناجاتها المتكررة لمليكها ولم يأت، لم يعد من سفره البعيد، وسمعت عنه الكثير خلال السنين، إنه زاحم «دون جوانات» العالم، ونافس «مافيا» رجال الأعمال، وصاحب الصعاليك واللصوص، وحارب طواحين الهواء، ولم تصدق أن يصبح الرجل النبيل مليكها على هذه الصورة، بالأمل انتظرته، باليأس تناسته، بالمنطق ابتعدت عنه، وبالخيال ضمته، إلى أن جاء من يخبرها أخيراً أن مليكها عاد، وقد تغير كثيرا، فقالت مهما تغير فهو لن يتغير فى عينيها، ومهما تغيرت فلن تتغير فى عينيه، علمت إنه يعيش فى قصر على شاطىء بحر فى وطنها، حزمت حقيبتها وشوقها وعزمها الا تسمح له أن يتركها مرة أخرى.. وجدته جالسا فى مكان خال على الشاطىء ينظر إلى البحر.. فى هذه اللحظات الصامتة قبل الغروب اقتربت منه، ابتسمت له، لم يرد على ابتسامتها، نادته، نظر تجاهها ولم يرد على ندائها. سألته ألم يعرفها؟! هز رأسه نافيا، اقتربت أكثر، قالت: أنا. وصاح رجل وهو يجرى نحوها شاهراً مسدسه: «ماذا تريدين يا امرأة»؟

وسحبها من يدها بعيدا عنه.. قالت: «أنا لست أية امرأة، أنا حبيبته التى انتظرته سنين». قال إنه لازمه سنين طويلة كحارس خاص وصديق لم يسمع منه أن له حبيبة تنتظره! قالت بأسى: ربما لم يرد أن تكون قصتهما على كل لسان.. وسألته: ماذا حدث له؟.. قال: «كما ترين».. سألته عن الأمل.. هز رأسه بأسى.. وقال مواسيا إنها ضيعت عمرها فى انتظار وَهْم كبير.

ونظرت إلى مليكها، وجدته يغطس مع قرص الشمس فى البحر، لم تنزعج لرؤيتها، وهزت يدها يمينا ويسارا بإشارات الوداع.

كلما هدأت الجراح..

- عرفناه ذا خلق كريم، ومحبوبا.. لماذا لم ترتبطي به؟!

- بعد أن قال أهله أن زواجي منه على جثتهم وأغروه بأنثى صارخة الجمال وانجذب لها؟!

- وعاد إليك نادما طالبا الصفح وعودة الحب لماذا لم تستجيبي له؟!

- خفت.

- وعرف أهله مقدار حبك له، ومقدار حبه لك. وإنك لم تسعى لماله ومركزه بل لحبك له، لمذا لم تسامحيهم وتعودين له؟!

- خفت.

- وأقسم لك أنه كان متهورا عندما فتنته الأخرى ثم خانته، أقسم لك أنه لن يعود إلى مغامراته الخائبة، ولا إلى نصائح أهله القديمة، وإن كانوا قد قلبوا نصائحهم في البعد عنك بالاقتراب منك، لماذا لم

تصدقيه؟!

- خفت.

عرض عليك تحقيق أحلامكما القديمة، وكل ما تطلبينه، لماذا رفضت؟!

- خفت،

- من أى شيء الخوف؟!

- خفت من نفسى عليه، بقدر ما فرحت بمحاولة عودته لى، بتودده، خفت من نفسى عليه، بقدر الحب الذى ما زال فى قلبى له، بقدر حاجتى له، خفت من نفسى عليه، خفت أن أنتقم منه، خفت أن يتحرك الجرح فأتألم بذكرى صدمة الفراق لتفضيله أخرى علىّ، فأنتقم منه، خفت أن يتحرك الجرح بذكرى شعورى بالهوان من نظرة الناس إلىّ فأنتقم منه.

- إنت واعية لحالة الانتقام فلن تنتقمى منه، خسارة ضياع هذا الحب.

- بدون وعى يمكن أن أنتقم وتتغلب الكراهية على الحب.

- خوفك أوهام وارتباطك به يبدد شعورك بالألم القديم والجرح، جربت الحب بعيدا عنه، وجرب الحب بعيدا عنك، ولم تجدا ما كان بينكما، هو اعترف.. لماذا عنادك؟!

- هل لابد من خيانة الحبيبة ليعترف الحبيب بعد سنين طويلة بحبها له؟! أنا لم أخنه.

ـ هذه فرصتك لإعادة السعادة إلى حياتك.

ـ السعادة لا تعود كما كانت من قبل، كانت خالصة بدون منغصات المرارة والألم والجرح.

ـ فكرى فى الأمر.

ـ فكرت كثيرا.. وكلما هدأت الجراح أجد مايكأ الجراح.

أحلام قارىء الطالع

منذ عشر سنوات عندما كانت فى العشرين من عمرها، قال لها قارىء طالع بعد أن أطلع على أرقام برجها أنها سترتبط بشاب سيأتى من مكان بعيد، وسيكون لديها بيت يتحدث عنه الناس، وهناك مستقبل ساخن ينتظرها. ولما سألته ماذا يعنى بمستقبل ساخن؟ قال لها أن أحداثاً عظيمة ستكون فى حياتها.. مرت سنة وسنتان ولم يحضر الغائب، ففكرت لماذا لا تذهب إلى المطار وتنتظره!

ولأن بعض الفتيات ينشغلن فى شق طريق عملهن المهنى فيتأخر زواجهن، أو بسبب سوء الأحوال المادية لأسرهن. أو بسبب انتظارهن تحقيق حلم محدد، فقد أتمت الثلاثين أول هذا الصيف ولم تتزوج. وكانت من وقت لآخر خلال العشر سنوات تتذكر حديث قارىء الطالع. وتواسى نفسها أنها لم تتزوج لأن نصيبها لم يأت بعد من الخارج.

وأخيراً جاء الشاب من المكان البعيد، لكنه لم يأت من أوروبا أو أمريكا، جاء من أقصى بلاد صعيد مصر حيث كان يعمل طبيبا. جاء ليستقر في العاصمة ويزاول عمله فيها ويبحث عن عروس قاهرية. تعرفت عليه عند صديقة لها. أعجبه مظهرها وعملها وعمرها المناسب له. وتقدم لخطبتها على أن يتعارفا أكثر في فترة الخطوبة. ويتم زواجهما قبل أن ينتهي الصيف.

أخيراً تحققت نبوءة قارىء الطالع الأولى فها هو الشاب الذى كانت تنتظره جاء لتستكين رأسها على صدره، وتستكين حياتها معه في هذه الفيللا الجميلة على أطراف القاهرة، وتطل على مزارع جميلة، وفي الأفق تظهر الأهرامات بعظمتها.

عندما صحبها لمشاهدة الفيللا كانت فرحتها عارمة فهي تشتاق للسكن خارج القاهرة، لكن هناك مشكلة لابد أن يحلها مع إخوته وإخواته الستة، فقد كانوا يؤجرون هذا الإرث مفروشاً طوال السنين الماضية لأجانب يعشقون هذه المنطقة، وهذا العام لم تؤجر الفيللا لأحد فتركوه يعيش فيها إلى أن يجد مسكناً، فعرض على إخوته وأخواته أن يدفع إيجار الفيللا ويعيش فيها مع عروسه على أن يخفضوا له الإيجار خصوصاً أنه في السنين الماضية لم يطالب بنصيبه في إيجارها، فلم يكن يحتاجه. اقترح أحدهم بيع البيت والأرض ليستفيدوا كلهم، فقد اتفقوا من زمن على ألا يحتل واحد منهم فقط هذا الإرث.

وافقوا جميعاً لكن الشاب اعترض، فهو يريد أن يستخدم نصف البيت لعيادته الطبية، وسيزيد من الإيجار عندما يكسب منها، وربما بعد عدة

سنوات يشترى هو المكان. وأيدت خطيبته اقتراحه، فقد عشقت المكان والبيت وتصاعدت أحلامها فى إصلاحه وتأثيثه.

لم يتعاطف الإخوة والإخوات مع خطيبة أخيهم، فهى لم تعجبهم أصلا. وربما تتآمر معه فى الاستيلاء على هذا الإرث، ولن يستفيدوا شيئا.

اشتكى الشاب لاقاربه وطلب من الكبار أن يحلوا هذه المشكلة.

وهكذا تحققت لها النبوءة الثانية لقارىء الطالع،و إنه سيكون لديها بيت يتحدث عنه الناس!

أخبرت خطيبها أنها ستتنازل عن أحلامها وليوافق على البيع وحل المشكلة، لكنه بعناد رفض وظلت المشكلة قائمة.

فى تلك الشهور الماضية بدأت العلاقة بينها وبينه تفتر، فقد ظهرت اختلافات شديدة فى طباع كل منهما، وبدأت مشاحنات عدم التوافق تأخذ طريقها إلى أن جاء شهر أغسطس، ولم يستقرا على مكان لسكنهما ولم يجهزا شيئا، وبدلا من أن يخبرها بموعد عقد قرانهما أخبرها إن إخوته انتهزوا فرصة غيابه القصير فى الإسكندرية واحرقوا البيت حتى أصبح حطاما ليبيعوه أرضاً ويضطر أن يوافقهم على البيع، فقد زعموا أنه نسى أن يغلق جهاز تكييف الهواء قبل سفره فحدث ماس كهربائى كان سببا فى الحريق، وأقسم إن هذا لم يحدث!

إبتسمت بمرارة، وهكذا تحققت نبوءة قارىء الطالع الثالثة، وهى المستقبل الساخن الذى ينتظرها، فقد أكلت النار بسخونتها البيت

والأحلام، وكانت العلاقة بينها وبين خطيبها قد توترت تماماً فلم يعد مفر من الفراق.. وهكذا خلعت خاتم خطوبتها..!!

الحريق

بعد حريق ليلة الأمس الذى التهم نصف محتويات المخزن، خافت صاحبة المصنع أن يشب حريق آخر بين العاملين إذا همس الحارس الذى هرع إلى بيتها بما شاهده. خافت من حريق الألسنة التى يمكن أن تلسعها وتحرقها وتذهب هيبتها واحترامها.. كان والدها صاحب هذا المصنع وقد دخل فى زمرة التأميمات فى الستينيات فأصيب الرجل بصدمة أقعدته بمرض وأخرجته من الحياة وكان مديناً. كانت هى البنت الكبرى فتركت دراستها الجامعية لتعمل وترعى أمها وشقيقها. أشفق عليها المسئولون عن المصنع فى ذلك الوقت واسندوا إليها وظيفة. عملت باجتهاد وصمت وتخرج شقيقاها فى الجامعة.

بعد سنوات طويلة عاد المصنع إليهم. اقترح شقيقاها بيعه، لكنها تعلمت خلال السنين كل شىء عن المصنع واحبته فقررت إدارته. هى

بمقاييس الجمال ليست جميلة، وطوال السنين لم يلتفت رجل إليها. لقد كانت منسية مثل سلطنة فقيرة وفجأة ظهر فى أرضها البترول فالتفت الناس إليها. وخطبوا ودها وطمعوا فى ثرائها، لكنها قاست كثيرا من الحاجة والتجاهل فرفضت هؤلاء الطامعين، واحد فقط من العاملين فى المصنع خفق قلبها المحروم له، رجل فى الأربعينيات من عمره، يقترب من عمرها متزوج وله أسرة. ربما فى أول الأمر كان تودده لها لينال عملا أكبر، لكنه اكتشف فيها صفات جميلة لأنثى متعطشة للحب، صفات لم تبد عليها طوال سنى عملها الجادة.

أحبها حقيقة واحبته، فهو أول رجل يرى فيها جمالا، وبدلا من همسات الحب التى يختلسانها فى زياراته اليومية لمكتبها، وبدلا من تساؤلات العاملين لماذ ا هدا الشخص تحرص على رؤيته يوميا، لماذا لا يتزوجها؟!. هكذا قالت له، ووافق على الفور، وأهم شروطها للزواج أن يظل سريا، لم يكن زواجا عرفيا، لكنه سرى. .اعترض شقيقاها، لكن كان لها ما أرادت واشترت هى الشقة واثثتها، وأصبحت تنعم بساعات من الحب يومين أو أكثر فى الأسبوع، وأحيانا يبيت معها بحجج يقولها لزوجته، وكثيرا ما يبقى معها إلى ساعة متأخرة من الليل. فى هذه الساعات تغلق رنين التليفون وتنزل من مقعدها فوق العالم لتجلس تحت قدميه، وقد عرف العاملون أنها استقلت فى بيت وحدها وهذا من حقها، لم يشك أحد فى سر هذا الإستقلال، وبالرغم من أنها أعلنت عن عنوانها الجديد ورقم تليفونها إلا أنهم لا يجرؤون على زيارتها بدون موعد.

بالأمس عندما شب الحريق فى المخزن كان زوجها عندها والتليفون مغلقاً، وكان لابد أن تعلم. أخذ أحد الحراس عنوانها وهرع إلى بيتها بعد منتصف الليل، أولا لم تستجب لرنين جرس الباب، ثم قلقت. من خلال العين السحرية فى الباب وجدت الحارس ففتحت، وأخبرها بفزع عن الحريق وأنهم اتصلوا بالمطافىء قلق الزوج من صوت الرجل الذى لم يتبينه ونسى تعاليم اختفائه وخرج من حجرة النوم بالبيجاما، عندما التقت نظراته بنظرات الحارس اختفى، حاولت أن تتماسك وقالت للحارس كلمات لم يسمع منها سوى انها ستلحق به.

اعتذر لها زوجها على ما بدر منه، فاندفاعه كان خوفا عليها. لم تؤنبه، وسألته ألا يرد على أى سؤال وأنها ستتصرف. بعد اطمئنانها على إخماد الحريق، عادت إلى بيتها وظلت مستيقظة، هل تعلن زواجها للعاملين؟ هل تطلق حبيبها فالعصمة فى يدها؟ إذا هى أعلنت الزواج ربما الرجل يستغل مركزه المعلن فى التعامل مع العاملين، ويتدخل فى عملها، أو تتعرض لإهانات من زوجته تفقدها هيبتها، أو .. ربما تضطر أن ترفده وهو قد أصبح من العاملين الذين تثق فيهم وتعتمد عليهم، وإذا طلقته، هل ستعيش بدون ونيس وحبيب؟!. مع طلوع النهار اهتدت إلى فكرة طلبت عمل اجتماع مع العاملين، وعند دخولها إلى المصنع طلبت من الحارس الذى اكتشف سرها أن يحضر الاجتماع. اشفق العاملون عليها من منظرها المجهد. وأسوها. اقترح بعضهم التبرع بمرتب هذا الشهر، رفضت، شكرتهم وخصت بالشكر الحارس الذى هرع إلى بيتها لأن تليفونها كان معطلا، وزميلهم الذى يسكن فى مكان قريب من

المصنع وشاهد ألسنة النار ولم يستطع الاتصال بها بسبب مشكلة التليفون فهرع إلى بيتها بالبيجاما.

وخصصت مكافأت مالية للعاملين الذين ساهموا فى إخماد الحريق، وللرجلين اللذين هرعا إلى بيتها صفقوا لكرم صاحبة المصنع، لكن بعضهم لم يصدق حكاية الموظف الذى هرع إلى بيتها بالبيجاما!.

المرأة التى.. لن أنساها

ثلاثة رجال.. اثنان التقيا بالصدفة أثناء حجزهما لرحلة إلى مرسى مطروح فى مقر شركة سياحية بالقاهرة. ونزلا مع أسرتيهما فى فندق واحد، والثالث التقيا به على شاطىء، صدفة جميلة أن يلتقيا بصديقهما القديم الذى يذهب إلى هذا الشاطىء الساحر منذ عدة سنوات مع أسرته، كانوا أصدقاء وقت الدراسة الجامعية فى كلية التجارة وفرقهم العمل، كل فى مكان، وخلال السنين الطويلة كانت لقاءاتهم أحياناً بحكم تبادل خبرات العمل وأحياناً بتحديد موعد، وتباعدت لقاءاتهم إلى أن جاءت هذه الصدفة وجمعتهم فى هذه المدينة، اتفقوا على اللقاء وقت الغروب فى كازينو على الشاطىء.

قال الأول - «هذا الصباح استمعت من إذاعة أجنبية إلى تسجيل لأغان قديمة جميلة. كانت من مميزات أواخر الخمسينيات وأوائل

الستينيات، مثل.. ضع رأسك على كتفى.. و.. إنت قدرى وكل شىء لى.. ذكرتنى بفترة رومانسية فى حياتنا، حيث كانت تلك الأغانى الهادئة الواضحة، وكنا نرقص على أنغامها فى كازينو جميل على شاطىء النيل يناسب دخولنا الصغيرة، وكانت الحياة الاجتماعية هادئة والمستقبل مشرقا للجميع، وتذكرت الفتاة التى أحببتها فى ذلك الوقت، امرأة لن أنساها. كانت تدرس فى كلية الآداب، جميلة مليئة بالحيوية والآمال، وكان يميزها عينان واسعتان، لم تسمح لى الظروف بالاقتران بها، كانت طموحة جداً ولم ترد الزواج المبكر، خافت على مستقبلها العملى، وفرقتنا السنون».

قال الثانى «فى حياة كل منا امرأة لن ينساها. وهذه المرأة تعرفت عليها فى الشركة التى عملت بها بعد تخرجى، كانت تعمل فى قسم العلاقات العامة خريجة كلية الآداب. تعرفت عليها فى منتصف الستينيات وأحببتها منذ وقعت عيناى عليها، وكان يميزها عينان واسعتان ووجه اسمر جميل، كانت مليئة بالحيوية، وشعلة نشاط فى عملها، تقربت إليها ونشأت بيننا قصة حب قصيرة، وقتها كان والدى يلح على فى الزواج من إحدى قريباتى، وكنت أقاوم هذا الزواج لارتبط بالتى أحببتها حقيقة. أعلنت لى يوما أنها استقالت من الشركة لتعمل فى شركة أكبر بواسطة كبيرة من أحد رجال ذلك العصر. تباعدت لقاءاتنا وفهمت تغيرها فتزوجت من قريبتى وسافرت للعمل بالخارج.. إنها امرأة لن أنساها».

قال الثالث «يبدو أن المرأة التى لن ننساها نحن الثالثة تشترك فى أوصاف واحدة. فقد عرفت هذه المرأة فى منتصف السبعينيات سمراء وعيناها واسعتان، طويلة القامة، تعرفت عليها عند إحدى قريباتى على شاطىء المعمورة، وكان شاطئا جديداً جميلاً ونظيفاً، وقضينا ذلك الصيف معا.. لما شاهدت قريبتى تعلقى بها نصحتنى أن أبتعد عنها لأنها مخطوبة لدبلوماسى فى الخارجية، وأنها مترددة فى قبول الزواج، وكانت تقضى أجازة ذلك الصيف بعيداً عن الرجل لتفكر بحرية، لما سألتها عن خطبتها لم تنكر، ولما أعربت لها عن حبى، احترمت إعجابى بها وفهمت أن حيرتها لم تكن بسبب عدم إعجابها بالخطيب، لكن بسبب ضرورة استغنائها عن طموحها العملى للسفر مع زوجها. وفى نفس الوقت كانت مسألة السفر لبلاد العالم تغريها، بعد ذلك الصيف اختفت من حياتى وعلمت من قريبتى إنها تزوجت من الدبلوماسى وسافرت، بعدها تزوجت... إنها امرأة لن أنساها.

تبادل الرجال الثلاثة النظرات المتسائلة، فهل هى امرأة واحدة أحبوها هم الثلاثة فى أوقات مختلفة من حياتهم أم أن المرأة التى لن ينسوها ثلاث نساء متشابهات؟!. تردد أحدهم فى سؤال الاثنين الآخرين عن اسم هذه المرأة، وتردد آخر فى السؤال عن وصف تفصيل لشكل هذه المرأة، وشعر الثالث بالتردد الصامت لصديقيه فقال ضاحكاً:

«لاداعى للإفصاح عن اسمها أو تفاصيل شكلها.. لكن امرأة واحدة أحببناها أو ثلاث نساء متشابهات. يكفى إنها امرأة لن ننساها .

لحظة حب عارمة

استقبل الزوج زوجته فى المطار بعد غياب، ولاحظت أن ترحيبه بها كان فاترا، وإنه طوال الطريق إلى بيتهما كان صامتا. دارت فى حجرات البيت وسألته هل كان يعيش مع والديه فالشقة تبدو مهجورة! رد عليها ردا مبهما قالت إنها تحدثت كثيرا وعليه أن يقول شيئاً، فقال إنه أصبح أبا.. ضحكت بعصبية وقالت لابد أنه تصرف مع امرأة ساقطة، فالصقت به طفلها الحرام. قال إنها ليست ساقطة. هى زوجته، فقد تصرف كما نصحته لكن بشرع الله. سألته هل أنجب بعملية؟! أجابها. لا سألته هل قام بالتحاليل لإثبات أنه طفله؟! أجابها بالإيجاب. صرخت فى وجهه أن الطفل ليس ابنه وإلا كانت هى الأولى بالحمل فهى التى عاشت أربع سنوات معه! هز الزوج رأسه وقال: هكذا حدث. قالت له بإصرار عليه أن يختار بينهما فى الحال. إعطاها مفتاح الشقة وانصرف.

لم يكن سفر الزوجة ضروريا إلى أمريكا لتعد رسالتها العلمية لنيل الدكتوراة، استاذها نصحها أن تعدها هنا حتى لاتبتعد عن زوجها ما يقرب من عامين، وزوجها قال لها إذا أرادت السفر إلى أمريكا فيمكنهما السفر لمدة شهر للفسحة هناك، لكنها أصرت على هذه المنحة التى جاءتها، وهى لاتريد النزهة بقدر ما تريد تحصيل العلم من أكبر مكان فى العالم للمعلومات، وسافرت. فى ربيع العام الماضى. أخذ زوجها أجازة عمله وسافر إليها مشتاقا. أخبرها أنه لا يستطيع الحياة بدونها وسألها أن تعود معه. استنكرت طلبه واتهمته بالأنانية. أخبرها أنه بصراحة لا يستطيع أن يعيش بدون امرأة. قالت له ببرود أن يتصرف. عاد الزوج إلى القاهرة لكنه لم يستطع أن يتصرف مثل الشبان فى علاقات وقتية مع نساء ويدفعون لهن الثمن. زاد ضيقه ووحدته إلى أن التقى بها .

جميلة فى ريعان الشباب. غندورة. مرحة. موظفة صغيرة فى البنك الذى يتعامل معه. عندما دعاها أول مرة على الغداء اشارت إلى خاتم الزواج فى أصبعه واعتذرت له، ولما أخبرها بسفر زوجته وحاجته إلى صحبة وقت الغداء، تعاطفت معه، وكانت أول مرة فى حياتها تجلس فى مطعم فاخر وتأكل مثل هذا الطعام، لم تخجل من انبهارها. تكررت دعواته وبدأ يحبها وعندما أراد أن يتصرف كما نصحته زوجته، اعتذرت له الفتاة فالمبادىء التى نشأت عليها تمنعها من التصرف بدون زواج مهما كان حبها له. شرح لها ظروفه الصعبة. إنه يحبها ويحب أيضا زوجته. وتوصل إلى حل غريب وهو أن يتزوجها

لمدة عام ويجعلها تعيش فى نعيم ثرائه إلى أن تعود زوجته ويطلقها. فكرت الجميلة لماذا لاتعيش فى هذا النعيم. وليكن عاماًجميلاً من عمرها ووافقت على أن يكون زواجا شرعيا ولن تخبر أهلها بالشرط الذى أخذته على نفسها. رحبت به أسرة الجميلة المتوسطة الحال وتعجب والدها من مؤخر الصداق الكبير الذى كتبه لها! أما والداه فقد رحبا بزيجته الثانية لاعتقادهما أن زوجته الأولى عاقر، وحتى يبعدان عنه الشبهات من ناحية أهل زوجته الأولى فقد منحاه شقة مفروشة فى العمارة التى يمتلكانها فى الصيف الماضى بعد عقد القران ذهبا إلى قرية سياحية على شاطىء البحر فى الشمال، وكانت أروع أيام حياته العاطفية، كما وصفها.

وذات يوم بعد شهر العسل أخبرته زوجته الجميلة بالنبأ السعيد. أنها حامل، أولا ابتسم ثم ضحك، ثم غضب وصرخ فى وجه الجميلة بكلمة نابية فبكت. ولما هدأ غضبه أخبرها أنه علم من الأطباء أنه لن ينجب إلا بعملية إخصاب بينه وبين زوجته بسبب ضعف ما يعانى منه، وقد وعدته زوجته بإجراء هذه العملية عندما تعود من أمريكا. فكيف يحدث الحمل معها بدون إجراء عملية إخصاب بينهما؟! وذهب الرجل إلى طبيبه مهموما. قال له الطبيب إن الذى حدث له يمكن أن يحدث فى لحظة حب عارمة. ظل الرجل طوال شهور حمل زوجته وهو يعانى من مشاعر متقلبة. فرح. حزن. حب. شك، وعندما جاء الولد مع بداية هذا الصيف وسبحان الخالق صورة منه تماما، إلا أنه قرر أن يقطع الشك باليقين، وقام الأطباء بعمل اللازم من الفحوصات والتحاليل وجاءت النتيجة أن الود ابنه تماماً.

انهيار

فى يوم حار، ساعة الغروب وسكان العمارة الكبيرة مستكينون فى شققهم الفخمة اهتزت العمارة بصوت مثل طرقعة مفرقعات فهرعوا إلى الطريق ظانين أنه زلزال ملعون ضرب أرض مصر، لكنهم فوجئوا بسكان العمارات المجاورة يطلون عليهم من شرفاتهم ويسألونهم ماذا حدث لعمارتهم؟ تأكدوا أنه ليس زلزالا عاما، لكنه زلزال خاص بعمارتهم؛ اجتمعوا فى فناء محل لبيع السيارات أمام العمارة ليتدبروا أمرهم، قال مهندس كبير من السكان أن حمام السباحة الذى بناه الرجل العظيم فى فيلته فوق العمارة هو السبب فى التصدع ولايدرى من أين جاء بتصريح لبنائه؟!

قال أحدهم: لابد من استدعاء صاحب العمارة الذى باعها لهم والمهندسين الذين بنوها لمحاكمتهم، قال آخر: لابد من استرجاع

نقودهم، من قال لابد من الذهاب إلى المحافظ، ومن قال لرئيس الحى، ومن قال إلى القضاء مباشرة، وأخيراً قال الصحفى الصغير الذى يؤجر من البواب حجرته المخصصة له «اسمحوا لى أن أخذ هذه المسئولية عنكم وانشر خبرا كبيرا فى الجريدة التى اعمل بها، ثم أقوم بتحقيق عن هذه الواقعة لاظهر الفساد الذى يسود بعض النفوس فى المجتمع، فلن نجد حلاً إلا بهده الطريقة التى ستثير الرأى العام وتصل إلى أعلى المستويات المسئولة».

قال صاحب الفيلا إذا كان المهندس قرر أن حمام سباحته هو السبب فسيكتب الصحفى هذا الكلام بالغمز واللمز فهو حاقد كأمثاله من الصحفيين الذى يعملون بلبلة فى المجتمع وعداء لأصحاب الملايين الذين كسبوها بعرق جبينهم، وإنه لا يوافق على اقتراح هذا الدخيل ليكون مسئولاً عنهم وقال طبيب كبير أنه مع رأى الرجل العظيم، فهذا الصحفى النكرة الذى يؤجر حجرة البواب مفروشة يريد الشهرة على حساب سمعة السكان الحقيقيين فيثير موضوعا ملفقاً، مثل ما نشرته الصحافة من تحقيقات مسمومة عن مستشفى عظيم وثبت أنها غير صحيحة، لكن بعد أصبحت سمعة الأطباء المعنيين فى الطين، وقالت أستاذة جامعية أن الصحفيين الآن «دمامل متقيحة، على وجه المجتمع» لابد من القضاء عليها، وأنهم ينتهزون أى فرصة للنيل من الأثرياء الشرفاء واعترضت على وضع مشكلتهم فى صفيحة زبالة.. تعنى الصحافة. تكاتف أصحاب الشقق ضد الصحفى وكأنها قضية ضد الصحافة عموماً ونسوا الخطر الذى يهدد عمارتهم، ولم يقف بجانبه

سوى المهندس الكبير، صدم الصحفى الصغير وقال أنه عرض عليهم الدفاع عنهم وليس النيل منهم، فهى قضية هامة عن الفساد فكيف لايريدون تفجيرها؟!.. هدده الرجل العظيم أنه إذا فجرها فى جريدته سيفجره! وأمر البواب أن يطرد هذا الصعلوك ولا يؤجر حجرته لأى دخيل على مجتمع الأكابر، ثم طمأن السكان أنه سيتولى بنفسه الإشراف على إصلاح ما فسد فى العمارة ويستغنى عن حمام السباحة إذا كان السبب، فاطمأن السكان بكلام الرجل العظيم، لكنهم فضلوا السلامة وعدم المبيت فى العمارة، وبعضهم قرر التعجيل بالسفر إلى المصايف، وهكذا قرر الرجل العظيم.

حمل الصحفى حقيبته وخرج مطروداً مذهولاً.. لايدرى هل يرضى ضميره ويكتب أم يصمت ويبتعد عن هؤلاء الناس؟! لصغر سنه وتجربته لم يعرف كيف يتصرف مباشرة فسافر إلى أهله فى الريف ليختلى بنفسه حتى يصل إلى قرار حاسم، داهمته الكوابيس فى الليل.. فشاهد الطبيب فى يده مشرط جراحة ويهاجمه، وشاهد وجه الأستاذة كأنه دمل كبير فاغرة فاها تريد التهامه. وشاهد جمع السكان يحيطون به وهو يحاول الهرب فيتسلق حائطا من الطين فيتزحلق ويقع بينهم، ويقوم من أضغاث أحلامه مفزوعاً. فى نهاية اليوم الثالث لاعتكافه قرر أن يعود إلى جريدته ويحكى لرئيس التحرير ما حدث له، فقد أيقن أن أضغاث أحلامه ماهى إلا ضميره الذى يؤنبه على صمته. قام فى الصباح منتشياً بقراره، وجد والده ممسكاً بجريدة صباحية، وبلهفة أب على سلامة ابنه قال: الحمد لله أنه ترك العمارة التى كان يسكنها فقد

انهـارت.. نظر فى الجـريدة، شـاهد صـورة العـمـارة وجـانبـا من الأدوار العليا منهارا تماماً، وتصدعا واضحا فى الأدوار الباقية، وقرأ أن سكان العمارة كانوا جميعهم مسافرين فى المصايف.. وتساؤل خبيث.. لماذا أخلى بعضهم شققهم من الآثاث الفاخر؟!

شروط البيزنس

بكل حرية ومقدرة مادية ونفسية استطاع أن ينفذ بنود الرخصة المظهرية ليدخل عالم رجال الأعمال من القمة، فقد ترك شقته التى كانت فى حارة من حوارى الجيزة الضيقة إلى شقة تطل على شارع عريض ونظيف فى حى جديد، وأعد مكتبا لإدارة أعماله فى نفس الحى، واشترى سيارة جديدة، و.. وكل شروط البيزنس التى وضعها أمامه رجال الأعمال قبل أن يدخل فى زمرتهم. شرط واحد لايريد ولايحب أن ينفذه، وهو شرط هام من شروط التغيير.. أن يغير زوجته القديمة بزوجة جديدة صغيرة، قال لهم: إنه يحب زوجته منذ كانا فى أول الشباب، وقد كافحت معه فى الغربة ودبرت حياتهما المالية وعملت كما عمل ليحقق حلمه ويكون سيدا لعمله، فهل يتركها بعدكل هذا؟!

قالوا له: إن الزوجة الأولى عادة تكون فى مثل عمره أو تصغره قليلا، ومن طول فترة الزواج وإنجاب وتربية الأطفال تضعف صحتها

وتفقد رونقها الأنثوى فلا تليق بالحياة الجديدة لرجل الأعمال. قال لهم: إنهم لم يعرفوا زوجته بعد.. فقالوا.. ولايريدون أن يعرفوها. قال أحدهم: «لاتطلقها لكن لابد أن تجدد الدم فى عروقك بعروس صغيرة كما يفعل كل الرجال المهمين».. لم يرد أن يغضبهم فسألهم أن يمهلوه بعض الوقت. قالوا التغيير ببطء لا يصلح لرجل الأعمال، فالبطء يعطى فرصة للتردد ومن السهل الرجوع، لابد من التغيير السريع. وحدث فى ذلك الوقت أعلن عن عقد مؤتمر اقتصادى فى إحدى القرى السياحية على شاطىء الغردقة، فنصحه رجال الأعمال بضرورة الإشتراك فيه، وأخبروه أن كلا منهم سيصحب زوجته الجديدة، وليتعلم أن الترفيه لن يكون منفصلا عن العمل، وطبعا لن يصحب معه زوجته القديمة، ودبروا فيما بينهم أن يقدموا له عروساً صغيرة.

اصطحبت ثلاث زوجات ثلاث فتيات ناضجات من صديقاتهن للنزهة على حساب أزواجهن وربما تجد واحدة منهن فرصة للزواج من رجل الأعمال الجديد. فهم الرجل اللعبة ولعبها بحذر لم يعجب زملاءه. وكلما تقربت منه واحدة منهن شعر بقيمة زوجته، فبالرغم من أنهن جميلات إلا أن جمالهن سطحيا وليس بجمال زوجته، وبالرغم من أنهن متعلمات إلا أنهن لسن فى ثقافة زوجته فى اليوم الثالث شعر بحنين لزوجته فطلبها وسألها أن تحزم حقيبتها وتأتى له، وفى آخر اليوم أخبرته أنها ستكون فى مطار الغردقة فى صباح اليوم التالى مبكرا، شعر براحة ولأول مرة ينام بدون قلق ويستيقظ مبكرا. طلب سيارة أجرة وذهب إلى المطار وعاد إلى القرية بزوجته. وقفت على الشاطىء

مبهورة وشكرته على هذا الجمال الذى دعاها إليه. الجبال الشاهقة من ناحية وزرقة البحر النادرة من ناحية أخرى، تعجب من نفسه فهو لم ير هذا الجمال إلا من خلال عينى زوجته. ارتديا ملابس البحر وجريا إليه.

حول مائدة الإفطار قال أحد رجال الأعمال مسروراً إن صاحبهم قد انفكت عقدته ويمرح منذ الصباح الباكر مع إحدى الفتيات فى البحر، ثم ألتفت فوجد الفتيات الثلاث واجمات، فتساءل مع من؟! قالت إحداهن إنها شاهدتهما وهى تتريض ولابد أنها إيطالية من الفوج السياحى الذى وصل بالأمس. تحدث بعض من شاهدوهما وهما فى طريقهما إلى المطعم واجمعوا على إنها أجنبية، وانتظروا إلى أن يحضرا لتناول الإفطار فوجدوا به يحيط خصرها بذراعه وهى تحيط كتفيه بذراعها، وتعجبوا من الألفة السريعة التى حدثت بينهما وزاد تعجبهم عندما اقتربا من المائدة ووجدوا إنها امرأة فى منتصف العمر محتفظة برشاقتها وجمالها، قدمها لهم بمرح.. زوجتى.. سأله أحدهم.. بهذه السرعة؟! وسبه بطريقة المدح فى كلمات ذم!! بفكرة أن المرأة لن تفهم.. ابتسمت وقالت.. «أنا زوجته أم أولاده». ساد الصمت لحظة ثم تقدم كبيرهم إليها مرحبا. وابتسمت لها الزوجات فى تحية اضطرارية، ومال أحد الرجال على جاره هامسا «الرجل معه حق فليست كل زوجة أولى كُبّة فى البيت»..

الشوق

فى الثامنة عشرة من عمره، وهو فى السنة الثالثة من كلية التجارة قال لأبيه إنه لا يريد أن يكمل تعليمه ويأخذ الشهادة الجامعية، ثم ينتظر فى طابور التعيين أو يعمل فى شركة أو بنك، ويعتصره روتين الوظيفة وبلادة الحياة، يريد أن ينطلق إلى العالم المتحضر الأوروبى ليشاهد ويتعلم ويعمل، لم يعارض الأب المؤمن بحرية الفرد فى اختياره رغبة ابنه، واعطاه مبلغاً من المال ليساعده فى بداية تجربته.

وكما تعلم الشاب السباحة وهو صبى بإلقاء نفسه فى البحر، تعلم اللغات والعمل فى بلاد أوروبا المختلفة، واستقر عدة سنوات فى باريس عاملاً فى مطعم، تعرف على شاب مصرى يعمل فى نفس المكان، وجمعهما تقارب العمر والأفكار والحلم فى أن ينشئا مطعماً شرقياً، فعملا بجدية، فى تلك الفترة التقى بفتاة من أقصى بلاد الشمال الأوروبى

كانت فى باريس تتصعلك، أعجبت به وبلونه الأسمر، كما أعجب بها وببشرتها الناصعة البياض. وقضت أيام رحلتها معه،ولما علمت بحلمه مع صديقه اقترحت عليهما إن ينشأ مطعماً فى بلدها فهم يشتاقون إلى كل شيء شرقى، لم يهتم بكلامها إلا عندما عادت إلى بلدها وأرسلت له خطاباً به كل التفاصيل عن المكان الذى دبرته لإقامة المطعم، والمكان الذى يقيم فيه مع صديقه، وهكذا سافر الصديقان بمدخراتهما إلى أقصى بلاد الشمال الأوروبى وافتتحا مطعمهما الذى لقى إقبالاً كبيراً من الناس هناك، بعد خمس سنوات من تلطمه فى بلاد أوروبا، وخمس سنوات من استقراره، ونجاحه فى بلاد الشمال تزوج من حبيبته التى فتحت له ذلك المجال فى بلدها، وبعد خمسة عشر عاماً من ابتعاده عن بلاده وأهله واستقرار أحواله المالية وازدهارها قرر زيارة أهله مع زوجته وابنه، لقد علم من أبناء بلاد الشمال عن زياراتهم الشتوية والصيفية إلى مناطق البحر الأحمر التى غمرت حديثا واستمتاعهم بدفء بلاده، لذلك قرر زيارة هذه الأماكن عند زيارته لأرض وطنه، فى قرية سياحية جديدة على الشاطيء وقف مبهوراً، لقد نسى ضوء الشمس المبهر وحرارتها وليالى السهر والطبيعة الواضحة والسماء الصافية، قال لزوجته إنه يود أن ينشيء مشروعاً فى هذه المنطقة.

لم ترتح لحلمه، وقالت له أن يبعد هذه الفكرة عن رأسه.

وقبل عودتهما إلى أقصى بلاد الشمال الأوروبى حضرا حفل زفاف قريبه له، وكانت الدفوف والطبول تدق فى قلبه فرقص طرباً. إنه لم يفرح هكذا عندما تزوج، كان حفل زفافه فى برودة الجو هناك.أ

ويدأ السأم يزحف على نفسه من اللون الأبيض فى أقصى بلاد الشمال، كل شيء يظل شهوراً طويلة مغطى بالثلوج البيضاء، حتى زوجته أصبح يراها مثل جبال الثلج والبحيرة المثلجة بيضاء، باردة، وكلما استحوذ عليه الشوق إلى الدفء يعود وحده إلى أرض بلده ويذهب مباشرة إلى الرمال الدافئة والألوان الزاهية للبحر الأحمر.

وعندما يعود إلى أسرته وعمله فى بلاد الشمال الأوروبى يلح عليه الشوق ويناديه إلى دفء بلده، لم يعد يحتمل فسأل زوجته أن تعيش معه فى بلده، تناقشت معه وختمت المناقشة بطلب الطلاق إذا أصر على العودة، وقد كان باع نصيبه فى المطعم لشريكه، وعاد إلى وطنه ليقيم مشروعه الخاص فى أقصى الجنوب بعد عشرين عاماً من غربته، أثناء إقامة مشروعه رفى فترة راحته، كان مستلقيا يحتضن الرمال الساخنة، كان يحلم بمستقبل المشروع، وهو لا يدرى أن حلماً آخر ظهر له، سمراء جميلة كانت فى رحلة صيفية مع أسرتها فى القرية السياحية التى يعيش فيها منذ عام، كانت جالسة وحدها تحت مظلة قريبة منه متسائلة لماذا هذا الأسمر يستلقى فى حرارة الشمس مثل الأوروبيين البيض الذين يلقون بأجسادهم على هذا الشاطىء ليلونوها؟!..عندما رفع رأسه التقت عيونهما وكانت تبتسم، ابتسم، وسألها: لماذا ابتسامتها؟!

سألته السؤال الذى حيرها وبدأ الحديث بينهما.

دقت الدفوف والطبول فى قلبه،وشعور غريب ومريح اعتراه بفكرة أن الشوق دفعه إلى هذه الأرض ليقترن بهذه السمراء، تعرف على

أسرتها، طالت الأحاديث بينهما، إنها تعشق المكان كما عشقه، ودراستها تؤهلها للعمل معه فى ،شروعه، إن ابنة بلده السمراء لها تقاليدها الشرقية، فطلب والديه فى القاهرة وطارا إليه بفرحة، وتمت الخطوبة على الرمال الساخنة، وتحت الشمس الساطعة على مشهد من البحر الأحمر.

فنجان قهوة تركى..

فى أحضان مقهى حديقة على أطراف العاصمة، ورائحة زهور الأشجار المورقة حديثا معلنة بداية الصيف، تدغدغ المشاعر وتوقظ الأمال المؤجلة، قالت له بفرحة إنها نجحت فى امتحان الشركة التى تعمل بها وستنال ترقية، لم يعد لديها مذاكرة تعطلها فى الوقت الحالى إلى عامين مقبلين، إلى أن تدخل امتحانا آخرلتنال ترقية أخرى، وهذا وقت مناسب جداً ليتقدم لأهلها، قال لها إذا عرفت كيف تعمل له فنجان قهوة تركى سيتزوجها. لابد أنه يمزح فلم يسألها مثلا إذا كانت تعرف عمل الملوخية أو الخبيزة أو أى شىء من هذه الأنواع الصعبة فى الطبخ. فنجان قهوة تركى. بسيطة. هكذا قالت له ضاحكة. لكنه لم يضحك. إنها لا تشرب القهوة التركى. أمها وخالتها يشربانها، أما هى فتفضل القهوة سريعة التحضير. ستسأل أمها كيف تصنع القهوة

التركى.. بسيطة، لكنه أصر على أن تعمل له فنجان القهوة اليوم. أين؟ سألته اقترح أن يذهبا إلى صديقه وزوجته اللذين قابلتهما ذات يوم معه. قالت له فى الغد يذهبان أصر على موقفه المسألة ليست مزاحا.. لكن و.. وافقت فنجان قهوة تركى.. بسيطة من الذى لايعرف عمل فنجان قهوة تركى؟!.

من تليفون المقهى اتصل بصديقه، وناولها السماعة لتحدث زوجته لتطمئن على وجودها فى بيتها، وذهبا إليهما، وجدت أثاث بيتهما كلاسيكيا، كأنه من البيوت القديمة العريقة،لكنه أثاث جديد. وهما ينتظران الصديق وزوجته فى حجرة الصالون سألها هل يعجبها الأثاث الكلاسيكى؟ مطت شفتيها وقالت إنها تحب الإثاث الحديث، فكل صديقاتها المتزوجات أثثن بيوتهم بأثاث حديث، ولم تجد فرصة لتشرح له تفضيلها لهذا الأثاث. فقد وجدت أمامها صديقة، وزوجته يرحبان بزيارتهما المفاجئة، سألتهما الزوجة ماذا يريدان أن يشربا فقال على الفور إن عزيزته هذه هى التى ستصنع له فنجان القهوة التركى الذى يفضله. ظنت الزوجة إنه يريد أن ينفرد بزوجها فاصطحبت فتاته إلى مطبخها، ولم تجد فتاته فرصة لتسأل الزوجة عن كيفية عمل فنجان قهوة تركى لأنه لحق بهما. كانت الزوجة تمسك بالكنكة، فأخذها من يدها وأعطاها لفتاته اضطربت وهى تمسكها، إنها لم تلاحظ أمها وهى تقوم بعمل قهوتها. فهى لم تتعب نفسها فى مشاهدة أو تعلم مثل هذه الأشياء القديمة من الذى يشرب قهوة تركى الآن؟! هى وصديقاتها وزميلاتها فى الشركة، وزملاؤها فى حجرة عملهم يشربون القهوة

سريعة التحضير، كل منهن ومنهم يشترى بالتناوب عليه بن سريع التحضير وعامل البوفيه يحضر لهم الماء الساخن والسكر، وضعت فى كنكة القهوة ماء. قال لها أحب قهوة سكر مضبوط، هزت رأسها إنها تعرف، لابد أن القهوة التركى تصنع على النار وليس فى الفنجان مباشرة مثل القهوة التى تشربها!.. وضعت الكنكة على النار، كادت ربة البيت أن تقول لها شيئاً، لكنه منعها، اضطربت فتاته.

لابد أنها فعلت شيئاً خطأ تركت الماء يغلى ثم وضعت ملعقة بن وملعقة سكر وقلبتهما. ثم رفعت الكنكة من فوق شعلة النار، لاحظت علامات وجوم على وجه الزوجة، وابتسامة ساخرة على وجه حبيبها، وفوجئت به يقول لها: أسف لن أتزوجك، ظنت أنه مستمر فى مزاحه، فقالت ضاحكة إن عمل القهوة التركية شىء تافه ويمكن أن تتعلمه أيدت كلامها الزوجة وسألتهما أن ينتظراها فى الصالون إلى أن تعد لهما القهوة،فقالت فتاته إنها تريد شايا، عندما دخلت الزوجة بالمشروبات إلى الحجرة وجدت الجو مكهربا، فزوجها يتحدث بهمس إلى صديقه وفتاته جالسة متحفزة، فقالت للفتاة إنها ستعلمها عمل القهوة وكل ما تريد أن تتعلمه، وجاءها الرد من صديقها أنه لن يتزوجها.. قالت له الفتاة المتحفزة: إنها حجة واهية للتهرب من الزواج، وإنها مغفلة لتتعلق بشاب يكبرها بخمسة عشر عاماً، والحقيقة أنه لم يعد شابا وسيهرم بدون زواج لطلباته التافهة، وكان لابد أن تفهم تفاهته منذ عام مضى، والحقيقة أنها تعلقت به لافتقادها للأب بعد موت والدها وظنت أنها ستجد معه الحب والحنان، لكنها وجدت كل

العقد النفسية، وأخذت حقيبتها وجرت إلى باب الشقة. ساد الصمت لحظة بعد أن صفقت الباب خلفها وسأله صديقه بعتاب: لماذا فعل هذا بفتاته وقد ظن أنه أخيراً عثر على من كان يحلم بها؟!

وقالت الزوجة: إنها منذ قابلته مع الفتاة شعرت أن هناك فجوة عميقة بينهما وأنه إذا أراد الزواج أن يختار فتاة قريبة من عمره الأربعيني قال لهما: إنه واقع في حيرة مزمنة، فهو يريد الزواج من فتاة في العشرينيات من عمرها لتملأ حياته حيوية، وفي نفس الوقت يريد أن تكون لها خلفية قوية من السلوك الكلاسيكي هذا الذي يطلقون عليه الآن من الأشياء القديمة، رشف من فنجان القهوة التركي الذي أعدته الزوجة مستمتعاً وقال: إن المشكلة ليست حقيقة في فنجان القهوة. لكن في الفتاة نفسها فقد اختارها لأنها من عائلة عريقة، لكنه مع الوقت وجدها تتحدث بلغة لايفهمها. أشياء كثيرة جعلته في داخله يرفض الزواج منها مع أنه كان وعدها.

الحبيب..

عندما علمت بالخبر، حزمت حقيبة ملابسها، وقالت لابنها إنها ذاهبة إلى الإسكندرية لتقديم واجب عزاء لزميل قديم، وأيضاً لترى إذا كانت شقتها هناك يلزمها شيء. لم يناقش الشاب أمه فى أنها ستتركه وقت امتحاناته الجامعية، فهو كبير بما فيه الكفايةليعتنى بنفسه، وأمه صاحبة واجب، وهى تقود سيارتها فى طريقها إلى الإسكندرية لم تستطع أن تدارى بهجتها الداخلية، أخيراً تستطيع الارتباط بالحبيب الذى أحبته منذ عشرين عاماً حبا حقيقيا، فقد ذهبت العقبة الوحيدة فى طريقها إليه. زوجته لقد كانوا زملاء فى شركة واحدة. هى وهو وزوجته، كان هو فى قسمها وزوجته فى قسم آخر.

فى ذلك الوقت كانت مطلقة حديثا بعد زواج لم يدم سوى عدة أشهر، وبالرغم من أن شبانا غير مرتبطين تقربوا منها، إلا أن قلبها لم

يخفق إلا لزميلها المتزوج أعجبت بأخلاقه وطموحه العملى وشكله، وهو أيضاً أعجب بها. فهى صورة مختلفة تماما عن زوجته وإن كانت تقاربها فى العمر، بحيوية الشباب وجرأته كانت أحاديثهما فى مكان العمل، ولقاءاتهما خارج مكان العمل، ووجد كل منهما حلم حياته فى الآخر حتى إنهما اتفقا على الزواج. عندما علمت زوجته بالحكاية السرية التى لم تعد سرية، سعت بكل قوتها ومعارفها وحكايتها المحزنة إلى الإنتقال مع زوجها للعمل فى فرع الشركة بالإسكندرية، ولأنهما قد تزوجا عن قصة حب معروفة فى الشركة وانجبا طفلتين، فقد شعر الشاب بالخجل من نفسه أمام مواجهة زوجته له، ووافق على سعيها للانتقال إلى فرع الشركة فى الإسكندرية، خصوصاً إنها أصلا من هناك وكل أهلها هناك.

عشرون عاماً مضت بأحداث كثيرة، فهى تزوجت بعد سفر الحبيب واستقراره مع أسرته فى الإسكندرية. وأنجبت ابنها الوحيد، وطلقت للمرة الثانية، فعاشت ترعى ابنها وتهتم بعملها حتى أصبحت رئيسة للقسم الذى تعمل به، وطوال العشرين عاماً كانت كلما ذهبت فى الصيف إلى مدينة الإسكندرية، تذهب لزيارة الحبيب فى فرع الشركة هناك الذى أصبح مديراً مسئولا عنه،ولم تعد تفكر فيه زوجاً لها، وحرصت على أن يظل صديقاً، وأحياناً كان يتصل بها تليفونياً أو تتصل به فى العمل لتبادل المصالح العملية للشركة، ولم تلتق بزوجته خلال العشرين عاما سوى مرة واحدة، فقد التحقت الزوجة بالعمل فى مكتب خاص للمحاسبة لأحد أقاربها، لذلك كانت مطمئنة فى زياراتها له فى

الشركة، والمرة الوحيدة التى التقت بهما معا كانت مع ابنها فى الحى التجارى للمدينة عندما قابلتهما. وتبادلت المرأتان ترحيبا بارداً ببعضهما، لم تلتق بزوجته بعد ذلك.

وهكذا عندما علمت بوفاتها حزمت حقيبة ملابسها وطلبت اجازة من عملها وسافرت إليه، ثلاثة أيام العزاء وهى بجانبه، تعلقت بها إبنته الطالبة فى الجامعة ونفرت منها ابنته المتزوجة، طوال اليوم معه فى بيته وفى المساء تذهب إلى شقتها فى الجانب الآخر من المدينة، بعد الليلة الثالثة شجعته على أن يصحبها لتناول العشاء فى مطعم، فى مكان بعيد عن العمران، فى مطعم يمتد داخل البحر اعترفت له إنه الحبيب الذى سكن قلبها منذ عشرين عاماً. وإنها تتمنى أن تمضى بقية عمرها معه، قال إنه يعزها لكن من الصعب أن يتزوجا بسبب ابنتيه وبنها، سألته ألم يحبها يوما وكانا على وشك الزواج؟!. تلاطمت أمواج البحر على الصخور القريبة، خيل إليه أن عروسا من البحر تضرب بذيلها الصخر لتلفت نظره، لفحت وجهه ريح دافئة رطبه سمعها كأنها نحيب زوجته ثم سمع صوت أمه الواهن وهى تقول بحكمتها العجوز، «الحى أبقى من الميت»، قال إن ظهورها فى هذه الأيام ورعايتها له أيقظ حبه القديم، لكن ماذا عن ابنتيه؟!.

أعربت عن استعدادها لإقناعهما وقالت إنه سيصل بعد سنين قليلة إلى المعاش، وستتزوج ابنته الثانية، كيف سيعيش وحيداً وابنها سيتزوج ولاتريد أن تعيش وحيدة، وإذا كان هو لم يكن سببا فى طلاقها الأول،

فقد كان السبب فى طلاقها الثانى لأنها تزوجت والد ابنها وهى متلعقة به، بالحبيب، تلاطمت أمواج البحر على الصخور القريبة، ربت الهواء الدافىء على وجهها، هامسا فى أذنيها.. الحبيب.. الحبيب.. اشتد تلاطم الأمواج على الصخور كان عرائس البحر كلهن خرجن يخبطن بذيولهن على الصخور. يغنين له أغنية الحب القديم. وتعالى.. تعالى للعروس التى اختارتك. سألته عن رأيه.. سألها فى أى شيء؟ قالت: «فى زواجنا»..

ابتسم أخيراً وكل الأصوات الخلفية فى أذنيه ووجد أنه ذاهب لا محالة إلى عروس البحر.. وسيغرق فى الحب من جديد.

خيالها العاطفى..

عندما شاهدت صورته منعكسة فى المرأة فى المحل التجارى همست غير معقول.. اضطربت وابتعدت عن المرآة حاولت الإنشغال بتقليب أقمشة المفروشات التى عرضها البائع أمامها. اختلطت الألوان فى عينيها بأحداث سنين ماضية، قالت للبائع إنها ستشترى أشياء أخرى وتعود إليه. أسرعت بالصعود إلى الدور الثانى. كأن الأرض إنشقت عن عشرات سنوات مضت وخرج لها هذا الرجل، كأنها غاصت فى شق الأرض لتعود إلى نفس الأحداث التى حدثت من عشر سنوات هزت رأسها بالنفى. لا لن تسمح بعودة نفس الأحداث مرة ثانية كانت مخطوبة منذ سنوات وهى فى الخامسة والعشرين من عمرها.

وكانت تعد لحياتها مع خطيبها عندما قابلت عن طريق عملها هذا الرجل الذى انعكست صورته الآن فى المرآة أمامها وكان شابا فى الثلاثين من عمره ـ اعترف لها بحبه من أول نظرة ووجدت معه خيالا

عاطفياوأمنيات لحياة حافلة بالحب لم تجدها مع خطيبها. نسيت إنها تعد بيتا ومرتبطة بخطوبة رسمية مع شاب له أعمال كثيرة، كان مشغولا عنها طوال الوقت، وكانت أحاديثه جدية وعملية، وبخيالها العاطفى فى ذلك الوقت شعرت أن هناك شيئا ينقصها فى علاقتها مع خطيبها وهو العاطفة القوية، فى ذلك العمر كانت تريد عاطفة الحب قبل استقرار الزواج، ووجدت ضالتها مع الشاب الملتهب العاطفة الذى أحبها من أول نظرة، ببساطة خلعت خاتم الخطوبة وأعطته لخطيبها مع هداياه واعتذرت له أمام دهشة واعتراض أهلها.. إنها لن تستطيع الحياة معه، لكن الشاب الملتهب العاطفة الذى كان يتحدث معها بكلمات عاطفية لم تسمعها من خطيبها جاءته منحة دراسية فى أمريكا، فأخبرها بكلمات غير عاطفية إن حالته المادية لن تسمح له بالزواج منها فى ذلك الوقت لتسافر معه، لأن نقوده هناك لن تعولهما معا، ورفض فكرتها فى أن تعمل هناك أى عمل، ووعدها إنه عندما يعود سيتزوجان، فهو يقدر حبها له وتركها لخطيبها من أجله.

مضت ثلاث سنوات بالخطابات المتبادلة بينهما، وثلاث سنوات بدون خطابات منه، وأخبرها والده بكل أسى أن ابنه لن يعود، خطفته أمريكا بالزواج والعمل، ثم مرت ثلاث سنوات وهى تحاول أن تداوى أنوثتها المجروحة، وآمالها الخائبة، ومنذ عام التقت برجل طلبها للزواج، وأخيراً اقتنعت به، إنه ليس عاطفياً بما فيه الكفاية لكنها وهى فى الخامسة والثلاثين الآن لم تعد تنجرف وراء خيالها العطفى، لاتريد العاطفة الملتهبة، بل تريد الإستقرار فى الزواج مع رجل تتوافق معه بعقلها، وهذا ما وجدته فى خطيبها الحالى.

وجاءت إلى هذا المحل التجارى لتشترى أقمشة مفروشات لتنجيد أثاث بيتها. هى الآن كما كانت مند عشر سنوات تعد بيتا مع خطيبها وظهر لها للمرة الثانية الرجل الذى تركت خطيبها الأول من أجله وها هو قلبها يخفق، فهل ستعاد تلك الأحداث؟! هزت رأسها بالنفى. وجدته أمامها فى الدور الثانى للمحل التجارى مد يده بالسلام. نظرت إلى يده ووقفت صامتة أنزل يده الممدودة وقال إنه عندما شاهد صورتها منعكسة أمامه فى المرآة ظن أولاً أنها ليست هى لكن عندما خفق قلبه أيقن أنها هى.

ابتسامتها الساخرة عبرت له إنها لن تنخدع بحلو كلامه مرة ثانية. لكن الكلمات تدفقت من بين شفتيه، حكى لها ملخصاً عن حياته فى أمريكا، كيف أغروه بالعمل هناك، ولماذا اضطر للزواج من أمريكية لكنه لم يحتمل الحياة معها فطلقها وتستولى على نصف دخله، وإنه جاء فى إجازة قصيرة ليرى إمكانية عودته والعمل فى بلده، وفى خطته مقابلتها ليعتذر لها، وها هو القدر يجمعهما، ليسألها السماح والزواج، وإذا وافقت سيأخذها معه إلى أمريكا ليقضيا شهر العسل، ولينهى عقد عمله هناك، ليعودا معا إلى بلدهما، ليعوضها عن السنين الماضية، فقد علم أنها لم تتزوج لابد أنها لم تحب سواه وهو أيضا لم يحب سواها..

لحظة قصيرة شعرت بحنين إلى تلك العواطف السخية، بحنين إلى خيالها العاطفى، فخطيبها الحالى لايبدى لها عواطف قوية لحظة قصيرة مرت سريعا فى أفكارها. ثم شعرت كأنها تغوص فى باطن

الأرض وتختنق.. لا .. لن تعيد الأحداث نفسها الآن هى تفكر بعقلها وليس بخيالها العاطفى سألها أن تفكر فى الكلام الذى قاله لها سألها عن موعد لقاء. قالت حكمة فى جملة لاتدرى من أين جاءت إلى رأسها.. «الإنسان لا يفسد حياته مرتين».

لم يفهم ماذا تقصد، ولم تجد داعيا لتشرح له، ونزلت إلى الدور الأول فى المحل التجارى، ذهبت إلى مكان أقمشة المفروشات، وضحت الألوان أمامها، واختارت لونا ورديا.

غرام الأستاذة..

أول مرة فهمت الأستاذة الحكاية عندما كانوا عائدين من رحلة نظمتها الشركة لقضاء يوم فى مدينة الإسماعيلية. فى السيارة الكبيرة لمحتهما بطرف عينها فى المقعد الذى خلفها، كانت مرءوستها شبه نائمة ورأسها فوق كتف شاب ليس زوجها ورأسه مرتكنة على رأسها، التفتت الأستاذة إليهما لتتأكد من شخصياتهما فى ضوء السيارة الخافت، فرفعت مرءوستها رأسها من فوق كتف الشاب الذى اعتدل فى جلسته. عادت الأستاذة برأسها إلى الامام وبحثت بعينيها عن الشاب زوج الزوجة الصغيرة، فوجدته فى مقدمة السيارة غارقا فى حديث مع أحد المديرين. تألمت الأستاذة لهذين الزوجين الشابين اللذين شاهدت قصة حبهما وباركت زواجهما وحلت مشاكلهما. فالأستاذة لا تهتم فقط بمرءوسيها من الشباب فى القسم الذى تديره، لكنه تهتم بالشباب فى أى قسم آخر.. الذين يلجئون إليها.

وقد كان من هؤلاء الشاب الذى يعمل فى قسم آخر وأحب مرءوستها وتزوجها. مع استرجاع الذاكرة وجدت الأستاذة أنها من حجرتها التى يفصلها عن حجرة مرءوسيها حاجز زجاجى قد لاحظت أن الشاب الجالس خلفها كان يترك القسم الذى يعمل به ويحضر إلى مكتب الزوجة الصغيرة كثيراً، ولم تشك فى مثل هذه التصرفات فربما يريد شيئاً للعمل أو قريبها، لكن أن تجده والزوجة فى هذا الوضع العاطفى فهى لابد أن تشك، وقررت منذ تلك الملاحظة فى السيارة أن تنقذ زواج هذين الزوجين.

فى الأيام التالية فهمت الأستاذة الحكاية أكثر من أفواه بعض مرءوسيها فالشاب يغازل الزوجة علنا، وأصبحت على خلاف دائم مع زوجها، وأهملت طفليها التوأم وتسعى للطلاق لتتزوج من الشاب الثرى المستهتر، ولأن هذا الشاب يعمل فى قسم المعلومات، والأستاذة رئيسة قسم شئون العاملين، فقد طلبت منه بحثاً عن العاملين فى فروع الشركة المنتشرة على أرض الجمهورية. واستطاعت بلباقتها أن تجذب الشاب إليها، فبعد أن كان يترك قسمه ليذهب إلى مكتب الزوجة الصغيرة ويتهامسان فى أمور تافهة، أصبح يذهب إلى مكتب الأستاذة ويتحدث معها أحاديث جدية، وشعر براحة معها، فحكى لها عن ظروف حياته، فوالداه مطلقان، وأمه تزوجت من آخر وسافرت معه، وكان وحيدهما فعاش مع أبيه الذى لم يتزوج بالرغم من ثرائه. وقد سألته الأستاذة يوما عن رأيه فى الزواج، فقال إنه يكره الزواج بسبب ما حدث لوالديه، ويحقد على كل زوجين سعيدين، وأنه يقدرها ويحترمها لأنها لم تتزوج

بعد طلاقها. قالت له الأستاذة: إنها فشلت فى الزواج وطلقت من سنين قبل أن تتورط فى إنجاب، لكنها ليست معقدة وتحب أن تشاهد كل زوجين سعيدين.

استاءت الزوجة الصغيرة من تحول الشاب عنها والتصاقه بمكتب الأستاذة، وهمست بشائعة وتشاجر معها زوجها بسبب ماهمست به، وقد وصلت الأخبار للأستاذة من عيون محبيها ولم تهتم، فقد واصلت خطتها ودعت الشاب لمشاهدة مسرحية، ودعته إلى بيتها مع أبيها لتعطيه بعض الكتب من مكتبتها، وازداد إعجاب الشاب بالأستاذة حتى أنه قال لوالدها إنها زهرة الشركة وعبيرها الجميل، وكما دعته فى بيتها وتعرف على أبيها، دعاها إلى بيته لتتعرف على أبيه، وقال لها أبوه إنه معجب بها قبل أن يراها من أحاديث ابنه عنها، وشكرها لأنها غيرت مفاهيم خاطئة فى رأس ابنه وجعلته يتعامل مع الحياة بجدية، تعددت لقاءاتها مع الشاب وابيه، فى النادى الذى يشتركان فيه، فى مطعم، فى مسرح. وجدت صحبتهما خروجا من وحدتها المملة ومرحا لم تعشه من قبل. وتهامس العاملون باستياء عن غرام الأستاذة، كيف تتورط المثقفة العاقلة فى حب شاب يصغرها بأكثر من ربع قرن؟!

المرأة هى المرأة تحييها كلمات الغزل ويعميها الحب! وكانت تصلها همساتهم فتبتهج، ولا ترد عليها، فالشاب لم يغازلها يوما وإعجابه بها باحترام شديد، وكانت واعية تماما أن انجذابه لها هو حبه للأم التى يفتقدها. ولم تهمل اهتمامها بالزوجين اللذين أرادت أن تنقذ زواجهما،

ولما يئست الزوجة من عودة الشاب لها ووجدت اهتماما من زوجها عادت عواطفها إليه. وزاد إعجاب العاملين فى قسم الأستاذة بها عندما فهموا أنها أعادت الزوجين لبعضهما، لكنهم لم يستريحوا لعلاقتها بالشاب. عندما بدأت حرارة هذا الصيف ذهب الشاب إلى مكتب الأستاذة مرحاً كعادته وقال لها إن والده يدعوها لقضاء إجازتها الصيفية معهما فى أسبانيا. ارتفعت الدماء إلى رأسها وسألته بجدية.. لماذا؟!

قال إن والده معجب بها وأحبها ويتمنى أن يتزوجها، وها هو نيابة عن أبيه يطلبها. رفرف قلبها بالدهشة والفرح، فهى أيضاً معجبة بأبيه. قال إنها لأول مرة تجد ابنا يطلب واحدة للزواج من أبيه!.. أخبرها أن والده لم يتزوج بسببه، ولما وجده معجبا بها ويحبها وهو أيضا أحبها، لم يجد مشكلة إلا فى موافقتها. وقدم لها ورقة بها معلومات عن أبيه الذى يكبرها فى العمر بخمس سنوات.

وتحول همس العاملين المستنكر إلى دهشة عندما علموا بزواج الأستاذة من والد الشاب وقال بعض الخبثاء: إن الأستاذة كانت تضع الشاب ساتراً لتخفى غرامها بأبيه!!

زوجها لا يكذب أبدا..

منذ البداية وزوجة الطبيب م. ع تفهم طبيعة عمله، فيمكن استدعاؤه في المستشفى مساء، ويمكن أن يبيت هناك أو يسهر في عيادته أو يتأخر لزيارة مرضاه في بيوتهم، ويمكنه أن يسافر إلى كل أنحاء العالم ليحضر مؤتمرات طبية، وهو أحياناً يصحبها معه في رحلاته الخارجية وابنه إذا كان في اجازته المدرسية. وكثيرا أيضا يسافر وحده عواطفه وعلاقته مع زوجته على خير ما يرام، فلم تشك يوما في سلوكه بعيداً عنها، حتى عندما سمعت من أفواه بعض الحاقدين في العام الماضي عن علاقته بامرأة لم تصدقهم فهي امرأة متعلمه، مثقفة وعاملة. لذلك فهي تعلم منذ البداية أنها متزوجة مهنة الطب. فالتي تتزوج طبيباً فهي تتزوج من مهنة الطب كلها، فتفهم متطلباتها وتتقبلها منذ البداية أو ترفضها فترفض الزواج من الطبيب

وهى قد تقبلت مهنة زوجها معه فمهما كثر غيابه عنها لا يعتريها الشك فى تصرفاته علاوة على أنه لايكذب عليها أبداً، فى يوم حار لم تجد الرغبة فى العمل فطلبت اجازة وحدثت صديقة لها غير عاملة لتقضى اليوم معها، لأن زوجها الطبيب سيمضى طول اليوم فى المستشفى، ثم فى عيادته وابنها سافر إلى خالته فى الإسكندرية إلى أن تأخذ اجازتها الصيفية، وتلحق به لتفتح شقتهم هناك دعتها صديقتها لقضاء اليوم فى النادى الرياضى الذى تشترك فيه. ورحبت بالفكرة لتغيير روتين حياتها خصوصا أن النادى فى حى بعيد عنها. فى النادى بينما كانت مستمتعة بالحديث مع صديقتها مرت بهما صديقة لصديقتها فنادتها الأخيرة وسألتها عن صحة زوجها جلست المرأة معهما وقالت إن زوجها تحسن كثيراً، ولأن بعض النساء يستمتعن بسرد تفاصيل الأزمات، فقد سردت المرأة ماذا حدث لزوجها يوم أصابته الأزمة القلبية، وقد كان الوقت بعد منتصف الليل عندما هرعت المرأة إلى شقة جارتها زوجة الطبيب م.ع، وكانت خائفة ألا تجده فهو كثيرا ما يبيت خارج البيت فى المستشفى أو فى سفر ولحسن حظ زوجها وجدت الطبيب تبادلت الزوجة مع صديقتها النظرات أولا: ظنت الزوجة أن أسماء الناس تتشابه وربما يكون طبيبا جديداً يحمل نفس اسم زوجها ويعمل فى نفس فرع الطب الذى يعمل به سألت الزوجة المرأة أن تصف لهما شكل الطبيب تعجبت المرأة لسؤالها لكنها وصفته تماما سألت الصديقة المرأة إذا كان الطبيب وجدته بالبيجاما أو بالبدلة؟!. لم تنتظر الزوجة رد المرأة على هذا السؤال . وسألتها منذ متى وجارتها متزوجة من الطبيب. قالت .

منذ عام تقريبا منذ مرضت والدة جارتها وعالجها هذا الطبيب وجارتها هذه مطلقة وتعيش وأمها وحدهما أمسكت الزوجة رأسها بكلتا يديها. وتساءلت المرأة لماذا أسئلتهما. وهل هى أخطأت فى شيء؟. قالت صديقة الزوجة للمرأة وهى تشير إلى صديقتها إنها زوجة هذا الطبيب شهقت المرأة وقالت: إن جارتها لم تخبرهم إن زوجها الطبيب متزوج وهم يعرفون أنه ليس متواجدا دائماً معها بسبب عمله لكنها عندما قابلته سألت جارتها كيف يكون زوجها فى هذا العمر والمركز الطبى ولم يتزوج من قبل فأخبرتها إنه كان متزوجاً ومطلقته ترعى ابنه، قالت صديقة الزوجة للمرأة إن جارتها كاذبة ربتت المرأة على كتف الزوجة وقامت مسرعة لتختفى عنهما قالت الصديقة للزوجة إنها طيبة لذلك قادها قدرها إليها اليوم لتعرف حقيقة زوجها فقالت الزوجة إن الحقيقة ستعرفها فى المساء من زوجها تعجبت الصديقة من هدوء الزوجة وعدم تغيرها طول النهار معها كأنها لم تسمع شيئاً يهدد حياتها فى المساء طلبت زوجها فى عيادته كعادتها كل يوم لتسأله إذا كلا سيحضر للعشاء. ولما أخبرها عن موعد عودته أعدت عشاء سخيا. وأضاءت الشموع على المائدة. فهى تفعل هذا كثيراً لإستقبال زوجها بعد يومه المجهد. على مائدة العشاء سألت زوجها هل هو طلقها أو سيطلقها؟! قال بدهشة إنه لم ولن يطلقها لأنه يحبها، ولماذا هذه الأفكار السخيفة؟! حكت له ما سمعته فى النادى صباحاً وسألته أن يخبرها بالحقيقة قال إنه يذهب إلى بيت هذه المرأة ليرعى أمها المريضة بالقلب، ويوم حدثت الأزمة القلبية لجارهما كان بالصدفة عندهما بعد إنتهائه من

عيادته ليلاً. وربما إدعت المرأة أنه زوجها بسبب زياراته الليلية فهذا الوقت الوحيد الذى يزور فيه مرضاه. وربما لأنه بقى ليلة إلى الصباح معها عندما أصيبت أمها بأزمة. فبررت وجوده لجيرانها بهذه الحجة السخيفة، فهل يمتنع الطبيب عن زيارة مرضاه خوفاً على سمعته من الشائعات؟! لم يبد عليه الغضب أو الاضطراب وفكرت الزوجة فى كلامه المختلف عن كلام المرأة فى الصباح. إنها لاتعرف هذه المرأة وزوجها تعرفه منذ خمسة عشر عاماً. من منهما يقول الحقيقة؟! زوجها طبعا فهو لا يكذب عليها أبداً.

العنكبوتة..

وهى طفلة كانت أسرتها تسكن شقة مظلمة تطل نوافذها على منور منزل قديم، من خلال تلك النوافذ كانت تراقب بيوت العناكب فوق الجدران المشققة وبين امتداد المواسير. وهى شابة فهمت من العلوم التى درستها أن أنثى العنكبوت تلتهم الذكر بعد التزاوج. وفهمت لماذا كانت تشاهد عنكبوتين يتشاجران ثم يقتل أحدهما الآخر. ربما رسخت فى رأسها فكرة الإلتهام بدون أن تدرى كانت عندما تذهب لزيارة أقارب أو أصدقاء تبهرها النوافذ التى تطل على الطرقات أو الأشجار. فى طفولتها كانت تنظر متسائلة، لماذا ليست هذه النوافذ فى بيت أسرتها؟! وفى صباها كانت تنظر هى وأحلامها مع عالم مختلف فسيح. ومع بداية شبابها صممت أن تمتلك بيتا به نوافذ تطل على العالم كله، فى الكلية الجامعية تقرب إليها زميل لها، لم تجد فيه ما يحقق أحلامها فى

الحياة الثرية لكنه كان الوحيد الذى تودد إليها وأحبها، فكرت إنها بقوة حبه لها يمكن أن تدفعه إلى النجاح المادى.

كثيرون من الشباب متوسطى الحال سافروا إلى بلاد النفط وحققوا مستويات عالية من المادة، بدأت تتحدث معه عن أحلامها فى السفر والثراء منذ كان فى السنة الثانية من كلية العلوم، رسخت أحلامها فى قلبه. وبقوة الأحلام حققا نجاحاً فى دراستهما. فى ذلك الوقت كانت دراستهما مطلوبة فى الدول النفطية، وسعيا للسفر إلى إحداها. فى أول اجازة لهما بعد عامين اقترح زوجها أن يحملا هدايا للأهل فرفضت قالت: إذا كان الناس مغرمين بالأشياء الأجنبية فعليهم شراؤها. ونفذت فكرتها. خلال العشر سنوات التى قضياها هناك، كلما عادا فى اجازة يحضران ما يطلبه وما لا يطلبه الأهل والأصدقاء من السلع الأجنبية ويبيعونها لهم بالعملة المصرية حسب تحويل عملة البلد التى يعملون فيها. وبذلك كسبا من السلعة الواحدة أضعاف ثمنها، بتلك الطريقة كونا ثروة فوق ثروة ماكسباه من عملهما.

فى السنوات الثلاث الأخيرة من العشر قررت ألا تعمل لتربى طفلهما، وحثت زوجها على أن يعمل عملا إضافيا يعوض دخلها. تعب الزوج من العمل المتواصل المرهق فى تلك السنوات الثلاث. قبل عودتهما إلى أرض الوطن اشتريا شقة، اختارتها هى فى حى جديد بعيدا عن العاصمة، بها نوافذ وشرفة كبيرة تطل على شارع واسع. أثثاها معا واقتسما المال الفائض بينهما، لأنه لم يكن هناك مكان

محجوز لعمل زوجها فى القاهرة، فقد وجد عملا بعد مشقة فى هيئة علمية وأصبح دخله محدودا، لم يعجبها هبوط طموحه المادى، لقد تعب ولم يعد يستهويه العمل الذى يأخذ كل وقته وجهده ويعطيه بدلا منهما المال الوفير.

وبدأ يسحب من رصيده فى البنك، أما هى فقد وضعت مدخراتها فى وديعة دولارية فى البنك. لم ترد أن تعمل وأرادت أن تعيش سيدة مجتمع! كلما انخفض رصيد زوجها المالى ارتفع رصيد المشاجرات بينهما. وصممت على الطلاق، بشخصيتها العنكبوتية تنازل زوجها لها عن الشقة والأثاث على أن تعفيه من النفقة ومؤخر الصداق. التهمت العنكبوتة زوجها، وخرجت لتزاول حياتها الاجتماعية، فقد أصبح لها صديقات ينتمين إلى نواد رياضية مختلفة، فى أحد النوادى تعرفت على رجل أعمال مطلق من فصيلة العناكب مثلها، لكنه يتميز بصفات أنثى العنكبوت فى الإلتهام، وليس بصفات ذكر العنكبوت الذى يذهب ضحية لغرائزه، وقد خانها ذكاؤها لأول مرة فى حياتها فلم تعرف لماذا طلق الرجل زوجته السابقة. وفى زفافها تهامس الخبثاء الذين يعرفون الكثير عن حياة العناكب. من منهما سيلتهم الآخر أولا؟! كان ذلك فى الصيف الماضى وصحبها زوجها إلى فندق ضخم فى أحد المصايف المصرية بعدها فضل أن يعيش معها فى شقتها، ثم بدأ يتظاهر بالإفلاس، صفقة تجارية خانته.

مرت شهور العام ولم يعوض خسارته، أو عوضها ولم يخبرها

وبدأت حيويتها تنضب من العمل المستمر فى البيت لخدمته وخدمة أصدقائه الذين يصحبهم إلى بيتها كل مساء، وعندما طلبت منه أن يسافرا إلى مصيف لتستجم بعد عنائها طلب منها وديعتها الدولارية، وهنا لم تستطع التحمل، يكفى عام مضى لتلحق نفسها، فهل يصح أن يلتهم ذكر العنكبوت أنثاه ؟! إنها مازالت فى الأربعين من عمرهاوتستطيع أن تستعيد حيويتها ونضارتها، ويبدو أن الرجل كان ينتظر طلبها للطلاق فقد وافق على الفور، وبدأت العنكبوتة تخرج مرة أخرى إلى النوادى والمجتمعات، تراقب بتأن لتختار بحذر صيدا جديدا للزواج.

لقاء القطار

نظرت المرأة إلى الرجل الجالس أمامها فى القطار الذاهب إلى الإسكندرية وابتسمت، كان مستغرقاً فى قراءة جريدة الصباح، فلم يلتفت إليها عندما جلست أمامه فى المقعد المكتوب رقمه على تذكرتها، تحرك القطار ولم يرفع رأسه عن الجريدة، إنه هو الشاب الذى قابلته منذ عشرين عاماً وهما فى طريقهما إلى الإسكندرية، وربما فى نفس هذا القطار. فى ذلك التاريخ القديم كانت ذاهبة لتلحق بأهلها فى المصيف، تأخرت عنهم بسبب استلامها لعملها الجديد. لم يكن نفس القطار، هذه العربات جديدة ومكيفة الهواء. إنها تذكر أول كلمات معه عندما سألها إذا كانت تسمح له بفتح زجاج النافذة بجوارهما. وتوالت الكلمات بينهما. كان ذاهباً لوداع أهله فى مدنية الإسكندرية قبل سفره إلى بعثة دراسية فى إنجلترا لتكلمة دراسته الطبية، تذكرت لقاءاتهما

على شواطىء الإسكندرية بكل مرح الشباب وتفتحهما للحياة، كانا واعيين لظروفهما فلم يشركا أحلام المستقبل فى حاضرهما. فمن ناحيته لم يكن يعلم متى تنتهى دراسته فى الخارج ولم يرد أن يربك تفكيره بوعود الحب والارتباط، ومن ناحيتها كانت واعية لظروفه، فلم تنجرف فى عاطفة حب، والمستقبل أمامها ضباب مثل البلاد التى كان ذاهباً إليها، كانت فترة مرح بينهما بدون تعقيدات.

جاءت عاملة البوفية فى القطار تسألهما هل يريدان شيئاً؟ طلبت هى قهوة. ورفع رأسه عن الجريدة وطلب شيئاً. أخيراً التفت إليها فابتسمت، وجدت نظرته متعجبة ناسية. ذكرت اسمه بشىء من التأكيد، وليس التساؤل. قال إنه إنه هو.. فقالت إنها ربما كانت لاتتذكره أيضاً لولا أنها شاهدته على شاشة التليفزيون قريباً فى برنامج طبى سألها هل كانت مريضة من مرضاه وهو للأسف لا يتذكرها؟!«« أخبرته بلقائهما منذ عشرين عاماً قبل سفره إلى البعثة. ابتسم وخفق قلبها فرحاً عندما ذكر اسمها. مد يده مصافحاً وانتقل للجلوس فى المقعد الخالى بجوارها، وبدأ الحديث بينهما. حكى لها باختصار عن سنوات غربته وأنه تزوج من إنجليزية وأنجب ولدين، وبعد ثمانية عشر عاماً هناك بين الدراسة والعمل قرر العودة إلى بلده فطلبت زوجته الطلاق وحضانة ابنيهما، فهى لا تريد أن يعيشا بعيداً عن وطنهما، ولأسباب أخرى طلقها واتفقا على أن يذهب لزيارة الولدين مرة فى العام على أن يحضرا لزيارته فى العام التالى. وقد زارهما فى العام الأول بعد عودته، لكن أمهما رفضت حضورهما لزيارته، خافت أن يحجزهما بحكم قانون بلده.. ثم

حكت هى باختصار عن زواجها الذى استمرخمس سنوات، ولم تخجل من اعترافها أمام الطبيب أن زوجها طلب الطلاق لأنها لن تنجب، ولم تفكر بعدها فى الزواج، خافت من الإحراج، وعاشت لعملها وعلاقتها الاجتماعية، قال لها الطبيب إن الطب تمكن من معالجة العقم، ووجد طرقا كثيرة للإنجاب، فقالت إنها لم تعد تشتاق للطفل وقد تخطت الأربعين من عمرها، عندما وصل القطار إلى الإسكندرية كانا قد انتهيا من سرد حياتهما فى السنين الماضية باختصار. وعندما نزلا من القطار قالت بمرح ممزوج بالآسى. «أليس غريباً أننا عندما التقينا منذ عشرين عاما كنت أنت ستسافر للخارج، وفى هذا اللقاء أنا التى سأسافر للعمل فى دولة خليجية!!».. سألها لماذا السفر؟. قالت ليس لحاجتها للمال، لكن لحاجتها لتغيير نمط حياتها ومكان عملها ولتتعرف على مجتمع جديد، نظر فى عينيها وقال إنه يعيش فى بلده الإسكندرية وعمله وعيادته فيها، فإذاعاشت معه فى بلده ستجد ما تريد من تغيير لحياتها.

تساءلت بنظراتها؟! فسألها أن تفكر فى الزواج منه، وهو فى مثل عمرها فلا يريد الإنجاب الآن، والاعجاب بينهما موجود منذ لقائهما الأول، وتواعدا على اللقاء بعد يومين لتفكر بهدوء.. فى السيارة الأجرة جلست وحدها فى طريقها إلى بيت أهلها فى المصيف فكرت.. إنها تحب البحر وهذه المدينة، ولابد أن الرجل سكن فى قلبها طوال السنين الماضية، فلماذا فرحت عندما شاهدته على الشاشة الصغيرة، ولماذا خفق قلبها عندما تذكرها؟! ولماذا تغترب لتغير حياتها. والفرصة متاحة للتغيير فى وطنها؟!.. أخذت نفساً عميقاً من هواء البحر المنعش وقالت فى نفسها لابد أن تفكر بجدية فى الأمر.

القطة..

استقبلها فى محطة القطارات. تعجب من حقيبة ملابسها الكبيرة فقالت مادام لم يستطع أن يأخذ إجازة طويلة من عمله ليقضيها معها فى الإسكندرية، فقد أخذت هى إجازة طويلة من عملها لتقضيها معه فى حر القاهرة. قال: «عظيم»، ولم تعجبها الكلمة. جلست صامته بجواره فى سيارته الصغيرة القديمة، لقد اعترض والدها على زواجها وقال مستاء ألم يعجبها أحد من شباب الإسكندرية المقتدرين لتتزوج شابا من القاهرة!!. قالت أمها أن عائلة الشاب ناس طيبون وقد سألت عنهم أختها جارتهم فى القاهرة غضب والدها وقال إنه لن يستدين ليجهزها فالمهر الذى دفعه لايكفى إلا لشراء حجرة واحدة. قالت الأم إن ابنتها ستحزن فقال الأب لتشرب من البحر. وشربت البنت من البحر وتزوجت حبيبها قالت إن الحب الذى جمعها سيذلل العقبات ويحل

مشكلتهما. ومر عامان على زواجهما والمشكلة لم تحل. فهى لم ترد ترك عملها فى مدينة الإسكندرية، تحتاج لمرتبها الكبير منه لتكمل مع حبيبها تأثيث بيتهما. وحبيبها زوجها لايستطيع الانتقال للعمل فى مدينتها لأنه يشق طريقه بنجاح فى القاهرة ولديه شقة متواضعة اشتراها بالتقسيط عن طريق نقابته المهنية، ولايستطيع تجهيزها مباشرة، واتفقا على أن يمضى معها عدة أيام فى مدينتها فى بيت أسرتها، وتمضى معه عدة أيام فى مدينته فى شقته، إلى أن يجدا الحل. وعندما أخبرها إنه لن يستطيع أخذ إجازة طويلة هذا الصيف لتكليفه بعمل جديد شعرت بخوف وضيق وهكذا قررت أن تذهب هى إليه.

فى الطريق إلى شقته قال لها إنه جاءته هدية لطيفة. قطة.. «ماذا؟» قطة زاد شعورها ابالضيق. إذا فقد أحضر قطة لتسليه وتؤنس وحدته فلماذا يتعب نفسه فى حل مشكلتها؟!. شعرت بعداء للقطة قبل أن تراها. وتدفقت الأسئلة من ضيقها. كيف سيعامل هذه القطة. وماذا لو مزقت قماش المقاعد الجديدة وأكلت شراباته. وأين ستقضى حاجتها؟ وتوتر الجو بينهما. فى شقته بحثت عن القطة. دارت نظراتها خلف المقاعد ووجدتها. قطة صغيرة جميلة مذعورة مختبئة وفى عينيها حزن. قالت هذه قطتك ستموت من الخوف والوحدة، وكأنها تقول إنها هى التى ستموت من الخوف والوحدة. حمل القطة ووضعها بينهما على الكنبة، حاجز بينهما. سألته مغتاظة هل براها كل يوم ليجلس، هكذا بعيدا عنها؟! قال إنها وترت الجو بينهما، بغيظها تدافعت أفكارها وهى تراقبه مع القطة. ها هو يداعب القطة، يعطيها الحنان الذى تريده هى يحتضن القطة الحضن الدافىء الذى تريده هى سألته من الذى أهداها له؟

قـال زمـيلة لـه فى العـمل تـهـوى تربيـة القطط، سـرحت بأفكارها المغتاظة، ماذا بينه وبين زميلته هذه ؟!. تنبهت لأفكارها لا يصح أن تنجـرف لمشكلة جـانبيـة وتتـرك مـشكلتـهـا الأصلية. لاتدرى من أين جاءتها الشجاعة لتسأله أن يساعدها فى البحث عن عمل يناسبها فى القاهرة. هل جاءتها الشجاعة من غيرتـهـا من القطة أم من صـاحبة القطة ؟!. قال بفرحة: «أخيراً إقتنعت بوجهة نظرى فى ترك عملك فى الإسكندرية، مهما كان المرتب كبيراً فهو لايساوى إبتعادنا عن بعضنا». وأخبرها أن العمل الذى أسند إليه فى الشهور الماضية سيأخذ عنه مكافأة كبيرة، ويستطيعان تدبير أمورهما معا، بدلا من أن يدبر كل منهماوحده توفير المال اللازم.

نزلت القطة من فوق صـدره وذهبت إليـهـا صـعـدت إلى حـجـرها رفعت رأسها الصـغير إليها. لم تبعدها عنها، شعرت إنها طفل بائس يبـحث عن حنان. ربتت عليـهـا مـسـحت على شـعـرها الناعم، داعـبت رأسها، إستكانت القطة. قال: «فى إجازتك هذه سأطلب إجازة ونذهب معا إلى الإسكندرية لقضاء يومين ونعود ببقية أشيائك. وحجرة النوم. تعبت من إبتـعـادتك». إنفـرجت أسـاريرها إبتـسمت. نظرت إلى القطة فوجدتها تنظر إليها بعينيها الزرقاوان وقد ذهبت نظرة الذعر عنهما شعرت بحنان نحوها كأنها تحمل طفلا، شعرت بحنين للأمومة، سألها «هل أحـببت القطة ؟». إبتـسمت وضـمـتـهـا إلى صـدرها فاقـترب منها وضمها إلى صدره هى والقطة.

حبها الأول..

نظر الرجل إلى زوجته وهى تعد طعام الإفطار، شعرها منعكش، وانحصرت الصبغة عن نصفه العلوى، عيناها منفوختان، وجسدها ممتلىء ومتهدل تحت قميص النوم فكر فى الكلمات التى سمعها عنها بالأمس وهز رأسه متعجباً. وربما لأول مرة منذ سنوات عديدة يتأملها ولأول مرة أيضا يتذكر منظرها أول معرفته بها وزواجهما كانت لاعبة رياضية رشيقة، وجسدها متناسق، وكانت عنايتها بنفسها تجعلها جميلة، مع مرور السنين نسى منظرها القديم، وها هو يتذكره فجأة من الكلمات التى سمعها عنها بالأمس سألها من هو قريبها الذى كانت تحبه وهى فى المدرسة الثانوية؟! أولا نظرت إليه بدهشة ثم ضحكت وسألته هل هذا سؤال يسأله لها بعد مرور أكثر من ثلاثين عاما على زواجهما؟!. لم يجار ضحكاتها وسألها جادا عن قريبها هذا سألته لماذا

سؤاله اليوم؟!. لم يجب عن سؤالها وقال «لذلك كنت مترددة فى الزواج منى؟!» قالت له أن يعقل فهما الآن جدان ولهما خمسة أحفاد كان الزوج بالأمس مدعوا فى بيت زوجين صديقين لهما يقيمان فى الصيف على بعد شاطئين من الشاطيء الذى يصيفان فيه فى «العجمى»، واعتذرت الزوجة عن الذهاب معه كعادتها فى السنين القريبة الماضية كان ضمن الموجودين فى الدعوة امرأة فى عمر زوجته وزوجها لم يقابلهما من قبل، وتطرق الحديث إلى ذكر زوجته عندما كانوا يشاهدون مباراة للكرة الطائرة بين الآنسات فى الألعاب الأولمبية المعروضة فى التليفزيون قالت المرأة أنها كانت تلعب هذه الرياضة فى المدرسة الثانوية، فقال إن زوجته كانت تلعب هذه الرياضة أيضا فى المدرسة وفى الجامعة. سألته المرأة عن اسم المدرسة الثانوية التى كانت بها زوجته. فذكره بعد أن أجهد تفكيره. فقالت المرأة إنها مدرستها، ولما سألته عن اسم زوجته وذكره لها صاحت المرأة إنها تعرفها. وكانت من أبرع زميلاتها فى هذه اللعبة، وكانت أيضاً صديقتها ومن أرشق اللاعبات ثم قالت «لابد إنك قريبها الذى كانت تحبه فالتشابه كبير بينكما» واستطردت المرأة فى الحديث عن صديقتها القديمة. وكيف كانت تغنى أغنيات الحب وهى هائمة فى حبه، ولقاءاتهما خلسة بعيدا عن الأهل وحكاياتها عن تلك اللقاءات، وكم كانت تود أن تراها اليوم فقد افترقنا بعد الدراسة الثانوية لأن المرأة لم تدخل الجامعة وتزوجت كان الرجل يهز [illegible] ه وهو يستمع إلى حكايات زوجته وبلباقة حول الحديث إلى حديث آخر حتى لا يقول الحقيقة وهو إنه قد تعرف على

زوجته بعد انتهائها من دراستها الجامعية وفى مكان عملها، وإنه ليس قريبا لها من بعيد أو قريب والتشابة بينهماجاء بالصدفة التى تحدث عادة بين البشر طوال سنوات زواجه لم تثر زوجته شعوره بالغيرة فهى امرأة ملتزمة ببيتها وبناتها وبعملها إلى أن طلبت معاشا مبكراً لترتاح فى عمرها الخمسينى، فكيف يشعر بالغيرة الآن من حكاية قديمة كانت فى حياتها؟!. وتذكر صورتها فى تلك الفترة ربما لذلك هز رأسه متعجبا وهو يراهاعلى هذه الصورة صباح اليوم جلست الزوجة أمامه بعد إعدادها طعام الإفطار فسألها مرة أخرى عن قريبها الذى كانت تحبه تجاهلت سؤاله وأخبرته أن بناتهما وأحفادهما سيحضرون اليوم من «المعمورة» لقضاء اليوم معهما قال الزوج مستاء إنها ستقضى اليوم فى المطبخ، فقالت إنها بالأمس فى غيابه أعدت طعام الغداء تذكر الزوج حديث الأمس فعاد لسؤالها عن قريبها الذى كانت تحبه. ولأنه لم يعد يتأمل وجهها،فلم يدر إذا كان تدرج بحمرة الخجل أم من شمس الشاطىء. لأوة مرة منذ سنين بعيدة يخفق قلب الزوجة بشعور غريب لاهتمام زوجها العاطفى ولغيرته. استعرض الزوج أسماء أقاربها الرجال الذين أصبحوا فى مثل عمرها أو أكبر قليلا. ومع كل اسم يراقب انفعالات وجهها ليتعرف عليه، لكنها لم تنفعل بذكر أى اسم منهم، فكانت مستمتعة بهذا الشعور الذى اعتراها، ولم تعترف له باسم قريبها الذى كان حبها الأول.

ابتسامة الجيوكندا

فى قرية جديدة على الساحل الشمالى عندما كانت تلعب بالكرة مع ابنها ذى العشر سنوات وابنتها ذات السبع سنوات تعثرت الكرة فى قدم مهندس الديكور الذى كانت تعمل معه وتحبه، خفق قلبها لمفاجأة رؤيته بعد عشر سنوات من زواجها وابتعادها عنه وعن عالم الديكور، سألها مباشرة هل مازالت تحقد عليه لأنه دفعها إلى هذه الزيجة؟!. قالت بمرح بل هى تشكره لأنه كان السبب، هز رأسه متعجباً وقال لها إن ابنتيه كانت السبب فى عودته إلى والدتهما. ونادى على شابتين جميلتين لتسلما على مساعدته القديمة. حقيقة إنها لا تحقد عليه. لقد عذبها خانها. استغلها وأحبها قليلاً. لكنه بدون أن يدرى قدم لها الحياة التى تمنت أن تعيشها فى حضن رجل آخر أحبها كثيراً.

لقد عملت معه فى مكتب الديكور الذى يمتلكه بمرتب بسيط، قبلته لأنها أعجبت به من أول نظرة، وعندما علمت أنه مطلق أطلقت

لعواطفها العنان وأحبته وأحبت طفلتيه اللتين كانت تراهما أحياناً معه. كان يفضل صحبتها فى مهام عمله الكبيرة لتميزها عن زميلاتها وزملائها فى المكتب، ومع ذلك كانت مكافأتها المالية قليلة، وعندما صحبها لعدة أيام فى مدينة الإسكندرية لعمل ديكور فندق جديد ظنت أنها فى أسعد أيام حياتها، فكانت معه نهاراً فى العمل، وليلا فى نزهات ترفيهية، وتبادل معها عاطفتها فى تلك الأيام، لم يكن يغيب عنها فى مغامرة من مغامراته العاطفية، ولاتضايقها المكالمات النسائية التى تضطر أحياناً للرد عليها فى مكتبه. وبنت أحلاماً كبيرة فى تلك الفترة تماماً مثل البيوت التى يبنيها الأطفال على رمال الشاطىء، شقق كثيرة صممت ونفذت ديكوراتها معه، وأعجبت بها، لكنها لم تعشق مثل هذه الشقة المطلة على النيل فى مكان هادىء من العاصمة.

قالت له يوماً إنها تتمنى أن تعيش معه فى شقة كهذه، قال لها ساخراً إنه لن يتزوج فهو يحب طفلتيه، ولن تكون لهما شريكة فى حبه، وإمعاناً فى تعذيبها تواعد فى ذلك المساء مع امرأة من النساء الكثيرات اللاتى يعرفهن وخرج معها أمام عينيها، لم تنهزم أحلامها، فى اليوم التالى وهما يعملان فى الشقة، قالت إنها تتمنى أن تعيش فى شقة مثلها، سألها: «افرضى صاحبها قرد وعرض عليك الزواج هل تقبلين؟!». من عذابها فى حبه ومعاملته اللامبالية قالت: «إذا أحبنى القرد وعاملنى معاملة طيبة أقبل».. وقد كان.. فى يوم أثناء عملهما جاء القرد صاحب الشقة. حقيقة وجهه فيه شبه كبير من القرد، لكن ابتسامته مثل «الجيوكاندا» المشهورة التى صورها قديماً الرسام الإيطالى

«ليوناردافنشى» ابتسامة جميلة. حنونة وغامضة. رجل فى مثل عمر حبيبها يكبرها بعشر سنوات. ويخفى عيوب منظره بملابس أنيقة وأخلاق راقية، مطلق أيضاً، لكن بلا ذيول من أولاد أو بنات، وقد أراد أن يغير حياته فى هذه الشقة، فى عمارة عريقة قديمة، لذلك تطلب العمل فيها وقتاً طويلاً لتصبح شقته جديدة. كان الرجل يعاملها كأنها أميرة يجب مراعاة البروتوكول فى معاملتها، وتعجب مهندس الديكور من الرجل الذى يترك عمله للمكوث معهما فى شقة، ويتحدث معها كثيراً انتهى العمل فى الشقة، لكن الرجل لم ينته من طلبها فى المكتب ليتحدث معها، ودعاها يوماً على العشاء وطلبها للزواج، سألته لماذا طلق زوجته، فقال لها ألا تسأله شيئاً، وهو لن يسألها شيئاً عن حياتها السابقة. أولا خافت أن تكون معاملته الحسنة تخفى سوءاً فى أخلاقه. لكن الأيام أثبتت لها عكس ذلك.. عندما أخبرت رئيسها أنها ستتزوج الرجل، قال لها ساخراً إنها ستتزوج الشقة التى أحبتها، قالت له إنها أحبت الرجل من حبه لها ومعاملته الطيبة، شعر بالغيظ من إجابتها فسألها مندفعاً كأنه يفصح عن حبه لها، ألا تنتظره إلى أن تكبر البنتان ؟!..

نظرت إليه بأسى وقالت له: «نساء كثيرات ينتظرونك». كان يمكن أن تضعف أمام اعترافه المفاجىء بحبها، لكن فى تلك اللحظة ظهرت لها ابتسامة الجيوكندا الجميلة. الحنونة الغامضة كأنها تحذرها، وانتصرت على لحظة الضعف وتزوجت من الرجل الذى حقق لها أحلامها، وأكثر مما حلمت به، وأحبته كأنها لم تحب أحداً من قبل.

الجرح

قال لها طبيبها إنها لابد أن تذهب لطبيب جراح، وطمأنها على بساطة ما تشكو منه «كيس دهنى» انتفخ فى عنقها ولابد من استئصاله بجراحة، كتب لها اسم طبيب جراح، اصابها الاكتئاب، وهاجمتها الهواجس، فلم تلتفت إلى اسم الجراح، وذهبت إليه وحدد لها موعداً فى المستشفى.

كان الطبيب الجراح لطيفاً حنوناً، حاول ان يزيل خوفها قبل دخول حجرة العمليات، وسمح لزوجها ان يصحبها اثناء إجراء العملية حتى يزيد اطمئنانها بوجوده، لم تستدع العملية تخذيراً كاملاً، فقط لهذا الجزء من عنقها، كانت تراقب عينى الطبيب الظاهرتين من القناع الطبى فجأة، وسرحت بأفكارها، هل هو ذلك الطبيب الذى جرح قلب صديقة وزميلة لها كانت تعمل معها فى مكان واحد؟! كانت صديقتها

تحبه ويحبها، لكنه تركها وتزوج من أخرى.. هل هو؟! ربما الأسماء تتشابه، وهى لا تذكر إذا كان الطبيب الذى جرح قلب صديقتها كان طبيبا جراحاً باطنيا، أو طبيب أسنان.. قالت فى نفسها وهى تراقب عينيه: لا يمكن أن يكون هذا الرجل العطوف، ذلك الشاب الذى جرح قلب صديقتها، وظل الجرح يدمى لسنين طويلة، انتهى الطبيب من عمله، ولم تستدع جراحتها المكوث فى المستشفى، والحمد لله لم يقطع لها الجراح شرياناً بالخطأ، ولم يلمس مشرطه عصباً حيوياً، كما خيل لها من مخاوفها.. اثناء كتابته لها شهادة بإجازة مرضية من عملها، توقف قليلاً امام اسم ومكان العمل، وحدد لها موعداً لزيارته فى عيادته، شعرت براحة واطمئنان مع الطبيب الجراح، لكن شغفها لمعرفة إذا كان هو الذى جرح صديقتها القديمة شغلها، تذكرت شيئاً هاماً سيقودها لمعرفة شخصيته، تذكرت ابن خالته المهندس الزراعى، فقد قابلت ذلك الطبيب عدة مرات مع صديقتها، وابن خالته الذى تبادلت معه الإعجاب، وكانت تحلم مع صديقتها بفرح كبير يضمهم الأربعة، لكن احلامهما هزمت عندما تزوج الطبيب من أخرى، ولما سألت ابن خالته لماذا لم يتزوج الطبيب صديقتها؟ قال ببساطة صدمتها.. لأنه وقع فى الحب مع أخرى، فابتعدت هى أيضاً عن ابن خالته، خافت ان يجرحها هو أيضاً، ونسيت تماماً فى زحمة الحياة ومرور السنين هذين الاثنين، الطبيب وابن خالته، وانتقلت صديقتها للعمل فى مكان آخر وتزوجت من رجل أحبته، بينما بقيت هى فى نفس مكان العمل وتزوجت من رجل احبته ايضاً، وهى ذاهبة إلى الطبيب الجراح مع



زوجها ليكشف على الجرح وينتزع خيوط الجراحة، فكرت أن تسأله إذا كان يعرف هذا المهندس الزراعى، وتذكر له اسمه، فإذا كان يعرفه فهو إذاً الطبيب الذى كانت تحبه صديقتها، لكن كيف تسأله عن حب قديم أمام زوجها؟! قررت ألا تسأله شيئاً عن ذلك التاريخ القديم، ليكن هو أو طبيب آخر لماذا تريد أن تعرف الآن؟!.

لماذا بعث الماضى فى الحاضر وتذكر الجروح القديمة؟!.. بدأ الطبيب الجراح - اثناء انتزاعه لخيوط الجراحة من عنقها - الحديث مع زوجها فى موضوعات متنوعة، ربما ليصل إلى حديث أهمية الأراضى الزراعية، وذكر اسم المهندس الزراعى ابن خالته الذى ترك حياة المدن بعد أن هجرته التى أحبها، واشترى أرضاً صحراوية، حولها إلى أرض زراعية، كان ينتزع آخر خيط من الجراحة اثناء حديثه عن ابن خالته، فوضعت يدها على فمها، ليس لتكتم صرخة من ألمها، لكن لتكتم صرخة.. إنه هو.. صمت الطبيب قليلاً. ثم أكمل حديثه للزوج «تعرف تهور الشباب يتصرفون باندفاع عاطفى! ولا يدركون أنهم يجرحون الآخرين بتصرفاتهم».. هز الزوج رأسه موافقاً. وإن لم يفهم ماذا يقصد، لكنها فهمت أنها سببت جرحاً لابن خالته، كما سبب هو لصديقتها جرحاً. سألته متى تختفى علامة الجرح من عنقها.. فقال الزمن يخفى كل الجروح، وكأنه يقول لها إنه أيضاً تذكر.

قبل أن ينتهي الصيف

كتمت الزوجة ضحكاتها حتى لاتزيد من غضب زوجها وثورته على امه بعد أن قال لها الخبر. سأل الزوج زوجته وكأنه يسأل نفسه: هل هو قصر يوماً فى حق أمه؟

قالت الزوجة وهى تجاهد لإخفاء ضحكاتها، وشماتتها أيضاً إنها لم تجده مقصراً مع أمه فى أى شئ منذ عرفته من ثلاثين عاماً، ومنذ زواجهما من خمسة وعشرين عاماً، حتى إنه قد حجز لأمه الحجرة المجاورة لحجرتهما فى الفندق الذى قضيا فيه أياماً من شهر العسل. لم يلتفت الزوج إلى تلميح زوجته على تلك الأيام، وقال إنه لم يترك أمه يوماً وحدها، ولم يضايقها فى شئ. كادت الزوجة أن تقول له: «أنا التى ضايقتنى، وتركتنى وحدى من أجلها، لكنها صمتت.

أكمل الزوج كأنه يحدث نفسه: «منذ ترملت أمى وهى فى عز نضوجها تحملت مسئوليتها، ليس فقط لأنى ابنها الوحيد وهذا واجبى،

لكن لأنى أحبها، وتزوجتك ليس لأنى أحبك فقط، بل لأنها أحبتك أيضاً.

واكملت الزوجة: «وعندما رفضت أمك أن تعيش معنا، لم تتركها يوماً وحدها، تذهب إليها كل صباح، وكل مساء»

قال الزوج: «لم أعش معك، ومع ابنينا مثلما عشت مع أمى».

صمتت الزوجة حتى لا تذكره بالمشاجرات التى حدثت بينهما بسبب تركها وحدها مع ابنيها وهما طفلان ليخرج مع امه أو ليوصلها إلى زياراتها أو ليسليها.

قال الزوج مستاء: «منذ ظهر هذا الرجل فى حياة أمى وتصرفاتها لا تعجبنى».

قالت الزوجة: «لم تخبرنى من قبل عن هذا الرجل، هل هو يصغرها كثيراً فيطمع فى مالها؟»

قال: «كان صديقاً لأبى، وترمل منذ عشر سنوات، والتقى بأمى اثناء تجوالها فى سوبر ماركت، أول مرّة تخرج لشراء مستلزماتها فى غيابى، فى دلك اليوم دعته أمى إلى بيتها، وعندما ذهبت إليها كعادتى لم يشعرا بى وانا افتح الباب، كانا يجلسان وكل منهما يمسك بيد الآخر ويبكيان، منظر مؤثر.. أليس كذلك؟ لكنه اغاظنى، قالت امى بعد ان قدمته لى إنهما تذكرا الراحلين، ما الذى يبكيك ياأمى الآن بعد رحيل أبى من ثلاثين عاماً؟!

كتمت الزوجة ضحكاتها وسألته هل الرجل ليس له بيت مناسب فيطمع فى بيت أمه؟!

قال الزوج: إن الرجل ثرى وله ابنان متزوجان ويعيشان فى مستوى مرتفع. ثم قال ثائراً: «كنت أظن إنها ترفض الزواج من أجل ذكرى أبى، وليس بسبب هذا الكلام الفارغ الذى كتبته لى».

لوح بالخطاب فى يده وقال: «تصورى تقول لى فى خطابها إنها وجدت الرجل الذى استطاعت ان تحبه فى غفلة من مراقبتى لها، واننى لم اعطها الفرصة للتعرف على رجل لأننى انانى فى حبها وحب أبى، وأن هذا الرجل شجعها على الخروج من سيطرتى عليها».

اخفت الزوجة ابتسامتها وقالت: «من حقها ان تعيش حياتها».

صرخ الزوج: «الآن وهى فى الخامسة والستين من عمرها؟!»

قالت الزوجة: «أمك فى صحة جيدة، وشكلها مقبول»

قال الزوج غاضباً: «وتسألنى أن احب هذا الرجل لأنه مثل أبى. ليس هناك من هو مثل أبى» سألت الزوجة: «ومتى تزوجا؟».

قال الزوج ثائراً: «اليوم صباحاً وأنا فى عملى، وكتبت لى فى الخطاب الذى وجدته بدلاً من ان أجدها إنهما تزوجا فى حضور ابنيه، وسافرا على الفور إلى بيته فى الإسكندرية ليلحقا بعض الوقت قبل أن ينتهى الصيف، ولم تخبرنى بهذه التفاصيل، خافت أن افسد عليها فرحتها واضيع عليها فرصتها لتعيش حياتها.. خلاص.. لن أسأل عنها».

اخفت الزوجة تشفيها فيه وقالت له: إنها مازالت أمه.

قال غاضباً: «هل تريدين أن أذهب لأستقبلها بعد شهر العسل بالزهور والاحضان، وابارك لها زواجها؟!»

قالت الزوجة وقد ذهبت ضحكاتها المكتومة: «لمَ لا.. دعها تعيش في سلام بتقبلك لحياتها الجديدة، وعش حياتك أنت، ابناك محتاجان إليك ولتوجيهاتك وهما فى بداية حياتهما العملية، وأنا محتاجة لك ولصحبتك فى عمرنا هذا»..

نظرا الزوج إلى زوجته كأنه لم يرها من سنين، اقترب منها واحتضنها، احتضنته، وضع رأسه على صدرها وأجهش بالبكاء.

موصومة بالطلاق..

وصلت إلى العنوان الذى كتبه لها والدها بعد أن تاهت قليلاً وسألت كثيراً فى هذا الحى القديم من مدينة الإسكندرية. إنها تتذكر الأستاذ عندما كان يزورهم فى القاهرة، كان صديقاً لوالدها فى المصلحة الحكومية التى كانا يعملان بها. رجل طيب مكشوف عنه الحجاب، كان يقرأ الطالع فى الفنجان، ويكتب ادعيته واحجبته، ويقرأ على بخور يتبخرون به فى البيت. إنها تتذكر الرجل الطيب الذى لم تره منذ خمسة عشر عاماً، والدها أيضاً تذكره أمام حيرتها الأخيرة، فبحث فى دفتر العناوين القديمة وكتب لها عنوانه لتزوره مادامت ستذهب لتمضى عدة أيام فى بيت أختها الصيفى هناك..

لقد تزوجت وطلقت ثلاث مرات وهى مازالت فى الثلاثين من عمرها، وحكايات الفشل حدثت مماثلة فى الزيجات الثلاث، يعجب بها

الشاب وتعجب به ويمضيان فترة خطوبة قصيرة، ويُعقد القرآن، وفى أثناء الاستعداد للانتقال إلى بيت الزوجية تحدث الاختلافات وتنتهى بالطلاق، يعنى تزوجت وطُلقت على الورق فقط، وعندما تقدم لها العريس الرابع احتارت وبكت من الإعجاب بالشاب والخوف من الفشل، أمام حيرتها ودموعها تذكر والدها الرجل الطيب الذى انتقل إلى مدينة الإسكندرية بعد زواجه من إسكندرانية وعمل هناك، ونصحها أن تذهب إليه ومعها صورة الخطيب الجديد لتسأله المشورة.

وقالت أمها ربما يكشف عن عمل شرير معمول لها من امرأة شريرة من عائلتهم لأنها رفضت الزواج من ابنها، لذلك لا تتم زيجاتها.. صعدت إلى بيت قديم، قرأت اسم الأستاذ على باب إحدى الشقق، فتحت لها أمرأة بيضاء فى منتصف العمر. بضة وجميلة، عندما سألتها عن الأستاذ وإنها تريده فى شئ هام، قالت لها المرأة إن الأستاذ لم يعد يفعل مثل هذه الأشياء الهامة، وكادت أن تغلق الباب لولا ظهور الأستاذ، فقالت له إنها ابنة «فلان» صديقه، وربما لا يتذكرها لأنه عندما ترك القاهرة كانت صغيرة، رحب بها وقادها إلى حجرة الصالون المغلقة التى تشع منها رائحة الرطوبة، فى الخامسة والستين من عمره، لكنه يتمتع بحيوة الشباب وهيبة الرجولة.

سألها أى خدمة يمكن أن يؤديها لها، وقبل أن تتحدث قالت لها الزوجة إنه منذ زواجهما لم يعد يقوم بخدمات من التى جاءت لطلبها. أشار الرجل إلى زوجته أن تصمت وقال إنه كان من زمن يتكسب من خدماته، لكنه الآن يقوم بها من باب الهواية لأصدقائه وأقاربه.

حكت للرجل قصتها وشكها فى العمل الشرير، واعطته صورة العريس الرابع، وطلب منها ان تعود إليه فى اليوم التالى. عندما عادت إليه قال الرجل الطيب إنه ليس هناك أى اعمال شريرة مكتوبة لها، والزيجات التى لم تتم ربما كانت بسبب سوء الاختيار أو سوء التفاهم.

أما الشاب الرابع فنصحها ألا تتزوجه لأنه سيتعبها، هو شاب متعب، كانت الزوجة تستمع إلى حديثه، وعادت بها الذاكرة عندما ذهبت إليه بعد مشوار طويل من الإسكندرية فى شكوى مماثلة واقنعها ألا تتزوج من الشاب الذى تقدم لها لأنه سيتعبها، وتزوجها هو.. فتحايلت إلى أن استجاب إلى رغبتها فى الحياة معها فى مدينتها وترك هوايته القديمة، شاهدت نظرات زوجها المعجبة بالبنت الجميلة اليائسة التى جاءت إليه من القاهرة، وتذكرت نظراته لها. حقيقة البنت المطلقة تصغره فى العمر كثيرا، لكنه ربما يفعل شيئاً من ألاعيبه القديمة ويجعلها تهيم فى حبه وتتزوجه، اقتنعت البنت بكلام الرجل الطيب وأعطاها بخوراً لتتبخر به، وكتب لها أدعية لتقرأها قبل النوم، وأن تزوره قبل عودتها إلى القاهرة، وعند انصرافها نزلت معها الزوجة بحجة ضرورة شراء شئ، وقالت لها وهما وحدهما إن زوجها لم يعد يقرأ الطالع، ولم يعد ينكشف عنه الحجاب، والبخور الذى اعطاه لها يمكن أن تشتريه من أى عطار، وفرصتها أن تتزوج من الشاب المتقدم لها لأنها اصبحت موصومة بالطلاق، والرجال كلهم متعبون، واعطتها نصائح فى كيفية معاملتهم، وأن تجعل الرجل ينفذ رغباتها وأوامرها كأنها رغباته

وأوامره هو، وألا تستمع إلى نصائح الأستاذ أو تعود إليه لأنه ربما يضيعها..

فكرت في كلام الزوجة ووجدت أنها فعلاً لا تعرف كيف تعامل الرجل، لذلك يهربون منها، واقتنعت بكلام الزوجة المجربة.

البديل ..

لم يلتفت أحد إلى الرجل الغريب الذى كان جالساً فى ركن من الصالون الكبير. كانت زميلات الأرملة يشاركنها البكاء، وزملاؤها معجبين بانشودة الوفاء التى كانت تشدو بها لرفيق عمرها. لقد ذهبوا إليها ليس فقط لتأدية واجب العزاء لزميلتهم، فالراحل كان أيضاً زميلاًلهم لفترة زمن. لم يلتفتوا للرجل الغريب الذى كان جالساً فى ركن من الصالون، لأنهم كانوا مبهورين بالصالون نفسه، ليس صالوناً واحداً بل عدة صالونات مفتوحة على بعضها، الصالون «الروستيك» الذى يجلسون فيه، وفى جانب من المكان الواسع صالون آخر من الطراز الصينى، وفى جانب آخر صالون ثالث من الطراز العربى، هذا غير التحف من التماثيل والغازات وأوانى الزرع المزركشة. بعض الموجودين لم يتعجبوا لهذا الثراء، فزميلهم الراحل ترك العمل معهم منذ عشر سنوات وعمل فى شركة أجنبية وكان يأخذ مرتبه بالدولارات.

لقد التحق جميع الحاضرين والأرملة والراحل زوجها بمكان عمل واحد فى مطلع شبابهم. شبان وشابات متفتحون للحياة متحمسون للعمل، متساوون تقريباً فى الوسط الاجتماعى، وليست لهم موارد مالية إلا من عملهم، الذين تحابوا وتزوجوا مثل الأرملة وزوجها، والذين تزوجوا من خارج مكان العمل. ظلوا سنين طويلة اصدقاء وصديقات، يزورون بعضهم بعضا فى بيوتهم البسيطة التى أثثوها فى ذلك الزمن قطعة.. قطعة.. ارتقوا فى عملهم وزادت مرتباتهم مع المكافآت المالية المجزية، اضافوا إلى بيوتهم، وبعضهم انتقل إلى بيوت افضل، لكن لم يؤثث أحد منهم بيته بالفخامة والثراء كما حدث فى بيت زميلتهم الأرملة ،زميلهم السابق. ترك بعضهم مكان العمل الذى جمعهم سنين إلى أماكن عمل أخرى، بواسطة خبرته أو معارفه ليزيد من دخله كما فعل زميلهم الراحل، وبقيت زوجته معهم، بطبيعة مشاغل الحياة وتربية الأولاد والبنات تباعدت زياراتهم لبعضهم، والذين تركوا مكان العمل القديم تباعدوا أكثر.

من طبيعة بعض البشر عندما ينتقلون من حال إلى حال افضل وأغنى فهم يبتعدون عن مجتمعهم القديم، ربما لاندماجهم فى مجتمع جديد، وربما يخافون من عيون مجتمعهم القديم أن تصيبهم بالحسد.

ويتفقون جميعاً على اللقاء فى مناسبات العزاء حيث لا يدعوهم أحدا، أما مناسبات افراح بناتهم وأولادهم فهم نادراً ما يلتقون فيها، نادراً ماتصلهم بطاقات دعوة للفرح. وهكذا التقوا فى بيت زميلتهم الأرملة وزميلهم القديم الذى رحل.

همست زميلة لزميلتها: «لم نعد نعرف كيف يعيشون إلا بعد موتهم».

اندمج الرجال الزملاء القدامى فى احاديث خاصة باعمالهم وانشغلت النساء بالاستماع إلى نواح الأرملة، لذلك لم يلتفت أحد إلى الرجل الغريب الذى كان جالساً فى ركن من الصالون صامتاً. لم يشارك الرجل احاديثهم، لكن اذنه كانت مع نواح الأرملة وحديثها عن زوجها واعتمادها الكلى عليه، ولا تعرف كيف تتصرف بدونه، وابنها الوحيد بعد ان انهى دراسته فى امريكا فضل الحياة هناك، وعرض عليها أن تذهب لتعيش معه، لكنها لا تستيطع الحياة خارج أرض بلدها، فقد سافرت إلى بلاد فى أوروبا وأمريكا مع زوجها ولم تحب سوى بلدها.. عندما انصرف الزملاء والزميلات لم يلتفت أحد إلى الرجل الغريب الذى ظل جالساً. وتوقعوا ان تعيش الأرملة التى فى الخمسين من عمرها بقية حياتها وحيدة تردد انشودة الوفاء لزوجها الراحل، لذلك كانت دهشتهم عندما علموا انها تزوجت. ولم يمر على انشودة الوفاء التى كانت تنشدها سوى ستة أشهر. احاطت بها الزميلات ليسألنها عن الرجل. قالت لهن إنه كان صديقا جديدا للمرحوم، ولم يتركها وحدها منذ وفاة زوجها..

ألم يشاهدنه يوم ذهبن إليها للعزاء؟!.. أشادت بأخلاق الرجل، وهو أرمل مثلها، وقد تعود أن يكون مسؤلاً عن امرأة، وهى تعودت الاعتماد على رجل، أى ان كلا منهما يكمل الآخر. ولم تستطع انتظار سنة على

رحيل زوجها لتتزوجه، خوفاً على سمعتها، فهو يذهب إليها يومياً لتلبية طلباتها، وهى لم تتزوجه بفرحة كما يعتقد الناس، بل بناء على طلب من المرحوم زوجها، فقد قال لها قبل رحيله من الصعب أن تعيش وحدها، وهو يعرف أنها لن تحب غيره، لكن لابد من البديل عنه ليرعى شئونها، لذلك تزوجت، واخذ الرجل محل الراحل فى اعتمادها عليه فى كل شئ حتى فى إشعال الفرن الحديث الذى لا تعرف كيف تشعله..

أخونا الكبير..

جلست الاخـوات الثـلاث فى سـيـارة الأخت الكبـرى التى تولت القيادة، فى طريقهن إلى بيوتهن فى مصايف الأسكندرية، بعد زيارة محبطة قمن بها لأخيهن الكبير فى القاهرة. حقيقة كل زياراتهن له محبطة، لكن هذه اكثر الزيارات إحباطا. جلسن صامتات، ربما حرارة، الجو فى هذه الساعة من النهار منعتهن من تبادل الحديث، وربما بسبب إحباطهن، وربما لأن كل واحدة منهن تعد حكاية مختلفة عن التى حدثت لتحكيها لزوجها. من ناحية حتى لا يشمت فيها، ومن ناحية اخرى فهن حريصات على إخفاء تصرفات أخيهن الكبير عن ازواجهن.

لقد تناقشت كل واحدة منهن مع زوجها إلى حد الشجار بسبب هذه الزيارة. فقد علمت الأخت الكبرى ان اخاهن الكبير عاد بالأمس من

لندن بعد أن اجريت له عمليه جراحية فى القلب، فاتصلت باختيها فى بيتيهما الصيفيين، واقترحت ان يصحبن ازواجهن اليوم ويذهبون إلى القاهرة لتهنئة أخيهن بنجاح العملية وأيضا لأن اليوم عيد مبلاده، ويعودون فى المساء. اعترض ازواجهن الثلاثة، احدهم قال إن السفر والعودة فى نفس اليوم شئ لا يتحمله، والآخر قال لينتظرن إلى إن يأتى الأخ إلى قصره الصيفى فى الاسكندرية، أما الثالث فقال إن أخاهن لا يستحق هذا الاهتمام، وكان الرد الأخير للأخوات الثلاث على ازواجهن بعد المناقشة أو المشاجرة، لابد أن يذهبن فهو.. «اخونا الكبير» ..

واستقر قرارهن على أن يسافرن بمفردهن، ويتبادلن قيادة السيارة فى الطريق الطويل. اشترين هدايا غالية، فمهما فرقهن الزمن أو الظروف عنه فهو أخوهن الكبير الذى يحملن له الحب والتقدير منذ طفولتهن. انجبتهن أمهن بعد عشر سنوات من ولادته، فى ثلاث سنوات متتالية. ومنذ صغرهن وأخوهن الكبير له مكانة مرموقة فى نفوسهن. أما هو فكان ومازال القريب البعيد عنهن. منذ طفولتهن ويشعرن ان هناك حاجزا يفصله عنهن. وكن ومازلن ينتهزن الفرص للقفز فوق هذا الحاجز للوصول إليه، بالرغم من ان زوجته قد قامت بتعليته، كعادة بعض النساء عندما يتزوجن الأخ الوحيد لعدة بنات فهن يعملن على أبعادهن عنه خوفا من تسلطهن على حياته الزوجية. فبعد ان كن يذهبن لزيارته كل أسبوع، اختلقت زوجته الاعذار لتأجيل موعد الزيارة، إلى أن نجحت مع مرور السنين فى ان تجعل زياراتهن لأخيهن فى المناسبات فقط، وحين يجتمع بهن فى بيت الوالدين. وكلما

تزوجت واحدة منهن كان يقوم بالواجب بإعطائها ظرفا به عدة عشرات من الجنيهات وينتهي واجبه من ناحيتها. هي مرّة واحدة أو مرتان زار كل واحد منهن في بيتها خلال الخمسة عشر عاما الماضية. ويعتذر لهن دائما بثقل اعماله فقد أصبح من كبار أصحاب الاعمال. واولاده وبناته غرباء مع اولادهن وبناتهن، ومع ذلك ظلت مكانته محفوظة في نفوسهن، هن اللاتي يسألن عنه ويزرنه، خصوصا عندما انقطع التلاقي به في بيت الوالدين بعد رحيلهما. وقد انتهزت الأخوات الثلاث فرصة مرضه وسفره للقفز فوق حاجز الجفاء بالسؤال عنه هاتفيا في لندن طوال إقامته هناك.

واستقبلتهن زوجته وقت الظهيرة وسألتهن لماذا اتعبن انفسهن وحضرن من الاسكندرية؟. كيف لا يحضرن؟!.. إنه.. «أخونا الكبير». قادتهن إلى حجرة الصالون، تعجبن أنها لم تصحبهن مباشرة إلى حجرة النوم حيث يرقد اخوهن. قالت لهن إن عنده ضيوف وقد نصحه الطبيب ألا يتحدث كثيرا او يرهق نفسه. انتظرن إلى أن يأتي دورهن لرؤيته، لكن ضيوفه لايخرجون ولا يصمتون، وأخيراً جاء إليهن أخوهن الكبير، اندفعن الواحدة وراء الأخرى في تقبيله وتهنئته بسلامة العودة وعيد ميلاده. أعطينه الهدايا. شكرهن باقتضاب وأعطى الهدايا لابنته الكبرى. لم يفتحها كما كان يفعل وهن صغيرات ويشكوهن بتقبيلهن. اعتذر لأنه لم يحضر لهن هدايا، قلن إن هديتهن هي عودته إليهن. لم تعجب زوجته هذه العبارة فقالت «عودته سالما». تركهن وعاد لضيوفه.

جلسن وحدهن فى حجرة الصالون. يسمعن جرس الباب والترحيب بوافدين جدد، وكلمات الشكر لزائرين ينصرفون، وصوت أخيهن الممنوع من الكلام يأتى إليهن وضحكاته تلعلع. قالت الأخت الكبرى لأختيها لابد أن ينصرفن، قمن، واقتحمن حجرة أخيهن فلحقت بهن زوجته. قالت الأخت الصغرى إنهن سيعدن إلى الاسكندرية الآن، وأكدت الأخت الوسطى أن الطريق طويل. لم يحتج أخوهن الكبير على خروجهن فى هذه الساعة وسفرهن بدون تناول طعام الغذاء ولم تدعهن زوجته. وشعرت الأخت الكبرى بالحرج وسط الضيوف فقالت إنهن وعدن ازواجهن بتناول طعام الغداء معهم اليوم..

ظلت الأخوات الثلاث صامتات فى سيارة الأخت الكبرى التى تقودها، والتى قطعت الصمت باقتراح أن يتناولن الطعام فى مطعم على الطريق الصحراوى ويقلن لأزواجهن إنهن تغدين عند أخيهن. قالت الوسطى إنها شاهدت خلال الباب الموارب لحجرة الطعام فى بيت أخيهن المائدة معدة لأشخاص كثيرين. وقالت الصغرى إنها شاهدت هداياهن الغالية ملقاة فوق سلة الغسيل القذر بجوار الحمام القريب من حجرته! للتفريج عن الغيظ والإحباط ضحكت الاخت الكبرى، وتوالت ضحكات الوسطى والصغرى وخلال ضحكاتهن قلن: هذا هو أخونا الكبير..

المديرة

ذهبت لمقابلته لتتوج فرحتها، ليكون يوما له علامة تاريخية فى حياتها العملية وحياتها الشخصية أيضاً، فى الصباح تُوجت حياتها العملية بإعلانها مديرا عاما للشركة التى تعمل بها منذ عشرين عاما، هذا المركز حلمت به، بل سعيت إليه منذ اصبحت نائبة لمدير العام، تدير معظم شئون الشركة، وتتدخل بخبرة دراستها فى ..بل المشاريع، بمجهوداتها وتعبها ومؤامراتها وصلت إلى ما تريد، ولم يكن قرار التعيين مفاجأة لها، فهى تعلم وتعمل منذ فترة زمن على أن تتولى الإدارة كلها عندما يخرج مديرها إلى المعاش.. فى الصباح عندما علم العاملون بالخبر اسرعوا بإقامة حفل صغير لها، وارتجل أحد العاملين أبياتا من الشعر بدأها بقوله.. «أيتها المديرة المنيرة»، فانفجرت ضاحكة، وارتبك الرجل، فصفق الموجودون، وأشارت له ان يكمل

أبياته الشعرية حتى لا يشعر بالحرج، لقد قررت أن تكون كما هى مع زميلاتها وزملائها ولن تتغير فى معاملتهم، ولن تغير أحدا من رؤساء الأقسام، هؤلاء الذين كانوا يدبرون لها المكائد الخائبة، وحتى سكرتيرة المدير السابق لن تغيرها، عندما منعت السكرتيرة بعض العاملين من الدخول إلى حجرتها إنبتها، وقالت لها أن باب حجرتها سيكون مفتوحا دائماً للعلملين، ولن تكون مثل المدير السابق.

فى الصباح فور إعلانها بتعيينها مديرا عاما اتصلت بوالدتها وقالت لها الخبر، استقبلته أمها بلا اهتمام وقالت أنها تريد أن تسمع الخبر الآخر المهم، فضحكت وقالت بثقة لأمها أن هذا سيحدث قريبا. وها هى تجلس فى المكان الذى حددته لحبيبها للقائهما بعد أن اخبرته بقرار تعيينها. لقد سألها الزواج فى أول سنة لحبهما منذ عشر سنوات، وطلبت منه التأجيل إلى أن يتقدم فى عمله وتتقدم فى عملها. وكل منهما تقدم فى عمله خلال تلك السنوات العشر، لكنها كانت تؤجل زواجهما. خافت أن تبدأ حياة زوجية فتعطل حياتها العملية وتنشغل عنها بتفاهات الأمور المنزلية. والآن وقد وصلت إلى هذا المركز يمكنها ان تكمل الصورة بحياتها الاجتماعية، لقد سمعت قولا أن المرأة تكون عرجاء بلا زوج.

هنأها حبيبها على المنصب الذى وصلت إليه، قالت أنها قررت أن تتزوجه الآن فقد «آن الأوان» وستنظم حياتيها العملية والزوجية حتى لا تفسد إحداهما الأخرى، وقررت أن تأخذ اجازة اسبوعا بعد تنظيم العمل، ليسافرا معا إلى الشاطئ، اسبوع عسل يكفى. وما رأيه فى تحديد موعد

الزفاف الشهر القادم؟. انتظرت منه أن يفرح. يهلل، يحتضنها وسط الناس، لكنها فوجئت بصمته. سألته ماذا به؟ قال: «كان يمكن أن يكون لنا بيت منذ عشر سنوات، وكان يمكن أن يكون لدينا طفلان، الآن هل ستنجبين وانت فى الاربعين ومديرة؟!. والآن لا أستطيع أن اعيش بعيدا عن أمى فأنا الذى ارعاها فى كبرها فهل تقبلين الحياة معى فى بيتها؟».

شعرت المديرة فجأة بخوف على حيويتها وصحتها ومركزها، وقالت له: «لننتظر بعض الوقت». طلب منها ألا تربط حياتها بحياته، فقد أصبح كل منهما فى طريق. سألته لماذا يقول لها هذا الآن وقد كان يشجعها؟. ولماذا يطلب اطفالاً وقد كان يرفضهم؟!. لم ترد أن تختتم يوم نصرها بإحباط، فقالت له أن يفكر جديا وانصرفت.. إنها لن تكون عرجاء بدون زوج، بل ربما تصبح كسيحة إذا تزوجت هذا الرجل حبيبها، طموحاته محدودة، وهى طموحاتها بلا حدود. فى طريقها إلى بيتها قررت ان تغير بعض رؤساء الأقسام الذين لا تثق فيهم، وليفهم زملاؤها وزميلاتها أنها اصبحت رئيستهم، لن تجعلهم يتبسطون معها أو يدخلون إلى حجرتها فى أى وقت، وستغير سكرتيرة المدير السابق بواحدة تكون اكثر ولاء لها!.

السبب نسيم البحر

كانت المرأتان قد تناولتا العشاء على انفراد فى شرفة إحداهما المطلة على البحر، واستلقتا على مقعدين مستطيلين، تداعبهما نسمات ندية رقيقة من تلك النسمات الحلوة التى يحملها البحر بعد يوم حار، لقد نشأت الصداقة بينهما بحكم صداقة زوجيهما، وكثرت لقاءاتهما فى المصيف حيث اشترى الزوجان اخيراً بيتين قريبين من بعضهما، لتأنس كل منهما بالأخرى فى غياب الزوجين الذين يقضيان فى القاهرة خمسة أيام كل أسبوع بسبب عملهما، فى هذا المساء ذهب أولادهما إلى حفل وبقيتا وحدهما، استرخت المرأتان بتأثير النسمات الندية، فسألت إحداهما الأخرى عن الزيجة التى رفضتها وندمت عليها بعد ذلك، قالت لها أن تلك القصة كانت وهى فى الخامسة والعشرين من عمرها. قبل زواجها بعام، عندما أحبها شاب فى العشرين من

عمره، كان جاراً لهم، وكانت مفتونة بطريقة حبه الرومانسية وإعلانها على الملأ، وقد طلبها للزواج، كانت اسرته ثرية فلم يعترض والدها، لكنها هى التى رفضت، خافت من فارق السن..

«كنت أفكر بعقلية سطحية غبية، أن الشاب لابد أن يكبر البنت فى الزواج، أما إذا كانت هى تكبره فهذه مصيبة. بعدها تقدم لى صديق زوجك، وكانت زيجة رسمية بإعجاب متبادل فقط، إذا كنت تزوجت من الشاب المتأجج العاطفة، لكانت حياتى أكثر حيوية ومرحاً، وكان الحب الذى يكنه لى يجعلنى ملكة متوجة... ثم سألت صديقتها نفس السؤال..

قالت: «كان ذلك وأنا فى عمر الثلاثين، قبل زواجى بعامين، فى ذلك الوقت أى منذ عشرين عاما كانت الفتاة التى تصل إلى الثلاثين ولم تتزوج يعتقدون أن قطار الزواج فاتها وشعرت باليأس»..

فى ذلك الوقت دعتها صديقة لها متزوجة لتصحبها وزوجها إلى حفل فى بيت أرمل فى السبعين من عمره وقريبها، بهرها بيته بالتحف التى كان يقتنيها، وأصبحت تلبى دعواته لها فى النادى الرياضى المشهور، وفى أفخم المطاعم والملاهى، كان جواً مثيراً استمتعت به وبصحبة الرجل المرحة إلى أن فوجئت بطلبه الزواج منها، أولا حسبته يمزح فقد كان كثير المزاح فضحكت لما وجدته جاداً فى طلبه، سألته كيف يفكر فى الزواج منها وهى مثل ابنته؟.. غضب وقال لها لم انه يتجب لذلك لم يشعر أنها مثل ابنته وانه أحبها منذ أول لقاء، فى تلك

اللحظة شعرت باليأس من حياتها وليس من الزواج فقط، فقد تجسم لها شكله العجورزوعمره الكبير، وحاول إقناعها بالزواج منه بأمثلة من مشاهير العالم لرجال كبار تزوجوا من فتيات تصغرهم بالثلاثين والأربعين مثل شارلى شابلن، وبيكاسو.. ولم تقتنع فصدمها بقوله انها لن تجد شاباً يتزوجها وهى فى ذلك العمر.

«وعاش الرجل بعد رفض الزواج منه عشر سنوات، إذا كنت تزوجته كان يمكن أن أكون الآن من المليونيرات، كنت فى ذلك العمر ابحث عن الحب وهكذا تزوجت من صديق زوجك، لم أفكر فى الثراء وقتها، ولم اتصور انه ستمر علينا أنا وزوجى سنون صعبة إلى أن تتحسن أحوالنا المادية» .

تنهدت المرأتان وسادهما الصمت، لولا تلك الثمالة الحلوة من نسيم البحر واسترخاؤهما ما كانت المرأتان تحدثنا عن مشاعرهما بهذه الصراحة!

تحبهم في هذا العمر..

عندما كانت فى العشرين من عمرها فقدت والدها، وفهم الناس المولعون بالعلوم النفسية لماذا تزوجت من رجل فى الخمسين من عمره، وتعجب الناس المولعون بالعلوم الاجتماعية، لماذا تزوجت من رجل مطلق ويكبرها فى العمر كثيراً مع أنها وحيدة والديها، وقد ورثت أرضاً زراعية خصبة وفيللا كبيرة تعيش فيها مع والدتها. بعيدا عن تحليلات الناس ومفهومهم فهى قد أحبت الرجب قبل الزواج، كان نضج عقلها وعواطفها لا يتناسبان مع الشبان الذين فى مثل عمرها، لكن نضوجها لم يتطور منذ كانت فى العشرين، وظلت منجذبة لعمر محدد فى الرجال، كان الزوج مهندساً زراعياً، فاعتنى بأرضها وعاش معها وأمها، وانجبت ولداً.

استطاعت أن تكمل دراستها الجامعية فلم يكن يشغلها شئ، ولم تكن فى حاجة للعمل بشهادتها فلديها ما يكفيها وزيادة من دخل مادى،

وليس لديها وقت فراغ ممل، فهى تلعب رياضة فى النادى وتقيم علاقات اجتماعية واسعة، عندما وصلت إلى سن الثلاثين، وصل زوجها إلى سن الستين، خرج إلى المعاش الوظيفى، وانشغل بأرضها الزراعية فلم يشعر بالبطالة، لكن أخلاقه تغيرت، أصبح كثير الشجار معها، شديد الغيرة عليها ومنها، لم تحتمل الرجل فى هذا العمر فطلبت الطلاق، وفهم الناس المولعون بالعلوم البيولوچية لماذا طلقت، فهى فى بداية نضوجها الأنثوى وزوجها فى بداية النضوب الرجولى، وفهم الناس لماذا تزوجت مرة ثانية من مطلق فهى فى هذه الزيجة أيضاً مطلقة، وله ابن كما لها ابن، ولابد من رجل يحميها ويعتنى بأرضها الزراعية، ولم يلتفتوا أنه أيضاً فى الخمسين من عمره عند زواجها منه. عاشت معه عشر سنوات، وانجبت بنتاً، وكانت سعيدة بزوجها العطوف المتفاهم، لكن عندما وصل إلى الستين من عمره لم تعد تتحمل الحياة معه، لماذا يتغيرون عند سن الستين؟!

لقد أصبحت فى الأربعين فى عز نضوجها الأنثوى وحيويتها، والزوج أصبح كسولاً غيوراً، وطلبت الطلاق. لم تتحمل الحياة بمفردها فى الفيلا الكبيرة بعد وفاة أمها، فباعتها، واشترت شقة واسعة قريبة منها وشقتين لابنها وابنتها فى العمارة التى ستصعد فى موقع الفيللا، وتعرفت على المهندس الإنشائى للعمارة الجديدة، كان متزوجاً وأحبها، ولم تمانع فى كونها الزوجة الثانية.. لم يتعجب الناس لزيجتها الثالثة، لكنهم تعجبوا أن الزوج الثالث عند الزواج كان أيضاً فى الخمسين من عمره وأيقنوا أنها مولعة بالرجال فى عمر الخمسين، وياويلهم عندما يبلغون الستين!.. وهذا ما حدث..

لقد كانت العشر سنوات التى قضتها معه مليئة بانشغاله فى إنشاء العمارة الجديدة وإعداد شقتين لزواج ابنها وابنتها وانشغالها معه بالحياة الاجتماعية والأفراح، وبالرغم من أنه لم يخرج إلى المعاش الوظيفى مثل الزوجين السابقين وأنه لم يتغير إلا أنها لم تتحمله عندما وصل إلى الستين، وطلبت الطلاق، وقال الناس أنها أصبحت فى الخمسين من عمرها وستعيش لتربى أحفادها فقد كبرت ولكن من الذى يقول أنها كبرت؟! فهى تتمتع بالجمال والحيوية ولديها الوفرة من المال، وتزوجت للمرة الرابعة وهى فى عمر الخمسين من رجل أيضاً فى عمر الخمسين، وظن الناس أنه الرجل المناسب لها، سيكبران معاً ويصلان معاً إلى سن الستين، وكان الرجل أرمل يحب الأسفار والرياضة فوجدت متعة السفر فى عمرها هذا عظيمة، ولأنها وزوجها من مواليد شهر مارس فقد احتفلا معاً ببلوغهما الستين هذا العام فى احتفال كبير، وفوجئ الناس بطلاقها فى أول هذا الصيف، لكن هذه المرة الزوج هو الذى طلقها، وقال أنه لا يحتمل الحياة مع أمراة فى الستين عصبية وغيورة! قال الناس أن هذا ذنب الذين طلقتهم عند بلوغهم الستين، لكن الدهشة ألجمتهم عندما علموا انها تزوجت للمرة الخامسة وهى فى الستين وياللعجب من رجل فى الخمسين من عمره!!

اليوم أسعد أيامي ...

فى الصبـاح، وهو يقرأ الجـريدة، تعـود أن يلقى نظرة على حظه اليوم. كنوع من حب الاستطلاع، للعمل بنصيحة، أو الحذر من مكيدة، أو التفاؤل بعلاوة فى الطريق، أو مفاجأة لقاء صديق. اليوم وجد حظه «اليوم أسعد أيامك» استبشر وابتهج. فى المساء سيدعو زوجته الحبيبة إلى تناول العشاء فى مطعم فاخر ليحتفلا بعيد زواجهما الخامس، لقد وعدها بهذه الدعوة بالأمس عندما استلم شيكا بإذن صرف لمبلغ مائتى جنيه من جهة حكومية، قام لهم بترجمة عدة مقالات كتجربة لزيادة دخله، واتفق مع زوجته على حمل ابنتهما ذات الثلاث سنوات إلى حماته ليسهرا بدون قلق. قبل الذهاب إلى عمله توجه إلى البنك المذكور فى الشيك ليملأ جيبه.

اليوم أسعد أيامه. ألقى تحية مبتهجة على الموظف المختص بالصرف فى البنك وناوله الشيك وبطاقته الشخصية وهو يفرك يديه

استعداداً لتلقى المبلغ. نظر الموظف إلى الشيك وإلى البطاقة وقال له بإمتعاض إن الشيك لا يخصه فالاسم ليس مطابقا للاسم فى البطاقة. دارت الدنيا فى عينيه وهو يسأله كيف؟!. قال له الموظف أن اسمه مضبوط لكن اسم الجد فى الشيك يسبق اسم الاب فى البطاقة، وهذا يعنى خطأ ولا يستطيع الصرف إلا بعد إصلاح الاسم.

تذكر أنه عندما استلم الشيك نظر إلى المائتى جنيه فقط لا غير بالحروف والأرقام، وكانت سعادته بالمبلغ غير المتوقع جعلته ينسى النظر إلى اسمه. أخذ الشيك وقاد سيارته الصغيرة إلى الهيئة الحكومية ليصلحوا له الاسم، ليعود مسرعا إلى البنك. قال له موظف الحسابات فى الهيئة الحكومية أن إصلاح الاسم فى الشيك سيستغرق عدة أيام وليس بهذه السهولة!. فى طريقه إلى مكان عمله فكر فى النقود التى فى جيبه والتى يمكن أن يستغنى عنها ليدعو زوجته إلى تناول «آيس كريم» فى مقهى وفى هذه الحالة يصحبان البنت معهما وليؤجل دعوة العشاء إلى يوم آخر.

ربما كان يقود سيارته متعجلا ليلحق بدفتر الحضور، وربما كان سارحا فى المرتب الذى يكفيه بصعوبة فلم ينتبه إلى إشارة المرور الحمراء، لم يدر ماذا حدث إلا أن سيارته ارتطمت بالسيارة الواقفة أمامه وهشم أحد فوانيسها. كانت سيارة أجرة، وسائقها رجل شرس، وتجمهر الناس حولهما مانعين الشرس من الانقضاض عليه، ولأنه المخطئ فرضى أن يدفع له ثمن الفانوس، وهكذا أخرج المبلغ من جيبه

وأعطاه للسائق الشرس. فكر أن يقترض من أحد زملائه، ويحكى له قصة الشيك، فهو يريد أن يدعو زوجته إلى أى مكان ليحتفلا معا، أزعجته هذه الفكرة ووصل إلى عمله محبطاً. كتب عذرا لتأخره، لكن التأخير سيخصم من راتبه. ماكاد يجلس خلف مكتبه حتى سمع أصوات صراخ النساء الموظفات والسعاة يهرولون إلى مكاتب الموظفين يطلبون منهم ترك البناء لأنه توجد قنبلة فى أسفله. نزل مع العاملين إلى الطريق. بعد تفتيش الخبراء للبناء ووصول سيارات النجدة والحريق أعلنوا أنه كان بلاغا كاذبا. صعد إلى مكتبه لكنه لم يستطع إنجاز أى عمل ولا أن يقترض أى مال من أحد. عاد إلى بيته محبطاً مكدراً على المستوى الخاص والعام، ووجد المصعد معطلاً، أخبره البواب باحتراق موتور المصعد والشركة قررت تغييره وعلى كل ساكن أن يدفع مائتى جنيه. نظر إلى البواب ساهما وفكر فى الشيك الذى لم يصرفه ووعده بالدفع خلال أسبوع. صعد إلى الدور السادس غارقا فى عرقه وإحباطه حكى لزوجته ما حدث، لكنها قررت أن يحتفلا، ليخرجا وقت الغروب مع ابنتهما ويتنزهوا على كورنيش النيل.

قال لها إن أحداث المفرقعات غير المتوقعة أصبحت فى كل مكان ولم يعد مكان واحد أو شخص واحد مستهدفاً. قال إنها قرأت تصريحا للمسئول عن مكافحة الإرهاب أن الإرهابيين فى جيبه ولابد أنه سيخرجهم منه فى الوقت المناسب، وعليهم أن يعيشوا حياتهم، لكن إحباط اليوم وخوفه وتوجسه جعلته يعارض خروجهم هذا اليوم إلى أى مكان، فقامت زوجته وصنعت كعكة قدمتها له مع الشاى وقت

الغروب. تبادلا كلمات التهانى بعيد زواجهما، وشعر بشئ من الراحة، لكنه لم يستطع التغلب على إحباط اليوم. هز رأسه وهو يتذكر حظه فى الصباح وهمس فى نفسه ساخرا.. اليوم أسعد أيامى..!

عندمـا علمت بالخـبـر، طلبت أجـازتها السنوية وكل أجـازاتهـا فى السنين السابقة التى لم تأخذها وجدت مجموعها شهرين ونصف الشهر، أسندت الإدارة التى تديرها إلى نائبها قالت لزوجها أنها ستمضى كل هذه الاجازة فى شقتهما فى الاسكندرية. تعجب زوجها وولداهما، فهى لا تحب أن تترك إدارتها لفترة طويلة وعادة تقسم أجازتها على شهور الصيف، أسبوع كل فترة. ظن العاملون فى المؤسسة أنها غضبت لأنها لم تعين رئيسة لمجلس الإدارة وكان اسمها من المرشحين لهذا المنصب بعد خـروج الرئيس الحـالى إلى المعـاش، لكن الذين فى مـثل عـمـرها تذكروا الحكاية القديمة، وعرفوا سبب جمعها كل أجازاتها لتهرب من مواجهة الرئيس الجديد.. منذ ثلاثين عاما كان هذا الرجل زميلهم فى العمل. شاب مستهتر من عائلة كبيرة ثرية، لم يلتحق بالجامعة وبنفوذ والده عُين فى الأرشيف بشهادة التوجيهية.

وقد اشتهر بمغامراته العاطفية، لعب مع بنات كثيرات من داخل المؤسسة وخارجها، وكان يشترى صمت رئيسه فى العمل بالهدايا لأنه لم يكن يعمل حقيقة. معظم البنات العاملات تهافتن عليه، أما هى فكانت تنظر إلى ما يفعل بسخرية. جذبه جمالها وجديتها وكبرياؤها، ولم يستطع اللعب معها. كانت ترفض دعواته، فكان ينتهز فرصة رحلة جماعية تشترك فيها ويتقرب منها، ويحضر طعاما للجميع ليلفت نظرها وينال إعجاب الآخرين. ودعاها عدة مرات مع آخرين إلى عزبة أسرته. ربما قوة عاطفة نحوها وإصراره عليها جعلاها تحبه، لكن حبه كان متملكا غيورا، وأربك حياتها.

وعندما طلبها للزواج أفاقت من عاطفتها وفكرت ماذا سيكون مستقبلها معه! فهى كانت من الطبقة المتوسطة المتعلمة المثقفة، وهو بالرغم من عراقة أسرته وثرائه إلا أنه كان شبه جاهل. خافت على طموحها العملى ومستقبلها، فهو يريد زوجة قابعة فى البيت، وأشياء كثيرة لم تعجبها فى تصرفاته أهمها شراؤه استمالة الناس إليه، فكيف تتزوج من شاب ليست مقتنعة به فى قرارة نفسها؟! فهى أحسن منه علما وثقافة، كانت معظم الفتيات فى ذلك العصر يبهرهن العلم والثقافة عن الثراء والجهل، ورفضته وكانت صدمة له، كيف ترفضه وكثيرات تتهافتن عليه؟! وعرفت قصتهما فى المؤسسة. البعض ساندها فى موقفها والبعض نصحها بالزواج منه ولتجعله يكمل تعليمه ولتصلح من شخصيته مادام يحبها هكذا، لكنها أصرت على رفضها فاستقال من المؤسسة، وتزوج مباشرة من إحدى قريباته. وتزوجت هى بعد عدة سنوات.

وكانت تعرف أخباره من زميل لها كان صديقه. علمت أنه امتحن الثانوية العامة فى النظام الجديد، والتحق بالجامعة، وتخرج وسافر للخارج، التحق بمعهد عال للمحاسبة وأخذ شهادة عليا قيل أنه اشتراها ليتباهى بها، وعمل فى شركات متعددة، تنقل من شركة لأخرى فى مناصب كبيرة، قيل أنه حصل عليها بعلاقته الاجتماعية والسياسية والمالية، وخلال الثلاثين عاما بعد تلك الحكاية التقت به عدة مرات بالصدفة فى أماكن مختلفة لكنها لم تندم يوما على رفضها الزواج منه! ولم تترك المؤسسة منذ عملت بها وتدرجت فى الوظائف بكفاءتها إلى أن أصبحت مديرة إدارة..

فى شقتها فى الاسكندرية فوجئت بمكالمة تليفونية من مكتب رئيس مجلس الإدارة الجديد وجاءها صوته مباشرة. أولا عاتبها لأنها لم تبارك له، وطلب مقابلتها فى اليوم التالى، وحتى لا تعتذر أرسل لها سيارة توصلها وتعيدها فى نفس اليوم.. فى الطريق إلى القاهرة فكرت، إنها هزمت غروره يوما فلابد أنه سينتقم منها، إنها ستخرج إلى المعاش بعد أربع سنوات، فكرت أن تسوى معاشها وتبتعد عنه وعن المؤسسة كلها. قابلها بترحاب وفوجئت بحديثه. قال لها إنها صاحبة الفضل فى وصوله إلى هذا المنصب، فهى التى فجرت فيه التحدى والنضال، فأكمل تعليمه وترقى فى عمله ووصل إلى ما هو عليه بسببها، فهو يدين لها بنجاحه. وأخبرها أنه سيعينها نائبة له. سألته ألا يعلن قراره إلا بعد عودتها من الأجازة فهى فى حاجة إلى بعض الراحة وستفكر فى طلبه. وهى فى طريقها إلى الاسكندرية هزت رأسها متعجبة.. رافضة، فهى فى داخلها لا تحتمل أن يكون هو رئيسها.

المُعَلّم

عمارة قديمة على الطراز المعماري العريق الذي كان سائداً في أواخر القرن الماضي، تقع في الحي الذي كان يسمى قديماً.. وسط البلد.. أو الحي التجاري.. مكونة من أربعة طوابق.. ثلاثة منها يحتلها فندق قديم، والدور الرابع به شقتان كبيرتان، واحدة يسكنها ترزي رجالي، خصص جزءاً منها. للمشغل، والجزء الثاني لسكنه مع أسرته.

والشقة الثانية يسكنها المُعَلّم.. مُعَلّم اللغة العربية القديم الذي يقترب من الثمانين من عمره وبصحة جيدة. وتسكن معه ابنته الأرملة وأولادها وبناتها الخمسة.. العمارة كانت تمتلكها ثلاث نساء إرثا عن والدهن، واشترتها منهن حديثاً ابنة عمهن وزوجها المقاول بعد تأكدهما من متانتها وسلامتها، بفكرة تجارية في تحويلها كلها إلى فندق، فقد شاهدت المالكة الجديدة في أوروبا تحويل البيوت القديمة العريقة إلى

فنادق وتهافت السائحين الأمريكان عليها، فهم يعشقون الأماكن القديمة.. اشترت الفندق من صاحبه وأخلته لتقوم بعمل التجديدات اللازمة ليصبح فندقاً متميزاً.. رضى الترزى بالمبلغ المالى الذى عرضته عليه لإخلاء شقته، وقد علمت أن معلّمها القديم رجل عنيد ولن يتنازل عن شقته، فكم من المرّات عرضت عليه مبالغ كبيرة لإخلائها ورفض: جلست المرأة فى فندقها تراقب العمال الذين يجمعون الأثاث القديم للتخلص منه، وأرسلت من يستدعى المعلّم لمقابلتها للتخلص منه مثل هذا الأثاث!.

لقد عرف المعلّم من الحركة غير العادية فى العمارة بحكاية بيعها كما تعرف على المالكة الجديدة من البواب، وتذكرها، فقد كان عمها صاحب العمارة يصحبها إليه خلال أعوام دراستها الثانوية ليعطيها دروساً فى اللغة العربية، واستبشر خيراً بحركة الإصلاح التى ستقوم بها تلميذته، فقد كانت بنات عمها يهملن هذا الإرث. وكلما طلب منهن أى إصلاح يتهربن. إرتدى المعلّم حلته الصوفية التى يخصصها للرسميات بالرغم من حرارة الجو، واصطحب ابنته ونزل ليقابل المالكة الجديدة. واستقبلته بعبارة: «أهلاً يامعلّمى». فرح بترحيبها، وقبل أن يتحدث عن مشاكل العمارة ويقدم بنود الإصلاح، بادرته بعرضها مبلغاً من المال ليترك شقته. لم يفاجأ المعلّم بطلبها لكنه فوجىء بطريقتها فى الحديث معه.

قال لها أنه يسكن هذا البيت منذ خمسين عاماً وكل من يعرفهم وأصحابه فى هذه المنطقة والشقة الكبيرة لتكفيه وأحفاده، وعليها أن

تقيم فندقها ولن يضايقها فى شىء، حدثته المرأة بطريقة لم تعجبه، وإنها تريد أن تتخلص من كراكيب هذا البناء وتنظفه قبل حلول الشتاء ووصول السائحين الأمريكان. ابتلع الإهانة وقال لها: «يا ابنتى قالوا زمان من علَّمنى حرفا صرت له عبدا».. ضحكت المرأة وقالت: «الآن يقال من أعطانى نقداً صرت له عبدا».

فكر المُعلَم.. الملعونة تريد أن تقلب الأوضاع وتجعله هو عبدا بنقودها.. ما حدث فى هذا الزمن؟! شعر بالهوان وسألها.. إذا رفض ترك الشقة؟ فأجاابته بنفس الطريقة التى لم تعجبه أنه إذا لم يخرج بالتفاهم المادى ستخرجه بالقوة، ووقتها لن يحصل على «مليم».. إزداد شعور المُعلَم بالهوان من هذا الزمن االخائب الذى يجعل تلميذة خائبة تتطاول على مُعلِّمها.. أوصدت أبواب التفاهم معه فقال لها: أن الشقة مصيرها لابنته وعليها أن تتفاهم معها هى، وقام يجر هوانه، مد لها يده بالسلام، مدت له يدها باستهتار وهى جالسة.

قال كأنه يحدث نفسه بيتاً من قصيدة لأحمد شوقى.. «قفْ للمُعلَم وفّه التبجيلا.. كاد المُعلَم أن يكون رسولا».. علّقت المرأة على بيت الشعر بصوت بذىء خرج من بين شفتيها، وعادة هذا الصوت يخرج من مكان آخر من الجسم!. تحول هوان المُعلَم إلى قوة غاضبة فشدها من يدها، فوقفت قبالته مترنحة وصفعها على وجهها، فى هذه اللحظة استعاد ثقته بنفسه وخرج رافعاً رأسه، تاركاً المرأة فى ذهولها صامتة، أسرعت إليها ابنته تستعطفها حتى لا تنتقم من والدها، ولتسامح فعلته، فهو على أى حال كان مُعلَماً.

إبن باشا..

لنعرف لماذا صُدمت الجدة من حديث والد الشاب الذى جاء يطلب حفيدتها للزواج، ولماذا أغمى عليها، لابد أن نرجع بالتاريخ إلى سنوات الأربعينيات عندما كانت الجدة فى السادسة عشرة من عمرها تتلقى التعليم الفرنسى فى أشهر مدرسة فرنسية بالقاهرة، كانت أحلامها كبيرة بمصادقة بنات الباشوات وأملها فى حياة راقية مع زوج من أسرهن، لكن أحلامها خُمدت عندما أجبرهاا والدها على الزواج من فلاح ثرى لينقذ إفلاسه فى البورصة، إنتزعت من جذورها وأحلامها وعاشت معه فى الريف. حقيقة كانت تسكن مع عائلة زوجها قصراً بجوار قصور الباشوات الريفية فى تلك المنطقة، لكنهم كانوا يترفعون على عائلة زوجها لأنهم لا يحملون ألقاباً ولا ينتمون لعائلة عريقة.

وعندما أنجبت إبنتها الوحيدة مسحت دموعها واستكانت لنصيبها، وقررت أن تحقق لابنتها ما حُرمت هى منه بتزويجها من أحد أبناء

هؤلاء الباشوات، وقد أصبح شاغلها الوحيد هوإعداد ابنتها لذلك المستقبل، فكانت تعلمها الحروف والكلمات الفرنسية، وكيف تنحنى فى التحية وكيف تعامل الفلاحين بكبرياء ولا تتبسط معهم، وقد وافق زوجهاعلى استدعاء مُدرسة من القاهرة لتمضى يومين فى الأسبوع لتعليم البنت حتى تحصل على الشهادة الابتدائية، لكن البنت التى كانت تعدها أمها لتلتصق بالطبقةالراقية، كانت تصرفاتها بعيدة تماماً عن أحلام والدتها، فكانت تلعب مع بنات القرية وتضربهن ويضربنها، وتلطخ فساتينها الجميلة بالطين، وأى حيوان بأربع أرجل تقفز فوقه وتلكزه ليجرى بها حتى وإن كان كلباً كبيراً يطرحها أرضاً.

عندما وصلت البنت إلى العاشرة من عمرها قامت الثورة، وبدأت فى إنجازاتها الأولى، وتحطم حلم الأم للمرة الثانية بالبطش بالباشوات وتجريدهم من ألقابهم وثرواتهم، ولم تنجُ عائلة زوجها فقد حددت ملكية الأرض وأصبح لزوجها مائة فدان فقط، ونصحه والده أن يأخذ زوجته وإبنته ويعيش فى القاهرة ويبحث عن عمل، وهكذا عادت إلى القاهرة مخذولة، ولقيت معاملة سيئة من زوجها الذى لم يفلح فى أى عمل فادمن الخمرر وبدأ يبيع من أرضه وقد مات مخنوقاً بجرعة أفيون كبيرة وخمر وقررت أن تعيش تربى ابنتها فرفضت عروض الزواج التى قدمتها لها عائلتها، ولأنها لم تحب الريف ولن تعرف التعامل مع الأرض باعتها واشترت ڤيلا فى حى راق واستثمرت بقية المال فى بنك.

وقد حققت لها ابنتها جزءا من أحلامها القديمة عندما تزوجت من شاب أحبته.

وانجبت ولدين، وعندما أنجبت البنت عام ٧٤، ظهرت الأحلام القديمة للجدة لتحققها فى حفيدتها، فهى بمراقبتها لتطور المجتمع وجدت طبقة باشوات جديدة تظهر.

استجابت الحفيدة لحلم الجدة فتعلمت منها أصول التعامل بعظمة وتأنق فى الحديث والمظهر، وكانت فرحة الجدة عندما أعلنت الحفيدة عن رغبة أحد زملائها فى كلية الهندسة بالزواج منها وهو ابن مهندس كبير يملك شركة بناء.

رحبت الجدة بالشاب ووالده عندما ذهبا إلى ڤيلتها يطلبان الحفيدة من والديها، وقد ابتسمت بتحفظ عندما قال والد الشاب أنه مستعد لشراء الڤيلا بمليون جنيه ليبنى مكانها عمارة سكنية كبيرة ويعطيهم منها ثلاث شقق كبيرة. لم تتأثر الجدة بالرقم المعروض وقالت له لابد أنه مهندس كبير ناجح، فقال لها إنه ليس مهندساً بل مقاول بناء. بدأ حياته من الصفر بحمل الطوب على كتفه! وربت على ابنه قائلاً: إنه مهندس المستقبل، وحكى قصة كفاحه بكبرياء كأنه قائد شجاع خاض معارك حاسمة، صدمت الجدة بحكاية الرجل وأصل عائلته وإعتبرتها حكاية مخجلة، لم تتحمل الصدمة الثالثة فى خيبة أحلامها مع حفيدتها فأغمى عليها، وطلب المقاول طبيباً كبيراً ليهرع إليهم.

هزت ابنتها رأسها فهى الوحيدة التى تعرف السبب.!!

حالة حب..

قالت: التقيت بك وأنا صافية، شفيت من صدمات حياتى، حللت مشاكلى، طهرنى الألم ولمعنى الأمل، والتقى بك بشوق صاف، فرحة بك، بوجودك. وإننا التقينا فى االوقت المناسب، وليكن بيننا حديث العقل والفكر قبل أن نبدأ أحاديث العواطف.

قال: لك ما تريدين. أتمنى أن أسعدك. فرحتى بلقائك تفوق فرحتك، تفوق كل الفرح، أصبحت محظوظاً أخيراً بلقائك، أسأل نفسى لماذا لم التفت إليك من زمن عندما كنت زميلتى فى العمل..

قالت: التقينا فى الوقت الصحيح، من زمن كنت مشغولاً بغيرى، وكنت مشغولة بغيرك، وكانت حياتنا ملخبطة..

قال: أنا لم أسع إليك، وأنت لم تسع إلىّ، ولم نطارد بعضنا، القدر هو الذى دبر لقاءنا فى هذا المصيف بعد سنين طويلة من فراقنا فى أماكن العمل ومشاغل حياتنا واضطرابها.

قالت: ضابط إيقاع العواطف، القلب، يخفق ويضطرب، لكن ضابط إيقاع الحقيقة، العقل، يريد أن يتحقق من كل شيء أولاً.

قال: يوجد نوع من الرجال يثير شهية النساء للحب وبذخ المغامرة، أنا لست منهم.

قالت: أنت تثير شهية أفكارى فإنطلق بها مرتاحة وأنا معك.

قال: فى ليل الأمس سمعت صوت عبد الحليم حافظ من إذاعة بعيدة وأنا جالس وحدى فى شرفة شقتى المطلة على البحر، كان صوته يعلو وينخفض وهو ينادى: تعالى، كأنه يأتى عبر أمواج البحر، وجدت نفسى أناديك، إنك لست خيالاً أناديه، أنت حقيقة أقرب من الخيال، وخيال أوضح من الحقيقة، أريد أن اتحقق من الاثنين.

قالت: عندما استيقظت فى الصباح طالعنى وجهك الصبوح. ابتسمت لك، واستبشرت باليوم. وأنا سائرة فى الطريق نظرت إلى سرب السيارات المنتظرة فى الزحام وطالعتنى عيناك تراقباننى وأنا محملة بمشترياتى، وأنا جالسة أشاهد التليفزيون شعرت بذراعيك.. يحيطاننى. أصبحت ملازماً لى، فى صحوى، فى خيالى، وفى أحلامى، أسترجع كلماتك منذ التقينا هنا، واتساءل: هل أنت حقيقة فى حياتى؟.

قال: ونحن جالسان هنا فى حراسة الليل، على هذه الصخرة المواجهة للبحر، فى هذا المكان البعيد عن الصخب، وبهذا الحديث بيننا، يخيل إلى أننا فى فيلم رومانسى قديم من هذه الأفلام التى نشتاق لمشاهدتها ولم تعد حقيقة فى حياتنا.

قالت: هل جلستنا هذه وحديثنا مجرد شوق لرومانسية الماضى وليس حقيقة ما نشعر به؟! إنك تخيفنى.

قال: جلستنا هذه وأحاديثنا نطبعها فى مخيلتنا لنسترجعها معاً بعد عدة سنوات من حياتنا معاً فى أوقات يدحرجنا واقع الحياة ومشاكلها إلى هوة تنافر بيننا.

قالت: لن تكون بيننا هوة تنافر.

قال: وحتى لو حدثت سنذكر بعضنا بهذا الصيف الرائع والقدر الجميل الذى جمعنا.

قالت: وربما نأتى كل صيف هنا لنسترجع هذه الحالة من الحب النادر التى نعيشها..

الدرجة الأولى

ذهب إلى محطة القطارات قبل موعد قيام القطار بساعة. خوفاً ألا يلحق بالقطار كما شاهد فى حلمه ليلة أمس الأول. لقد سافرت ابنته وزوجته منذ أسبوع إلى الاسكندرية فى ضيافة أختها فى المعمورة، ووعد أن يلحق بهما فى نهاية الأسبوع ليقضى معهما يوما ثم يعودون إلى القاهرة. جلس فى مقهى المحطة يسترجع أحداث الحلم الذى ضايقه.. فقد ذهب إلى محطة القطارات ليلحق بقطار، فوجده يتحرك، سأل نفسه هل ينتظر القطار التالى؟!.. أم تذكرته لا تنفع؟. جرى ولحق بالعربة الأخيرة. كانت العربة فقيرة بها ناس بسطاء، نظر فى تذكرة القطار التى معه، وجدها بالدرجة الأولى.

سألوه.. لماذا يجلس معهم فى «السبنسة»؟!. لم يدر معنى كلمة السبنسة ومن أى لغة أخذها المصريون فى وصف هذه العربة الأخيرة.

قال لهم إنه لم يلحق إلا بهذه العربة وسوف يخترق عربات القطار إلى أن يصل إلى الدرجة الأولى. قالوا له إن العربة منفصلة تماما عن عربات القطار. قال عندما يقف القطار في المحطة التالية سينزل ويذهب إلى الدرجة الأولى، لكن القطار لم يتوقف، فضغط على التذكرة التي في يده مغتاظاً، وعلى أية حال فركاب الدرجة الأولى لن يسامروه، ثم قام من نومه مذعورا وهو يلهث كأنه كان يجرى مع القطار. وهو جالس في المقهى تأكد أن الحلم كان توضيحاً لحياته، فهو موهوب مجتهد، ومكانه في العمل والحياة الاجتماعية لابد أن يكون في الدرجة الأولى، لكن حظه وخجله جعلاه هكذا في المؤخرة في السينما..

لقد نبهه حلمه إلى حالته وإنه لابد أن يفعل شيئا. بالأمس قرر أن يحجز تذكرته في الدرجة الأولى!!. جلس في القطار مستمتعا بمقعده، وقرر أن يفعل شيئا لحياته، أن يخرج عن خجله، ويتحدث عن نفسه، إنه لا يخرج عن خجله إلا مع زملائه من ركاب الدرجة الثالثة. جاءته فكرة عظيمة، فهو يعلم أن رئيس المؤسسة التي يعمل بها له فيلا مباشرة على شاطئ في العجمي، فلماذا لا يقابله بعيدا عن رسميات العمل.. لكن كيف؟!. عندما وصل إلى بيت أخت زوجته في الصباح الباكر، طلب من زوجته وابنته أن تصحباه لقضاء اليوم في العجمي، واعترضت أخت زوجته على ذهابهم إلى هذا الشاطئ البعيد، وطلب سائق السيارة الأجرة أجرا مضاعفا ليوصلهم إلى هذا الشاطئ، ولم يعترض، فقد قرر أن يصرف في يوم ما كان سيصرفه في يومين، المهم ان يلتقي بالرئيس.

اهتدى إلى ڤيلا رئيسه على الشاطئ باسمه الواضح على بابها، واجر مقاعد للبلاج وشمسية ووضعهم أمامها، ولم تكن نظراته إلى البحر بل إلى الفيلا يراقبها إلى أن خرج ساكنوها، وشاهد رئيس المؤسسة يفرد بدنه على مقعد مستطيل من القماش أمام الڤيلا فى هذا الجزء المخصص له. قام كالمسحور، وسار تجاهه كأنه يبحث عن شئ وكأنه شاهده بالصدفه: «ياسيادة الريس». نظر إليه الرجل ورحب به، فهرع إليه مستبشرا، قفز حاجز الزرع الذى يفصل الڤيلا عن الشاطئ كأنه يتخطى خجله. قال إنه جاء ليقضى يومين، ولم يعرف أن سيادته ينير هذا الشاطئ. سأله الرئيس أن يجلس على مقعد خالٍ بجانبه، تحدث مع الرجل عن المؤسسة وإنها مظلمة بدونه، فابتسم مزهوا وقال إنه يسمع عن موهبته ويشاهد نشاطه. فقال: «لكن ياريس حظى دائما فى السبنسة».. ضحك الرجل من تعبيره فاسترسل قائلا: «مع إن معى تذكرة للدرجة الأولى». ضحك الرجل وعلق إن له روحا فكاهية وهذا ما ينقص كثير من العاملين، تشجع وأخذ يقص عليه حكايات فكاهية حدثت بين الموظفين، وأخرى لم تحدث، وتعجب لهذه الحالة المرحة التى تنتابه فقط بين ركاب الدرجة الثالثة!

وضحك الرجل كثيرا. قام مستأذنا لأنه وعد زوجته بزيارة أختها فى المعمورة. وقال له الرجل أن يذهب لمقابلته فى مكتبه عندما يعود من اجازته، قفز حاجز الزرع كأنه يطير وجرى إلى زوجته، أخبرها إنهم سيعودون إلى أختها حتى لا تغضب، تعجبت من سلوكه منذ الصباح، واستفسرت عن السبب، قال لها إن معه تذكرة فى الدرجة

الأولى! هزت رأسها متعجبة، هو أيضا تعجب من نفسه، فيبدو أنه ليس فقط عليه أن يتخطى خجله بل من الضرورى أن يكذب قليلا ليصل إلى الدرجة الأولى.

أهمية أن تلتقط صورة ..

تسابقا فى الجرى على الشاطئ وتركها تسبقه، تسابقاً فى السباحة وتركته يسبقها. أطعمته من طبقها، وأطعمها من طبقه، جلسا ورأسها على صدره، سارا وذراعه حول خصرها، وكل الذين شاهدوهما فى القرية السياحية ظنوا أنهما عروسان جديدان تزوجا فى سن متأخرة ويقضيان شهر العسل. لم يخطر على بال أحد انهما زوجان منذ عشر سنوات، وهما أيضا لم يتصوروا أن يكونا معاً بكل هذا الحب والمرح بعد أن كانا منذ أسبوع مضى على حافة الطلاق!.. ربما كانت حكمة من الزوج الهمته بها السماء لينقذ زواجهما قبل أن تقع الكارثة، عندما اقترحت الزوجة تقسيم محتويات البيت بينهما، فقام واحضر صندوقاً يحتفظ فيه بالصور الفوتوغرافية التى تجمعه مع زوجته. ومع أصدقائهما خلال العشر سنوات التى مرت على زواجهما، وقال إنه

سيقسم الصور بينهما قبل أن يقسما أثاث البيت ومحتوياته، وبدأ يفتح «الظروف»، فقد وضع صور كل سنة من حياتهما معاً فى ظرف، وبدأ يقسم: «هذه الصورة لك.. هذه لى».

فى أول الأمر كانت المسألة مجرد تقسيم أشياء، أوراق صماء ثم بدأت المشاعر تمتزج بهذه الصور الصماء فتحركها، هذه المجموعة كانت هنا... وهذه كانت على شاطئ كذا.. فى حديقة كذا.. فى مناسبة كذا.. إلى أن وصلا إلى مجموعة صور كانت فى السنة الخامسة لزواجهما، وكانت بعد أزمة زوجية مرت بهما وهى اكتشاف الأطباء أن الزوجة لن تنجب، وتأزمت الزوجة نفسياً ومرضت جسدياً، وايقنت أن زوجها سيتركها ليتزوج من تنجب له، وانصبت شكوكها على واحدة بالذات، وكانت أول مشاجرة بينهما كادت أن تؤدى إلى الطلاق، وتدخل أصدقاؤهما المقربون ليذكروهما بقصة حبهما قبل الزواج، ولما كان الوقت ضيقاً فقد اقترحوا القيام برحلة إلى شاطئ جميل على البحر الأحمر فى قرية هناك.

وذهبا مع المجموعة، وكانت تلك الصور التى ذكرتهما بإعادة اكتشاف حبهما، وكلمات الزوج لزوجته أنه لن يهتم بمشكلة الأطفال، ويكفى أن يعيشا معاً فى صحبة متوافقة، وأن الكثير من الأزواج والزوجات يعيشون فى وفاق بدون مشاكل تربية الأطفال، ذكرتهما الصور بالحب الذى جمعهما هناك مع خلفية جميلة للشاطئ الساحر وألوان البحر الرائعة والجبال.. توقفا عند مجموعة الصور هذه التى

دبت فيها المشاعر فحركتها، وبدأ كل منهما يتحدث عن كل صورة، كأن الصور هى التى تتحدث، يتذكران، يبتسمان. يضحكان من المواقف المختلفة لخلفية بعض الصور. دغدغت الذكريات الحلوة مشاعرهما، وقالت الزوجة سارحة: «مرت خمس سنوات»، ابتسم الزوج وقال: «يبدو أننا نتشاجر كل خمس سنوات!»..

سالت دموع الزوجة فهى تعيش فى مشكلة شك مثل التى عاشتها منذ خمس سنوات، فقد بدأت تشك ان زوجها سيتركها ليتزوج أخرى وينجب قبل ان يصل إلى الخمسين، فعيد ميلاده الخامس والأربعين هذا العام، وقررت فى نفسها أن تتركه هى قبل أن يجرحها ويتركها هو، أو يتزوج امرأة أخرى ويرفض طلاقها هى. مسح الزوج دموع زوجته، وسألها ان يذهبا إلى هذا الشاطئ الجميل فالصور تناديهم للذهاب هناك، نظرت الزوجة إلى الصور مرة أخرى. وإلى سعادتها وشعورها بالأمان، عدسة الكاميرا لا تكذب، وسألته: «هل حقيقة لا تفكر الآن فى الزواج؟!». قال: «الرجل لا يترك امرأة يحبها من أجل أن ينجب إلا إذا كان ملكاً يريد وريثاً للعرش أو ثرياً صاحب أراض وعقارات، وأنا لست هذا.. أو.. ذاك، الرجل مثلى إذا ترك امرأته وذهب لأخرى فبسبب معاملتها السيئة وتوقف الوفاق بينهما.. وأنا لا اجد سوءا فى معاملتك لى، حتى فى شجارنا، ولم يتوقف الحب بيننا، فأرجو أن تتركى هذه الحالة من الشك ولنذهب إلى هذا الشاطئ»..

وذهبا... كأنهما يشاهدان المكان لأول مرة، ويجربان مشاعر الحب لأول مرة.. سعادتهما جذبت إليهما بعض المعارف، رفقاء فى السهر

والمرح، وفى رحلة بحرية شاهدا خلال زجاج المركب عظمة الخالق فى أعماق البحر، والتقطا صوراً جديدة، وفهما حكمة أهمية أن تلتقط صورة.

زهرة السوسن

أحبها منذ سنين بعيدة، عندما ذهبت للعمل فى مكان عمله. كان شابا ناضجا طموحا وكانت فى بداية عمر الشباب تقرب إليها أحبها بعمق، لكنه لم يعترف لها بحبه. فى رحلة من رحلات العمل الترفيهية التقط لها صورة، وعلق صورتها فى حجرة بيته، كما يحب الشاب ممثلة أجنبية بعيدة المنال فيحتفظ بصورتها. أحبها لدرجة الخوف من الاقتراب منها أو الإقتران بها. وعندما اكتشف أعز أصدقائه حبه وشاهد صورتها فى حجرته سأله لماذا لا يتزوجها؟. قال له إنها مثل الزهرة الجميلة، وهل يتزوج الرجل من زهرة؟! إنه يضعها أمامه فى إناء غالى الثمن من الكريستال. إنها مثل زهرة السوسن، طويلة باعتدال، أنيقة. رائعة الجمال، حتى ألوان ثيابها تختارها مثل ألوان زهرة السوسن، من اللون الأصفر والبرتقالى، والبنفسجى الزاهى، والأزرق الرائق، وأحيانا الأرجوانى ألوان تتداخل معا فى تناسق رائع.

لقد أطلق عليها اسم السوسن وكانت تتقبل منه مناداته لها باسم غير اسمها، فكانت تحب مداعباته الراقية المرحة وتشعر بمكانتها الخاصة عنده، لذلك عندما تزوج لم تندهش أنه لم يتزوجها هى، فكان بالنسبة لها زميلا عزيزا وحسبت أنها بالنسبة له مجرد زميلة عزيزة..

وقد سألته زوجته يوما لماذا لم يتزوج حبيبة قلبه قال لها كيف يضع زهرة جميلة فى حلة ملوخية!! زوجته لم تعلم من أصدقائه عن حبه لتلك الفتاة، هو أخبرها بحبه لها قبل أن يتزوجها، ومنذ ذلك اليوم البعيد وزوجته تعتبرها ضرتها التى لم يتزوجها زوجها، وتعلم تماماً أنه لن يتزوجها لكنها تعلم أيضاً أنه سيظل يحبها طول عمره مهما بعدت المسافة بينهما. فقد استقال من عمله عندما فتحت أبواب العمل الحر مع الخارج. برأس مال كان لديه عمل فى الاستيراد. وبطموحه نقل عمله إلى أوروبا وعاش هناك مع زوجته وأولاده الأربعة، وصورة حبيبته، وزهرة جميلة من زهور السوسن يضعها على مكتبه فى إناء غال من الكريستال.

اعتقد المقربون إليه أنه اختار البعد عن أرض وطنه ليظل يحب حبيبته عن بعد لتظل صورتها كما أحبها حتى لا يرى تطور العمر بها وربما ابتعد عندما وجد الذين يتوددون إليها طالبين الزواج منها، فلم يحتمل فكرة أن تتزوج عندما اعترضت زوجته فى أول سنين الزواج على احتفاظه بصورة حبيبته، ضرتها نصحها ألا تتلاعب وتخفى الصورة أو تمزقها، إذا فعلت هذا ستندم ولم ترد الزوجة أن تندم، فقد أحبته ورضيت أن تتزوجه ولها ضرة.

فى كل عامين أو ثلاثة يحضر مع زوجته وأبنائه لزيارة وطنه وأهله وليعرف أخبار حبيبته ويؤكد تعاملاته التجارية، ولم تحتج زوجته التجسس على حبيبته ومعرفة أخبارها، فكان هو يحكيها لها. وهى بدورها تحكى أخبار ضرتها معكوسة لصديقاتها. حتى ظنت بعضهن أن زوجها متزوج فعلا من ضرتها، لولا أنهن شاهدن صورها مع زوجها فى الصفحات الاجتماعية للمجلات المصورة، فقد تزوجت من رجل مشهور وأصبحت لها نشاطات اجتماعية، وكان يمسك بهذه الصور فى المجلات ويقول لزوجته زهرة السوسن تحتفظ برونقها.

وخلال السنين الطويلة لم يقابلها، أو يحرص على ألا يقابلها حتى عندما شاهدها مع زوجها ذات صيف فى مدينة لندن توارى فى المكان الذى تواجدوا فيه حتى لا تراه، ربما خاف أن تكون قد نسيت زميلها القديم أو تتجاهله أمام زوجها لكنه فى زيارته المعتادة هذا الصيف لأرض وطنه لم يستطع أن يهرب من المكان الذى تواجدت فيه. لم يستطع أن يتوارى عنها، فقد لبى دعوة لصديق له فى فندق كبير لحضور حفل زفاف ابنه وأمام مدخل قاعة الاحتفال جاء وجها لوجه مع حبيبته وزوجها، ابتسمت له مرحبة منادية له باسمه. فتقدم وزوجته منهما، قامت بعملية التعارف بينه وبين زوجها، وعندما قدمها لزوجته نطق باسمها سوسن رمقته زوجته بنظرة مغتاظة فهى تعرف اسمها الحقيقى.

وقد سألها زوجها فيما بعد، لماذا أطلق عليها زميلها اسم سوسن؟!.. تذكرت أنه كان يحب أن يناديها بالسوسن على سبيل المداعبة، وقالت لزوجها إنها لم تقابل زميلها القديم من سنين بعيدة ولابد أنه نسى اسمها.

لعبة الترابيز

تسلقت إلى «حجر» رئيسها، واعتقدت أنها ستجلس هناك دائماً، وهى لا تعلم أن التسلق إلى حجر الرئيس مثل التسلق إلى أرجوحة الترابيز، وهى لعبة معروفة فى السيرك عبارة عن لوح خشبى صغير معلق بحبال فى أعلى خيمة السيرك، يقف عليها اللاعب أو اللاعبة تتأرجح بها ثم تقفز فى الهواء إلى أرجوحة أخرى مقابلة سواء كان على الأرجوحة الأخرى لاعب آخر يتلقفها أو تكون الأرجوحة خالية وتقوم اللاعبة أو اللاعب بكل الألعاب.

وأخطر العاب الترابيز هى التى يلعبونها بدون حماية على أرض الخيمة، أى بدون شبكة تتلقف من يقع من هذا الارتفاع، وهكذا تسلقت إلى حجر رئيسها بدون حماية على أرض الواقع، وأصبحت النجمة المتألقة فى مكان العمل.

من الأفلام السينمائية المشهورة عن الحياة فى السيرك وعن لعبة الترابيز الخطرة علمنا أن بطل هذه اللعبة أو بطلتها عندما تصعد إلى الأرجوحة المعلقة وتقوم بألعابها من هذا المرتفع، لا ترى الجمهور الجالس على أرض الخيمة ولا تسمع تعليقاتهم.. إنها تركز فى لعبتها، وهكذا حدث لبطلتنا. لم تر جمهور زملائها وزميلاتها ولم تسمع تعليقاتهم عنها، لم تر وجه والديها اللذين كانا يتوسلان إليها ان تتم زواجها من خطيبها الذى عقد قرانه عليها، ولم تعد ترى وجه الزوج المنتظر إشارة منها لتحديد موعد الزفاف. كانت فقط ترى وجه رئيسها منتظرة إشارة واضحة لتطلب الطلاق من الزوج المنتظر وحبيبها لن يعيرها بأنها مطلقة لأنه هو أيضاً مطلق ولديه ابنتان، وبطلة لعبة الترابيز تحارب من أجل الاستمرار، فالرجل مطمع لبنات ونساء كثيرات، علاوة على مركزه المرموق فهو وسيم المظهر، جميل الوجه. وقد سألته يوما لماذا لا يتزوج؟ ووصله سؤالها الحقيقى.. «لماذا لا تتزوجنى؟!».

وبخبرته فى لعبة الكلام اخترع قصة عن عقدته من الزواج وخوفه من خداع النساء، فقد تزوجت مطلقته ناسية أمومتها وتركت له البنتين لترعاهما أمه.

لقد شاهدنا فى أفلام السيرك كيف يستغنى الرئيس عن أبطال لعبة الترابيز، عندما يكبرون فى العمر، أو.. يجد من هم أمهر منهم أو منهن وأصغر، أو.. عندما يقع أحدهم وتنكسر ساقه أو رقبته، والإتقان مهم فى هذه اللعبة، لكن أحياناً تحدث هفوة من اللاعب غلطة. سوء تقدير

للوقت وهو يتأرجح ويقفز فى الهواء فيسقط، وغالباً ما يسقط على الشبكة المعلقة أى الحماية فلا يصيبه ضرر لكن أحياناً تصل درجة الغرور والثقة بالنفس فى اللاعب إلى مداها فيلعب بدون شبكة الحماية. وهكذا فعلت بطلتنا.. بالرغم من إتقانها فن اللعبة إلا أنها أساءت التقدير فى الوقت وهى تتأرجح فى الهواء، لم تنتظر اعترافاً من رئيسها بحبها وبرغبته فى الزواجة منها، وطلبت منه أن يتزوجها، فسألها كيف وهى معقود قرانها على آخر؟! قالت ببساطة إنها ستطلب الطلاق.

وبكلمات خبير قال لها إنها خانت زوجها، ومن السهل أن تفعل هذا التصرف معه يوماً، ولتبعد فكرة زواجه منها عن رأسها تماماً، لم تيأس واستمرت فى التأرجح على ارجوحة الترابيز، لكن معاملته لها اختلفت، لم تعد المميزة التى تقتحم بابه فى أى وقت وتحدثه فى أى مكان يوجد فيه، تبدلت كلمات ترحيبه بها إلى كلمات توبيخ واعتذارات عن مقابلتها بواسطة سكرتيره.

فى تلك الاثناء كانت لاعبة جديدة تصعد ارجوحة الترابيز أصغر منها عمراً، أرشق منها بدنا، أجمل منها وجها، فاختل توازن بطلتنا وهى تتأرجح فى الهواء وسقطت على الأرض وانكسرت رقبتها، لأنها كانت بدون حماية تحميها من خطر اللعبة، فلم تكن لديها خبرة عملية جيدة ليتمسك بها الرئيس عندما قدمت استقالتها، ولم تكن لديها علاقة جيدة بزملائها وزميلاتها فلم يساندها أحد فى محنتها، ووصلت الحكاية إلى الرجل الذى كان سيتزوجها فطلقها.

بهرها شاطئ العجمى والشباب والشابات والحرية التى ينعمون بها هناك، لأول مرة فى حياتها تستمتع بأجازتها الصيفية بجوار البحر، فقد دعتها خالتها مع أمها وجدتها لقضاء أسبوعين فى شقتها التى إشترتها أخيراً، أمها موظفة في إدارة حكومية وأرملة منذ عشر سنوات، لم تتزوج وكافحت بمرتبها لتربى ابنتها الوحيدة. لم تحرمها من الأشياء الضرروية للحياة، ومع ذلك تشعر أنها محرومة من أشياء كثيرة، وأصبح تفكيرها منحصرا فى الزواج من شاب ثرى، لتجد ماتريده وترغبه بدون عناء، لا تريد ان تتزوج بالحب فقيرا مثل ما فعلت أمها، وكما فعلت خالتها وظلت سنين طويلة تكافح مع زوجها إلى أن تحسنت أحوالهما المادية.

لم تمانع أمها فى لقائها مع شابات فى مثل عمرها كان بعضهن زميلات لها فى المدرسة الثانوية، لم تمانع فى إختلاطها معهن والشبان وإخوتهن وأصدقائهن، فهى على أى حال ستواجه عامها الأول فى

الجامعة، وقد سلحتها بتربية جيدة وأخلاق عالية، لا تقلق عليها إلا من إصرارها على الزواج من ثرى.. جمالها لفت إليها نظرات شاب يكبرها فى العمر بعدة سنوات، متخرج حديثا فى الجامعة ويعمل مع والده. وثراؤه لفت نظرها إليه، فهو يصرف ببذخ فى المجموعة التى إندمجت فيها، ويمتلك سيارة حديثة، ارادت بكل أمنياتها وأحلامها أن تحصل منه على وعد بالزواج قبل إنتهاء الصيف، أن يتقدم لأمها ويخطبها. ربما فهم الشاب مناوراتها فى الحديث معه مثل ما تراه من ممثلات السينما لإيقاع الشاب فى الحب والزواج، فأخبرها أن كثيرات حاولن إصطياده للزواج، لكنه هرب من محاولات ذكية جداً، فهو لا يفكر فى الزواج.

ولما سألته عن الحب، قال إن الحب فخ للزواج لذلك فهو يتجنبه، ولما سألته عن موقعها فى حياته، قال إنها صديقة مختلفة عن بقية الصديقات. لم تعجبها إجاباته لكنها لم تبتعد عنه، ربما بغرور الأنثى الجميلة، إعتقدت أنها إذا لازمته فى الأيام التى ستقضيها على الشاطئ سيتعود على صحبتها ولا يريد مفارقتها!. وربما لأنه قال لها إنها مختلفة عن الفتيات الأخريات. فيقع فى فخ الحب والزواج اللذين يهرب منهما. عندما قدمته لأمها وجدتها على الشاطئ وجلس معهما قليلا لم يدخل قلبيهما، إكتشفتا عدم جديته. قالت لها جدتها: «إنه من ثوب غير ثوبنا».. فقالت لها إن ثوبهم لا يعجبها وهى تريد ثوبا فاخرا، هزت الجدة رأسها ولم تعلق.

وقد اكتشفت صدق كلام جدتها عندما دعاها إلى حفل عند أقارب له فى فيلا مثل القصر هناك وقابلت فتيات وشبانا اصدقاؤه وليسوا

اصدقاءها. لم تستطع الإندماج، وجدت نفسها وحيدة وغريبة، لم يسندها فى هذا الجو المختلف تماما عنها، وكان يحدث الفتيات ويتصرف معهن تصرفات تخبرها إنه ليس لها ولا تحاول، ولما سألته أن يوصلها لأنها تأخرت ولا تعرف الطريق، طلب من أحد الشبان أن يوصلها بسيارته لأنه متعب. فى الطريق أخبرها الشاب أن صديقها هذا يغير الفتيات كما يغير ملابسه والأفضل لها أن تبتعد عنه قبل أن يحدث لها شئ بغيض ويتركها هو.

فى صباح اليوم التالى لم تخرج لصديقاتها، سألتها جدتها لماذا هى مكدرة، فأخبرتها عن حفلة الامس وإحباطهاو قالت لها جدتها: «أن تجدى شخصا تحبينه ويحبك بالمال أو بدون المال، فهذا الحب يصنع السعادة التى تشع من داخلك، مثل شعاع من ضوء القمر يدخل قلبك، حقيقة المال يشترى الأشياء التى تريدينها، لكنك لا تستطيعى شراء ضوء القمر».

وفكرت فى الشاب الثرى، هى حقيقة تريد ثوبا فاخراً كما قالت لجدتها، لكنها لم تشعر بسعادة تشع من داخلها وهى معه، كانت سعادتها بما يشع حولها من ثراء الشاب، وايقنت أن السعادة الخارجية لابد أن تساندها سعادة داخلية. وبقيت مع عائلتها طوال اليوم، وكان آخر يوم لهم فى المصيف. فى المساء كان القمر بدراً. نظرت إليه وهى تحلم بشعاع حقيقى من الحب يدخل قلبها. قلبها، مثل هذا الشعاع من ضوء القمر الذى يحتضنها.

مفيش مشكلة

كانت اللهفة فى عيون الأسرة المكونة من الوالدين والبنات الثلاث وازواجهن والأحفاد الستة فى انتظار الابنة الرابعة وزوجها وبناتها الثلاث فى المطار منتظرين وصول الطائرة الأمريكية لاستقبالها وأسرتها فى اجازتهم المعتادة كل ثلاث سنوات، وعندما ظهرت البنت تدفع أمامها عربة لحمل الحقائب بدت الدهشة على وجوههم، فقد جاءت وحدها محملة بحقائب أكثر من التى عادة تحضر بها مع أسرتها. بادرتها أمها بالسؤال عن أسرتها فقالت بلا اهتمام إنهم هناك. سألتها هل سيلحقون بها. قالت.. لا.. تزاحمت على الأفواه الأسئلة فقالت لهم إنها ستحكى عندما ترتاح من الرحلة الطويلة..

فى بيت الأسرة الكبيرة جلست الأم مع بناتها الثلاث متحفزات لسؤال البنت الرابعة عن الحكاية. قالت ببساطة إنها لن تعود إلى زوجها، لن تعود إلى أمريكا.

أبدت شقيقاتها الثلاث فزعهن بشهقة جماعية، وخبطت الأم على صدرها «يامصيبتى».. ابتسمت البنت مستنكرة هذا الفزع الذى اصابهن وسألتهن لماذا لا يأخذن الحياة ببساطة؟! فهى لم تعد تطيق الحياة مع زوجها، وبدون الدخول فى تفاصيل مملة حكت لهن ما أخفته عنهن طوال السنوات الست الماضية، منذ افتتح زوجها مشروعا تجاريا هناك ونجح نجاحا باهرا وتراكمت فوقه الدولارات تغيرت معاملته لها، أصبح انانيا بخيلا وشرس الأخلاق. سألتها أمها وماذا عن بناتها الثلاث؟! قالت بنفس البساطة أنهن سيعشن مع أخت زوجها المقيمة هناك، وستذهب لزيارتهن أو يحضرن لزيارتها كل عدة سنوات. لا توجد مشكلة. قالت الجملة الأخيرة بالإنجليزية الأمريكية «لا مشكلة» ثم قالت إنها حصلت فعلا على الطلاق بعد أن تنازلت عن حقها كمواطنة أمريكية فى أخذ نصف ثروة زوجها. سألتها أمها إذا كان زوجها لا يصعب عليها فراقه بعد عشرين عاما زواجا ألا تصعب عليها بناتها؟! وألا تدرك أنها على مشارف الأربعين من عمرها؟! قالت إن بناتها تعودن الاعتماد على انفسهن وعمتهن تحبهن لأنها لم تنجب والتعليم والحياة هناك أفضل لهن، ولأنها على مشارف الأربعين فقد قررت الطلاق لتبدأ حياة جديدة، حاولت شقيقاتها الثلاث أن يثنينها عن قرارها وأنها يمكن بجمالها وانوثتها أن تستميل زوجها إليها وتنعم بثرائه الآن وحرام عليها ترك البنات، فضحكت من نصائحهن المتخلفة. أما الأم فتنهدت بحزن واستياء وقالت لابنتها إنها سافرت مع زوجها إلى أمريكا فى أول سنين زواجهما وكانا بصعوبة يجدان قوت يومهما فهل عندما يرتاحان ماديا ينفصلان؟!..

قالت ابنتها ضاحكة: «تصورى ياأمى العالم يسير بالمقلوب الآن.. لقد حكيت لنا يا أمى عندما كنا صغارا ودخل الفقر من باب بيتنا وقفز حبك من الشباك، حكيت لنا عن ضيقك من الحياة وتفكيرك في الطلاق وتحملت من أجلنا إلى أن فتح الله على أبى وتبدل حالنا وانتقلنا إلى هذه الشقة الفاخرة. العكس حدث معى، كنت سعيدة مع زوجى أيام فقرنا، تحملناه بالحب والمرح والمغامرات، لكن عندما دخل الدولار والثراء من بابنا قفز حبنا من الشباك».

قالت الأم بسخرية لابنتها أنها تحملت الفقر من أجلهن.. ألا تحتمل الثراء من أجل بناتها؟!

قالت البنت لأمها أن زمانها غير هذا الزمن الذى لا يحتمل التضحية، وأنها اتفقت مع صاحب شركة سياحية مصرية قابلته فى أمريكا أن يلحقها بالعمل فى شركته بمجرد استقرارها فى القاهرة ولتطمئن أمها أنها ستعمل وتعول نفسها وستبدأ حياة جديدة تبادلت النساء النظرات وربما فى وقت واحد فكرن فى صاحب الشركة وربطن بينه وبين الحياة الجديدة التى تحدثت عنها، وربما قرأت أفكارهن فابتسمت وقالت بالأمريكية.. لا مشكلة..

لسعة الغيرة

لم يشاهد زوجته بمثل هذا الجمال والحيوية، كأنها صغرت في العمر عشرين عاما. كأنها في ذلك التاريخ الذي التقى بها، وأحبها وأحبته وتزوجا هل الغيرة هي التي جعلته يراها على هذه الصورة؟! الغيرة من هذا الرجل المهم الذي دعاهما في كابينته بالمنتزه.

في الشهر الماضي عندما ذكر لزوجته اسم الرجل المهم الذي سيتعامل معه. قالت أنها تعرفه، ليس لأنه أصبح شخصية عامة، ويظهر كثيرا على شاشة التليفزيون، لكن لأنه كان جارا لها على شاطئ سيدي بشر، أيام كان شاطئا مرموقا، كانت كابينة أسرته بجوار كابينة أسرتها، وكانت العائلات في ذلك الزمن تتعارف على بعضها في مثل هذه الشواطئ. وعندما سألها زوجها هل يذكر اسمها للرجل المهم قالت بدون اهتمام أنها تشك في أنه يتذكرها، فقد مرت سنوات كثيرة على

تلك الجيرة، وتفرقت العائلات القديمة، لم يعد يجمعهم شاطئ واحد، والرجل امتلأ عالمه بالوجوه الكثيرة والأسماء الكبيرة فلا يمكن أن يتذكر وجهها إذا قابلها، فهل يتذكر اسمها؟! لم تقل لزوجها بطبيعة الحال أنه كان بينها وبين هذا الرجل شقاوة طفولة وإعجاب شباب وقصة حب مبتورة، ومع ذلك ذكر زوجها للرجل المهم اسمها واسم عائلتها، فابتسم ابتسامة عريضة وتذكرها على الفور، وقال أنها من الوجوه التى لا ينساها الفرد ولا ينسى تلك العائلات الطيبة. قال أنه سعيد لأنها تزوجته - أى زوجها - فكان أحيانا يتذكرها ويتساءل من الذى تزوجته؟!

لم يقل الرجل المهم لزوجها أن زوجته كانت حبه الأول ومن الصعب أن ينسى الرجل قصة حبه الأولى مهما كانت ساذجة وعبيطة، ودعاه لزيارته فى بيته مع زوجته، فاعتذر لانهما فى اليوم التالى كان موعد سفرهما إلى الإسكندرية. كتب الرجل المهم أرقام تليفونه فى الاسكندرية وناوله للزوج على أن يتصل به ويلتقون يوما فى كابينته بالمنتزه.. فرح الزوج بهذا التقارب مع الرجل المهم ولم يشغل تفكيره فى حكاية معرفته بزوجته، وماذا كان فى تلك المعرفة إلى أن ذهبا إلى دعوة الرجل المهم فى كابينته بالمنتزه. كان وجه الرجل المهم بتأثير المصيف ناضجا كالفاكهة التى أشرفت على التلف لكنه ظهر بمظهر الشباب بثيابه الخفيفة الملونة. سلم على الزوج باشتياق واحتضنه وقبله كأنه يحتضن زوجته ويقبلها هى! فقد أمسك بيدها بين يديه لمدة طويلة. رحبت بهما زوجة الرجل المهم، وانشغلت بمدعوين أخرين.

لاحظ الزوج نظرات الرجل المهم واهتمامه بالحديث مع زوجته عن ذكريات الشاطئ القديمة. كما لاحظ حيوية زوجته وجمالها، وأيقن أنه كان بينهما قصة حب، ولابد أن زوجته قد هربت منه، فقد أخبرته يوما أنها هربت من قصص حب كثيرة: هربت منه كما يهرب الحمقى من حظهم الطيب، ويقولون أنه قدرهم والحقيقة أنه اختيارهم، ولابد أن زوجته تشعر بندم الآن فكان يمكنها أن تعيش حياة أفضل مع هذا الرجل المهم، وكان يمكن أن تكون هذه الكابينة ملكها بدلا من هذه الشقة العتيقة على شاطئ المندرة. فجأة تنبه من خيالاته على صوت الرجل المهم وهو يسأله أن يجلس تحت الشجرة لأن الشمس ستلسع رأسه، والحقيقة أن الغيرة هى التى لسعت رأسه.

اجتمع عدد آخر من المدعوين والمدعوات، وزوجة الرجل المهم ترحب بالضيوف، وفى نفس الوقت تحاول لفت الأنظار إليها بتعليقات ليس لها معنى، أو ضحكة طويلة بلا مناسبة. وطوال الوقت كان شغال وشغالة يقومان على خدمة هذا الجمع بالمشروبات المثلجة والفاكهة وأى شئ يطلبونه. عندما جاء وقت تقديم طعام الغداء، همس الزوج لزوجته، فقامت واستأذنا فى الانصراف، ألح عليهما الرجل المهم أن يمكثا لتناول الطعام فاعتذرا لأنهما لابد أن يلحقا بابنيهما. وانصرفا. فى طريقهما خارج حدائق المنتزه سأل الزوج زوجته أليست نادمة أنها لم تتزوج هذا الرجل المهم؟!

قالت: «الإنسان يندم عندما يفعل خطأ فى حياته، وأنا لم أخطئ فى اختيارى»، وتعلقت بذراعه وقالت: «إننى بتركيبة شخصيتى وطبيعتى

لا أصلح لتركيبة حياة مثل هذا الرجل المهم، فهل لاحظت حركات زوجته لتلفت إليها الأنظار؟ إننى ياحبيبى كما عرفتنى أحب أن أعيش بجوار الرجل وليس فى ظله، فهذا الظل يمكن أن يشعرنى ببرودة خصوصا إذا كان ظلا لرجل مهم!».

نظر إليها زوجها بطرف عينه، ولم يدر هل كلام زوجته من واقع شعورها الحقيقى، أم كبرياء الأنثى التى فاتها الارتباط برجل مهم!!

قال الرجل الأول «هل تريد أن تقنعنى أن هذا الرجل المتطوس تزوج هذه الإنجليزية الهبلة عن حب»

قال الرجل الثانى «هو الذى أخبرنا فى النادى أنه قابلها بالصدفة فى ميدان بيكاديللى فى لندن وأحبها من أول نظرة».

قال الرجل الأول «أقول لك الحكاية فقد كنت فى بعثتى الدراسية فى إنجلترا أثناء وجوده فى بعثة، منذ عشرين عاماً، وكنا كطلبة مصريين نلتقى فى دفء لغتنا هرباً من صقيع الغربة، نحكى عن مغامراتنا وآمالنا، لم يكن أحد منا يشتاق ويصر على الزواج من إنجليزية إلا هو، وكان يريدها أيضاً «كلاس» من طبقة غنية كان يقول أنه يريد أن يحسن النسل فى عائلته، فكلهم من أصل ريفى والحقيقة أن من مظاهر التطوس أن تتعلق بذراعه زوجة أجنبية

وأيضاً ثرية لاغراض فى نفسه. لكن الإنجليزيات اللاتى كان يصاحبهن ويتعلقن به من جرسونات المطاعم وموظفات بسيطات فكان ينهى مغامراته سريعاً معهن. واعتقدنا أنه غير جاد فى حكاية الزواج، ذات يوم كان يتطوس كعادته فى ميدان بيكاديللى متعاجباً بنفسه. وصادف أن كانت هذه الإنجليزية الهبلة فى رحلة مع بنات مدرستها التى فى ريف إنجلترا، كن يشاهدن تمثال «إيروس» إله الحب عند الإغريق الذى فى الميدان ويتهامسن بأمنياتهن ويضحكن.

وتوقفت ضحكات البنت الهبلة عندما شاهدت هذا المتطوس الشرقى، صرعتها نظرة عينيه وأعجبها لونه النيلى أو على الأصح الطينى فوقعت فى غرامه من أو ل نظرة هى التى أحبته. وليس هو كما قال لكم، لم ترتبط بزميلاتها وهامت وراء هذا المتطوس بعد أن اشترى لها زهرة من بائعة زهور فى الميدان، كما كان يفعل دائماً فى أول معرفته بالبنات الإنجليزيات واعتبرت الهبلة أن هذه الزهرة إعلان بالحب. ووجد فيها ضالته التى يبحث عنها. فهى من عائلة ثرية تصغره بعشر سنوات وتهيم به حباً.

والغريب أن أسرة الفتاة رحبت به. ربما خافوا ألا تتزوج ابنتهم الهبلة من إنجليزى مثلهم فرحبوا بالمصرى الذى تعلقت به وعندما قدمها لنا متفاخراً على أنها خطيبته ، قلنا له أن البنت هبلة قال أن هذا لايهمه فهى جميلة وإنجليزية وثرية وبذلك ضمن ذهابه كل عام إلى زيارة أهلها فى إنجلترا وشراء الملابس التى يتعاجب بها علينا وعلى أهله. وأنه لايحبها كما يقول إنه يحب نفسه انظر إليه الآن.

كان الرجل المتطوس يلعب كرة الراكيت مع ابنه الذى فى الخامسة عشرة من عمره. ويقوم بحركات بهلوانية ليلفت إليه نظرات الجالسات على شاطىء الغرام فى مرسى مطروح لقد جاء بأسرته الصغيرة فى هذه الرحلة التى نظمها النادى الرياضى الذى يشترك فيه مع هذين الرجلين اللذين يتحدثان عنه

قال الرجل الثانى «الذى أعرفه عن المصريين الذين يتزوجون من أجنبيات يكنون لهن الولاء والإخلاص. إلا هذا الرجل فهو كثير المغامرات العاطفية.

قال الرجل الأول «كلنا نعرف هذا إلا زوجته الهبلة. تقول عن عشيقاته..صديقات».

قال الثانى «لابد أنها تفهم ولشدة حبها وولائها له تتغافل عن مغامراته. إنها تتفانى فى خدمته وخدمة ولديهما كما لو كانت مصرية غلبانة وليست إنجليزية ثرية»

قال الأول له سحر خاص لدى بعض النساء، انظرها هى آخر عشيقاته جاءت تتمخطر، ولابد أنه اشترك فى هذه الرحلة من أجلها.

ترك الرجل المتطوس مضرب الكرة وذهب إلى هذه المرأة التى جاءت تتهادى برداء البحر فهى زميلة لهم فى النادى . سلمت على زوجته وقبلتها. وسارت معه إلى البحر. وغطسا أما زوجته فقد لاحقتهما بنظراتها ثم تمددت على الشاطئ والتف قماش ردائها حولها فظهرت مثل سمكة كبيرة تركها موج البحر على رملة الشاطىء بعد انحسار.

أغلي أنواع العطور..

عندما فتحت حقيبة ملابسها فى الفندق، وجدت زجاجة العطر الغالى الذى لم تحبه كما لو كانت فتحت لعبة عفريت العلبة فقفز العفريت فى وجهها وانزعجت من المفاجأة. لقد أهداها زوجها هذا العطر عند عودته من رحلة عمل فى باريس، وقال لها إنه اشترى لها أغلى أنواع «البارفام» لتعرف غلاوتها عنده لكنها لم ترتح لرائحة العطر، فليست كل أنواع الروائح العطرية تناسب كل النساء يوجد عطر يناسب المرأة السمراء وعطر يناسب البيضاء. وعطر قوى مستحب للشتاء وآخر خفيف من الزهور يناسب الصيف. وهى عموما تحب العطور الخفيفة، وهذا العطر الغالى لاتدرى إذا كان للشتاء أم للصيف، للبيضاء أم السمراء فهى كلما تعطرت به تشعر بضيق، ولاترتاح إلا بعد أن تزيله تماما من جلدها بحمام دافىء وكلما سألها زوجها عن العطر

الجديد ولماذا لاتتعطر به لاتعرف بماذا تجيب فهى لاتريد أن تشعره بالإحباط لأن هديته الغالية لاتناسبها وربما لايفهم أن لكل امرأة عطرها المفضل، هذا الذى تشعر معه بانتعاش وارتياح لحق بها زوجها فى حجرتهما بالفندق. وقال لها أنها قد نسيت زجاجة «البارفام» التى أحضرها لها من باريس فوضعها فى حقيبتها ليستمتع برائحتها عليها فى هذه الاجازة التى سيقضيانها وحدهما ابتسمت لزوجها مجاملة فهما منذ تزوجا ، من خمسة عشر عاما لم ينعما باجازة وحدهما، وهذا الصيف سافر ابناهما مع رحلة سياحية إلى جنوب سيناء . وقررت مع زوجها قضاء أجازتهما فى هذا الفندق بالإسكندرية لقد وصلا وقت الظهيرة. وعند الغروب قبل أن يذهبا إلى مقهى الفندق المطل على البحر فاجأها زوجها بزجاجة العطر وطلب منها أن تتعطر به لم ترد أن تحيطه فى أول يوم فسحبتها فتعطرت وجلست فى شرفة المقهى وهى تكاد تختنق من رائحة العطر. شاهد زوجها زميلا له وأستاذن منها ليتحدث معه أثناء جلوسها وحدها سمعت صوت فتاة تنادى.. «طنت ثريا» ألتفتت ناحية الفتاة، إنه ليس اسمها لكن الاسم ورائحة العطر التى تطبق على أنفاسها حملاها إلى سنين طفولتها. تذكرت امرأة بغيضة وقريبة لأبيها اسمها ثريا كانت تتعطر بمثل هذا العطر الذى يضايقها الآن محتويات الروائح العطرية منذ صناعتها الأولى لاتتغير أسماؤها فقط هى التى تتغير بضيفون عليها عنصرا جديدا. ويحذفون عنصرا قديما، لكنها لاتتغير تماما، تذكرت يوما كان قد اختفى من ذاكرتها، كانت تلعب وحدها فى حجرتها، وكانت أمها مع أخيها الوحيد فى

زيارة، وكان والدها فى البيت عندما جاءت قريبته «ثريا» كانت فى عمر مثل عمرها الآن فى الأربعين جميلة وأرملة مكثت مدة طويلة مع والدها فى حجرة الصالون والباب مغلق عليهما، وعندما خرجا من الحجرة تركت هى ألعابها ووقفت على باب حجرتها. فى تلك اللحظة كان والدها يحتضن المرأة قبل أن يفتح لها باب الشقة، وكان وجه المرأة تجاه الداخل فشاهدتها تركت والدها وجرت إليها احتضنتها وكانت تتعطر بمثل هذا العطر الذى تتعطر به الآن ويضايقها فتحت المرأة حقيبة يدها لتعطى الطفلة شيئا، ربما لم تجد سوى زجاجة العطر فأعطتها لها عندما عادت أمها وشاهدت زجاجة العطر فى يد طفلتها، أخبرتها أنها من «طنت ثريا» أخذت أمها الزجاجة وقذفت بها من النافذة وحملت ابنتها إلى الحمام وغسلت العطر من على جلدها، سمعت الطفلة شجارا بين والديها وأخبرها آخوها أن أمهما أقسمت لوالدهما أنه إذا دخلت «طنت ثريا» البيت سواء فى وجودها أو عدم وجودها ستترك هى البيت. وبكت الطفلة.

بدون أن تدرى اختنقت بالدموع، نظرت إلى البحر عندما عاد زوجها، لكنه لاحظ لمعان عينيها بالدموع فسألها ماذا بها؟! وحكت له تلك الذكرى، وسبب ضيقها من «البارفام» بدون أن تدرى إلى أن اكتشفت السبب، وأنها كانت ذكرى أليمة. فقد تذكرت التوتر الذى دام بين والديها لفترة طويلة بعد تلك الحادثة. وقد فهمت أن مافعله والدها كان خطأ فخافت أن تحكى ما شاهدته لوالدتها ولم تحكه لأحد بالرغم من مرور السنين. قال لها زوجها إن علم النفس يقول إننا عندما نكتشف

سبب ضيقنا من شيء كان مختبئا فى عقلنا الباطن ولم نفصح عنه نتغلب على هذا الضيق بعد أن نفهم. وأنها لابد ستتغلب على ضيقها من رائحة هذا العطر وتستخدمه. قالت لكنها بعدما عرفت سبب ضيقها لن تستطيع استخدامه، ولابد أن هذا العطر يناسب المرأة السمراء ولايناسبها هى ! ضحك زوجها من عقول النساء وأفكارهن الساذجة. وكانت ضحكاته مغتاظة.

لولا الخجل لقالت...

قالت لزميلتها فى حجرة العمل إنها تنتظر نهاية الشهر بفارغ الصبر لتسافر مع زوجها فى رحلة إلى قبرص وترتاح من عناء العمل والحر سألتها زميلتها بشىء من الخبث لماذا لايصحبها زوجها معه إلى الإسكندرية؟.. ردت عليها بسذاجة إن زوجها يسافر إلى الإسكندرية كل نهاية أسبوع بدافع عمله. ولماذا تسألها بخبث عن زوجها هذه الأيام،

قالت لها زميلتها إن زوجها متزوج ويقضى هذين اليومين مع زوجته فى شقة فى المعمورة ضحكت وقالت لها بثقة إن زوجها لايمكن أن يتزوج من أخرى فمن الذى قال لها هذه الخرافة، قالت لها زميلتها إنها لم ترد أن تخبرها إلا بعد أن تأكدت بنفسها فى الأسبوع الماضى وهى فى المعمورة هزت رأسها غير مصدقة فكيف تصدق وزوجها لم يقترب

منها منذ ثلاث سنوات وأخبرها أن طبيبه نصحه بالابتعاد عن انفعال العلاقة لأنه اكتشف مرضا فى قلبه ويعالجة خجلت البوح لزميلتها بهذه الحقيقة وسألتها إذا كانت تعرف متى تزوج زوجها وبمن قالت لها زميلتها منذ ثلاث سنوات. منذ افتتح فرعا لمصنعه فى الإسكندرية وتعرف على هذه الاسكندرانية وتزوجها وهى مطلقة فى الخامسة والثلاثين من عمرها خفق قلبها بشدة وابتلعت شهقتها أى منذ امتنع عن الاقتراب منهاوسألت زميلتها كيف عرفت، أجابتها من همسات بعض زملائهما ابتسمت بصعوبة وقالت إنها لاتصدق عرضت عليها زميلتها السفر معها اليوم الخميس لتقضى نهاية الأسبوع معها فى بيت والدتها فى المعمورة فابنتاها هناك. وهى تذهب مع زوجها هناك كل نهاية أسبوع وهذا الأسبوع ستذهب وحدها صمتت ثم قررت السفر معها

طوال الطريق إلى الإسكندرية وهى تسترجع أحداثا مع زوجها لقد بدأ فى الشقاوة مع النساء منذ جرت النقود فى يده منذ عشر سنوات وتوترت العلاقة الحميمة بينهما. وعندما تزوجت ابنتهما الوحيدة منذ ثلاث سنوات. جاء لها بهذه الكذبة من الطبيب وامتنع تماما عن الاقتراب منها وهى فى ذروة نضجها الأنثوى فى الأربعين من عمرها ليتزوج بأخرى تصغرها فقط بخمس سنوات لقد انتظر إلى أن زوج ابنته عاقل لم تسترح فى المعمورة إلا بعد أن قابلت زوجها أرسلت له ابنة زميلتها فى الشقة التى يسكن فيها وربما فوجىء الرجل فنزل فى الحال معها كانت تنتظره فى مقهى قال لها مباشرة إنه تعمد أن يظهر أمام زميلتها مع زوجته لتخبرها لأنها لم ترد أن تفهم أن علاقته بها انتهت

ابتلعت الإهانة وسألته عن حقيقة مرضه قال إنه ليس مريضا لولا الخجل لسألته ولماذا عذبها؟ كم من الليالى احتواها الأرق وكم من المرات استيقظت من نومها بفزع الشوق والنشوة اعتصرتها الإهانة وطلبت منه الطلاق سألها بسخرية ماذا ستفعل بالطلاق هل ستتزوج مرة أخرى؟! ابتلعت الإهانة وصمتت فهى تعرف زوجها من عشرة ربع قرن لم ترد أن تخبره أنها تريد حريتها لتفتح قلبها للحب والحياة فهى فى عز نضج شبابها نعم تريد حريتها لتتزوج إذا قالت له هذا لتمسح جرح كرامتها لن يطلقها.. وحتى إذا لم تتزوج فهى لن تستطيع الاستمرار مع رجل يبخل عليها بعواطفه ويعطيها لأخرى قالت إنها تفضل الطلاق على أن تعيش مع رجل لايطيقها وعدها أنه سيطلقها بمجرد عودته إلى القاهرة مادامت هذه رغبتها ولما أخبرت زميلتها اعتذرت لها واقسمت أنها لم تكن تقصد هذا، إنها فقط أرادت أن تخرجها من سذاجتها لتعرف حقيقة زوجها قالت لزميلتها إن الحياة معه لم تعد تطيقها، قالت إنها صبرت وتألمت فى صمت سنين طويلة ولولا خجلها لقالت لها إنه لم يعد يقترب منها.

رجل طيب

طلبت صديقاتها القديمات لتجتمع بهن مثل الأيام الخوالى الماضية، دعتهن فى شقتها الجديدة وطلبت منهن أن يذهبن إليها بدون صحبة أزواجهن فزوجها مسافر وتريد أن تكون جلستهن «حريمى» فقط لم يتعجبن لأنهن يعرفن من زمن بعيد رأيها فى زوجها ولم تحب أن يختلط بهن وأ زواجهن! تبادلت الصديقات الأربع التساؤل عن سبب هذه الدعوة، قالت واحدة لابد أنها تريدهن أن يشاهدن شقتها الجديدة بعد الجحر الذى كانت تعيش فيه. وقالت أخرى لابد أنها تريد أن تتباهى وتغيظهن بما تملك الآن! وقالت الثالثة لابد أنها تغيرت خلال تلك السنوات العشر التى غابتها عنهن وتريدهن أن يشاهدن هذا التغير وقالت الرابعة لابد أنها ستصدع رؤوسهن بشكواها من زوجها فقد وصلت القاهرة قبل وصوله لتنتهى من تأثيث شقتها الجديدة لتقضى فيها هذا الصيف .

استقبلتهن بترحاب شديد وقالت لهن أن الأستاذ زوجها كان معها على التليفون من باريس وطلب منها أن توصل ترحيبه بهن فى شقتهما الجديدة تبادلت النساء الأربع النظرات المستفهمة عن هذا الاحترام المفاجىء لزوجها فهن يعرفن القصص القديمة وتحقيرها القديم لهذا الأستاذ أحياناً لانستطيع معرفة الإنسان معرفة تامة حتى لو عشنا معه سنين طويلة ولايخطر ببالنا ماسيفاجئنا به. وقد فاجأتهن أيضاً برشاقة بدنها ولون شعرها الذهبى الذى لايتناسب مع بشرتها السمراء. وطافت بهن فى حجرات الشقة الجديدة، وشاهدن أثاثاً غالى الثمن وخاليا من الذوق. وخلال الساعات الثلاث التى قضينها فى بيتها. لم تذكر واحدة منهن أنها تحدثت أكثر من عشر دقائق. لقد فتحت مضيفتهن فمها الصغير الذى لايكف عن الكلام. وأخذت تتحدث طول الوقت. ومعظم حديثها عن زوجها تذكره بمناسبة وبدون مناسبة وتحرص على لقب الأستاذ قبل اسمه، وكان الحديث عنه مختلفا تماما عن السنين الماضية ، أى قبل عشر سنوات من تركها وزوجها أرض الوطن

قالت لصديقاتها وهى تدور بهن فى شقتها أن الأستاذ رجل سخى لم يبخل على بيته بشراء الأثاث من أغلى المحلات هزت صديقتها «ع» رأسها وعادت بذاكرتها إلى حديث صديقتها عن زوجها فى السنين الماضية وأنه بخيل لدرجة «النتانة» ويخفى معظم مايدخل جيبه من أعمال خارجية عن عمله الاصلى ويتركها تصرف من دخلها فى البيت وهى تضطر إلى الصرف فهل تموت من الجوع! وكثيرا مااضطرت إلى الاقتراض من أهلها.

قالت لصديقاتها وهى تقدم لهن الشاى والحلوى أن الأستاذ وهو فى باريس الآن يطلبها كل يوم ليسأل عنها وعن ابنهما الوحيد، ولولا أخلاقة العالية وتربيته الراقية ماكان سأل عنها وكانت أضواء ونساء باريس جعلته ينسى.. هزت صديقتها «ز» رأسها وعادت بذاكرتها إلى الوراء. كم من المرات أيقظتها من نومها فى منتصف الليل لتهرع إليها مع زوجها ليخلصها من هذا الزوج الحقيرتربية الحوارى القذرة والأسرة سيئة السمعة!

قالت لصديقاتها وهى تقدم لكل واحدة زجاجة عطر فرنسى أن زوجها الأستاذ رجل طيب، فهو الذى طلب منها أن تحمل هدايا لأهلها ولصديقاتها المقربات لأن هذا آخر عام لعمله فى الخارج. وأنه كان يعاملها فى الغربة بكل حنان، وظهرت طيبة قلبه واضحة هناك، هزت صديقتها «ن» رأسها وعادت بذاكرتها إلى الوراء، تذكرت ذات مساء عندما منعتها بالقوة من استدعاء البوليس أو الذهاب إلى قسم البوليس لتحرير محضر اعتداء عليها من زوجها الشرير، الحقير، غليظ القلب.

قالت لصديقاتها وهى تقدم لهن صور ابنها الذى أصبح فى العشرين من عمره أنها وزوجها الأستاذ قررا أن يتعلم ابنهما تعليمه العالى فى بلدنا فقررا أن يعودوا إلى أرض الوطن لانها لاتحب أن يعيش ابنها وحده، أو تعيش هى معه ويظل الأستاذ بعيداً عنهما. فالولد يحتاج لأسرة مترابطة.

هزت صديقتها «س» رأسها وعادت بذاكرتها إلى الوراء..كم من المرات وقفت بينها وبين الطلاق ومنعتها من اقتراف هذه الحماقة من أجل

طفلها، وكم من المرات قالت لها أنها إذا ربت طفلها وحدها أفضل من أن ينشأ و له أب ردئ .خسيس مثل زوجها. والذى هو الآن الأستاذ

وودعت المرأة صديقاتها الأربع كأنها امرأة جديدة تماماً، فقد كانت تحضر إلى القاهرة أحياناً فى اجازات الصيف خلال سنوات غيابها. لكنها لم تطلب مقابلتهن أو حتى طلبهن فى التليفون.. فظهرت لهن كأنها امرأة جديدة، كأنها لاتتذكر رذائلها وهى شابة منذ عشرين عاماً وكيف كانت تتصرف مع زوجها هذا الذى أصبح طيباً وعالى الخلق وراقى التربية بقدرة قادر عندما أصبح ثريا وغرقت فى الثراء وفهمن متى يصبح الرجال طيبين وأساتذة!

متسلقة.. متسلطة.

في لحظة ملل كانت تقلب فى قنوات التليفزيون، واستمعت إلى مذيعة تنوه عن البرامج التى ستذاع الليلة على هذه القناة، ضمنها حديث مع امرأة ناجحة وذكرت إسم «فلانة» انتبهت إلى الاسم وقررت أن ترى «فلانة» هذه زميلتها القديمة فى الكلية الجامعية وتسمع ماستقوله، فهى تجدها مثالا للمرأة القبيحة المتسلقة.. المتسلطة منذ زمالتهما فى الستينيات من هذا القرن، لاشك إنها امرأة ذكية، لكن الذين يتمتعون بدرجة ذكاء عالية، أحيانا يختارون طرقا ملتوية ومستهجنة للوصول إلى أهدافهم، وقد استخدمت «فلانة» هذه طريقا ملتويا وهو خدمة رؤسائها، وهى طالبة فى الكلية كانت تتملق الأساتذة وتسعى لمصادقة زوجاتهم، كانت تقوم بخدمات لهن ولأطفالهن داخل وخارج منازلهم، لم يشك أحد فى علاقات تملقها للأساتذة حتى الذين

لم يكونوا متزوجين فى ذلك الوقت. فلم تكن تتمتع بشىء من الجمال لتقال عنها الأقاويل فى مثل تصرفاتها معهم، ولم يكن لديها مثلا من ثراء لتغدق بالهدايا على الأساتذة لكنها كانت تنقل لهم سخرية الطلبة منهم وتسببت فى عداوة بعضهم لبعض الطلبة، واكتسبت كراهية زميلاتها وزملائها.

لقد اختارت مكان عمل غير الذى اختارته زميلتها «فلانة» هذه لتتقى شر زمالتها، واختفت عنها أخبارها، وكادت أن تنساها إلى أن بدأت صورتها تظهر فى أخبار وأحاديث الصحف منذ عدة سنوات، وعلمت أنها تسلقت العمل الوظيفى إلى أن وصلت إلى مركز مرموق، وأصبحت متسلطة فيه، ففى مكان تسلطها تعمل بعض زميلاتها وزملائها القدامى، وقد اتصلت بواحدة منهن لتسألها ماذا نفعل مع رئيستها، فاشتكت من معاملتها السيئة خصوصا لزملائها وقت الدراسة، وقد وصلت إلى هذا المنصب بأسلوبها القديم فى خدمة الرؤساء وبث الشك فى نفوسهم ضد العاملين معهم.

لم تتعجب من حديث زميلتها القديمة، فلابد أن تتصرف هذه المرأة القبيحة بهذا الأسلوب، ومنذ ظهور صورها فى الحياة العامة، وهى دائما تشبه أى امرأة فيها قبح من ملامح «فلانة» أو قبح من تصرفاتها بأنها تشبهها، حتى أنها شبهت بها قطة قبيحة المنظر.. كانت فى سيارتها تنتظر مرور السيارات أمامها فى شارع ضيق، وشاهدت قطة رمادية بجوار صندوق قمامة تلتهم شيئاً، اقترب منها قط ضخم، زمجر،

وامتطاها، لم تتحرك القطة، واستمرت فى التهام ماكانت تأكله! فى تلك اللحظة وجدت تشابها بين القطة و «فلانة».

جاء البرنامج الذى تنتظره، وظهرت «فلانة» تحدثت مع المذيعة عن طريق نجاحها واختتمت حديثها بأن الحياة حققت لها أمنيات أكثر مما كانت تتمنى!! طلبت زميلتها التى تعمل تحت رئاسة «فلانة» وسألتها هل شاهدتها فى البرنامج؟!. قالت زميلتها: إن هذه المرأة قُدمت فيها شكاوى كثيرة من العاملين، لكن المسئولين الذين وضعوها فى هذا المنصب لتخدم أغراضهم لايريدون الاستغناء عن خدماتها، وقدموها لتظهر فى برنامج الناجحين والناجحات لتظهر فى صورة إنسانية، لكنها لم تظهر على هذه الصورة، فالمشاهد العادى يستشعر الكذب فى الحديث، وإذا كانت تعتبر أن الحياة حققت لها أكثر مما كانت تتمنى فى المركز الذى وصلت إليه، فهى مكروهة فيه.. أو ...فى الأبناء الذين أنجبتهم فهم هاربون منها فى بلاد العالم، أو ..فى الرجل الذى تزوجته، فقد تأكدوا أن له زوجة ثانية من سنتين، فهل هى بعبارتها هذه تخدع نفسها أم تغيظ الناس!

أم تعتقد أنها تشعل الغيرة فى قلب زميلاتها وزملائها القدامى؟!...

وأخيرا..قالت زميلتها: إن «فلانة» هذه تسىء إلى صورة النساء الناجحات حقيقة، وليست مثلها يمكن أن تثير غيرة أحد..

ولم يشهد أحد..

لايعلم أحد من العاملين العقدة النفسية التى تسيطر على الرئيس الجديد لمؤسستهم الكبيرة، فتجعله متحفزا للتنكيل بهم وتهزيئهم، خصوصا رؤساء الأقسام والمديرين، عيونه من صغار الموظفين وصغار النفوس منتشرة بينهم. على مدى أثنى عشر شهرا عقد اثنى عشر اجتماعا لرؤساء الأقسام والمديرين ليعاقب أحدهم أمام الباقين. الذى يقيله من منصبه، والذى يخصم من مرتبه، والذى يكتفى بتهزيئه أمام الآخرين واحد من هؤلاء المديرين لم يستطع أن ينكل به بخصوص العمل كما فعل من الباقين، بجانب أنه معتد بنفسه فقد اكتسب خبرته العملية من الدراسة فى أمريكا، والكل يشهد بكفاءته.

وقد علم الرئيس أخيرا من أحد عيونه أن هذا المدير اجتمع بزملائه وحضهم على كتابة شكوى جماعية ضده للوزير المختص، فقرر أن ينكل به، وحسب نظريته أن لكل إنسان ثغرة، واقسم أن يجدها

ويخترقها، ووجدها فى حياته الخاصة، فهذا الرجل المعتد بنفسه الذى يظن أن رأسه على مستوى رأس رئيسه الكبير لمجرد أنه عاش فى أمريكا ومتزوج من أمريكية ووالده ثرى، هذا المدير له ابن عمره عشر سنوات تصحبه زوجته كل صيف إلى بلدها فى الولايات المتحدة

وقد لاحظت عيون الرئيس هذا الصيف أن المدير لايعيش فى شقته المؤجرة مع الأمريكية بعد أن سافرت ويعيش فى شقة تمليك اشتراها مؤخراً، وأنه على علاقة مشينة مع سكرتيرته المطلقة أرسل الرئيس عيونه لمراقبة تحركات المدير وسكرتيرته وجاءته التقارير...شيء عظيم تحت يده ليطيح به ويفضحه ويجعل رأسه المرفوعة بكبرياء على مستوى حذائه وقد وصل إلى علم المدير المكيدة التى يدبرها له الرئيس وأن الاجتماع المقبل للتنكيل به ونصحه أحد زملائه من المديرين أن يستغنى عن سكرتيرته فرفض وفهم عندما جاء يوم الاجتماع العظيم لاحظ المدير أو خيل إليه أن العاملين يتهامسون فازداد اعتداده بنفسه، ولاحظ إبتسامة ساخرة على وجه الرئيس الذى بدأ الاجتماع بمهاجمته فهو غير أمين على العمل وقدوة سيئة لمرءوسيه الشبان، وأن المؤسسة ليست ماخورا له ولسكرتيرته وسيعاقبهما أشد عقاب ويفضحهما، وقد كتب مذكرة مفصلة للوزير سيقرأها عليهم بعد قراءة التقارير التى جاءته عنهما لم يهتز المدير وقال بهدوء للرئيس بدلا من أن يتعب نفسه ويقرأ التقارير سيقولها له

سأل المدير الرئيس: «هل قالوا لك إننى أخرج مع سكرتيرتى ونتناول طعام الغداء أحيانا فى المطاعم» أجابه الرئيس..نعم سأله المدير: «هل

قـالوا لك إنهم شـاهدوا سكرتيـرتى تقـود سيـارتى الخـاصـة وحـدها لمشاويرها، أجابه الرئيس... نعم ..سأل المدير «وهل قالوا لك إننا نسافر إلى الإسكندرية معا كل نهاية أسبوع؟». أجابة الرئيس نعم. سأله المدير: «وهل قـالوا إنها تدخل العمارة التى أسكن فيـها الآن؟» ، أجابة الرئيس ..نعم .سأل المدير:«الم يخطر ببال أحد أنها يمكن أن تكون ساكنة مع زوجهـا فى نفس العمـارة!» قـال الرئيس سـاخراً: إنهـا مطلقـة . قـال المدير«إنها متزوجة الآن»

صرخ الرئيس: «هذا يدل على فسوقك أن تشترى شقة فى العمارة التى تسكن فيها مع زوجها». قال المدير «ياسيادة الرئيس أنا زوجها» فوجىء الحاضرون بتصريحه ولم يبتلع الرئيس الإهانة وطلب منه إثبات هذا. أخرج المدير من جيبه قسيمة الزواج وناولها للرئيس، فزاد غيظه وقال: «هذا ليس زواجا فالزواج مفروض فيه العلانية وأنت لم تعلن أحدا» قال المدير: «ياسيادة الرئيس أولا لى مشاكلى مع زوجتى الأمريكية وأنا فى سبيل تطليقها ولا أريدها أن تخفى عنى الولد إذا علمت بزواجى، والعلانية فى زواجى من سكرتيرتى موفورة فى أسرتى واسرتها .. وثانيا»

قام من مجلسه واقترب من الرئيس على رأس منضدة الاجتماعات ومال على أذنه وهمس له بعدة كلمات فتغيرت ملامح وجه الرئيس وصرخ فى الحاضرين أن يشهدوا على نذالة هذا الرجل، انحنى المدير للرئيس باحترام وانصرف ، فصرخ فى الحاضرين أن يشهدوا ضد هذا

الخسيس ليرفده . تبادل الحاضرون النظرات وكتموا الضحكات، فلم يسمع أحد شيئا مما قاله المدير للرئيس ليشهدوا ضده!

خطأ × خطأ

أقامت زوجة عمها حفل استقبال للأقارب والأصدقاء، احتفالاً بنيل عمها جائزة الدولة التقديرية فى العلوم، ذهبت فى الموعد المحدد، فهى تعرف دقة عمها وزوجته فى المواعيد، الحفل من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة مساء ، لا أحد يذهب قبل الموعد، وغير مرحب به بعد الموعد!! عندما تقدمت لتهنئة عمها كان يتحدث مع مجموعة من الرجال عن قيمة الجائزة المعنوية بالنسبة له، فهو لاتهمه القيمة المادية، هزت رأسها بأسى، لقد أفنى عمها سنين طويلة من حياته فى الأبحاث العلمية التى تفيد الإنسانية، وأخيراً نال تقديراً فى جائزة قيمتها المادية خمسة آلاف من الجنيهات!! وشاهدت بالأمس فى التليفزيون شابا أفنى شهورا قليلة من حياته فى احتساء زجاجات من مياه غازية حتى جمع الكلمات المطلوبة المضغوطة على غطاءاتها وكسب جائزة قدرها مائة

ألف من الجنيهات!! هذه المقارنة لم تثر دهشتها بقدر ماأثارت عبارة أصبحت ترددها كثيراً بينه وبين نفسها: يوجد شيء خطأ.

تحدثت زوجة عمها إنچى هانم عن استيائها من السكان الجدد الذين دفعوا مايقرب من المليون من الجنيهات فى الشقة الكبيرة المجاورة لشقتهم، إنهم من المليونيرات الجدد الذين زحفوا من الحوارى ليسكنوا فى مثل هذا الحى الراقى، وأنها غاضبة من ورثة «البك» المرحوم الذين باعوا شقتهم لهؤلاء الأفظاظ، واشتكت زوجة عمها من فظاظة الناس الآن والسوقية فى العبارات المتداولة، يكفى أن نسمع حواراً فى فيلم قديم وحوارا فى فيلم حديث لنعرف التدهور الذى حدث فى لغة الحوار، والذى يؤلمها أكثر معاملة الرجال للنساء الآن والشبان للشابات الخالية من النبل وأخلاق الفروسية والچنتلمان!!.. هزت رأسها بأسى وهى تستمع إلى زوجة عمها.. ذهب عصر الفرسان المحترمين يا إنچى هانم، حتى لقب الهانم الذى تصرين على التحلى به لم يعد لقبا محترما فقد وضعوه اسما على سلعة إستهلاكية!!

لم تستطع البقاء فى حفل التهنئة لعمها أكثر من نصف ساعة، شعرت باختناق من كلمات المجاملة، وإصرار عمها على عدم اهتمامه بقيمة الجائزة المادية وحسرة إنچى هانم على أيام الفروسية، انسحبت بهدوء من الحفل.

اخترقت الطرقات إلى أن وصلت إلى شاطىء النهر وسارت.. متى يتحقق أملها فى الاستقرار العاطفى؟! لابد أنها حمقاء مثل عمها تهتم

بالتقدير العاطفى أكثر من المادى، وتنتظر تحقيق الأمل، فهل أملها أخطا الطريق إلى الهدف؟! أم ..هو يخطىء دائماً فى الاختيار؟!

أخطأ أملها عندما صور لها أن الحياة الأفضل فى الطريق إليها،وأشار لها إلى مفتاحها، عندما أخذت المفتاح وجدته لايفتح أى باب، وهذا الباب بالذات الذى أرادت أن تفتحه، فهل أخذت مفتاحاً خطأ؟ يتصرف الإنسان هذا المخلوق النمرود بطبيعته كأنه سيبقى دائماً على حالة واحدة، كأنه سيبقى شاباً فى الثلاثين إلى الأبد، عندما سألته أن يستقرا معا، صرخ كأنها داست على جرح مفتوح فى قدمه ..لاأملك مالاً..ليس الآن، ..سألته..متى؟!.. فلم يجب.

اختارته خطأ من بين الشبان الذين يعملون فى حقل عملها، جذبتها العاطفة ولم تهتم بالمادة، ولابأى شىء آخر..إذا كانت تعمقت فى معرفة شخصيته لاكتفت فقط بصداقته أو ..حتى زمالته، لكنها احبته بشوقها لتحقيق أمل، وبشوقها لتحقيق حلم، بنت أحلامها معه، كل محاولات تحقيق الأحلام فى عمرها الذى يقترب من الخامسة والثلاثين لم تتحقق، ربما كانت خطأ..فى غير موضعها..أو..ربما الآحلام لم تعد تتحقق فى الصورة التى نرغبها ..خطأ من إذاً؟!!

شهر عسل فى طابا

عروسان فى عمرهما الخمسين، التقيا تحابا وقررا الزواج بعد حياة حافلة لكل منهما. للعروس زوج سابق وولدان، وللعريس زوجة سابقة وزوجة متوفاة وثلاث بنات..عروسان فى عمرهما الخمسين خاليان من الالتزامات الأسرية، يبدآن حياة جديدة للرفقة والصحبة بعد أن عمل الابنان وتزوجا، وكذلك تزوجت البنات تفاهما على أن يقضيا أياماً من شهر العسل فى مكان لم يذهبا إليه من قبل على أرض الوطن مكان جديد لاتوجد به آثار لذكريات قديمة لكل منهما استعرضا شواطىء مصر الشاطىء الذى لم تذهب إليه العروس قد ذهب إليه العريس أمام الخريطة المفرودة أمامهما التفت العريس إلى موقع أشار إليه طابا واستقر رأيهما على الذهاب إلى طابا والاستمتاع بأيام من العسل فى هذا الفندق الذى اشتهر بصوره وموقعه على خليج العقبة والذى كان موضع

خلاف بين المصريين والإسرائيليين واستقر وضعه فى الأراضى المصرية بالقوانين الدولية منذ عدة سنوات، ولم يذهبا إليه من قبل.

أخبر العريس عروسه بعد أن حجز لرحلتهما أن الطائرة التى ستحملهما إلى مطار النقب القريب من طابا طائرة صغيرة تطير بالمحركات ، وفرحت العروس لأنها لم تسافر من قبل على طائرة هكذا، وليكن كل شىء جديداً، وكانت الطائرة ترتفع وتنخفض تهتز وكان ينقصها أن تحز جناحيها مثل الطيور!

ضحك العروسان ليخفيا خوفهما ومغامرتهما غير المحسوبة وهكذا كانت أيامهما فى فندق طابا مغامرة غير محسوبة من قبل هرباً من ذكرياتهما الصغيرة إلى أرض بلا ذكريات ، فوجدا ذكريات عمرهما كله فى هذا المكان!

لقد كان العروسان فى عمر الطفولة عندما كانت حرب فلسطين عام ٤٨، عام التقسيم وبداية إسرائيل وكانا فى عمر الصبا حين وقع الاعتداء الثلاثى على مصر من إسرائيل وفرنسا وانجلترا عام ٥٦، وكانا فى عز شبابهما أيام حرب وهزيمة وطنهما عام ٦٧، وكل منهما له أعزاء أقارب أحباب فقدوا فى تلك الحروب. ومهما كانت نتائج انتصار حرب ٧٣، واتفاقيات السلام إلا أن فى خلفية حياة المصريين الذين فى مثل عمر العروسين ذكريات قديمة راسخة من عدم الشعور بالاطمئنان والراحة مع الإسرائيليين، ومع التصالح معهم فضلوا المثل القائل «صباح الخير ياجارى أنت فى حالك وأنا فى حالى». ولاشك أن

الإسرائيليين الذين فى مثل عمر العروسين لديهم مثل هذه الشكوك، لكن معظمهم اجتاز هذه الحواجز النفسية وأصبحوا يأتون إلى أرض مصر للزيارة والسياحة، بينما أغلبية المصريين لم يجتازوا هذه الحواجز فلا يذهبون إلى السياحة فى إسرائيل،وإذا كان العروسان مثل أغلبية الشعب المصرى فى شعورهما، إلا أنهما وجدا وهما فى طابا كأنهما ذهبا بإرادتهما واختيارهما إلى «إيلات» أو إلى «تل أبيب» ربما لو كانا شابين لم يمرا منذ طفولتهما بذلك التاريخ الطويل مع إسرائيل كانا قد انسجما مع نزلاء هذا الفندق. وربما لم يشعرا بهذا البعد النفسى وكأن شعور من الضيق وعدم الانسجام والراحة يحيط بالعروسين. شعرا أنهما غريبان فى المكان، كأنه انضم إلى أرض وطنهما على الورق فقط، حتى عندما سال رجل إسرائيلى العروسين من أين جاءا قالا باللاشعور «من مصر» كأنهما فى بلد خارج وطنهما!! وانتقل شعور العروسين بالغربة فى المكان إلى شعورهما مع بعضهما، وايقنت العروس أنها مصابة باكتئاب مكتوم داخلها عندما وجعتها مصارينها وسألت عريسها أن يكملا أيام العسل فى مكان آخر.

استأجرا سيارة أجرة، وسألا السائق أن يذهب بهما إلى موقع بعيد عن الحدود، سألهما السائق البدوى لماذا يتركان الفندق الكبير وبه كل وسائل الراحة؟ لم يردا عليه . ابتسم وقال إن جيراننا يعتبرون هذا الفندق ملكهم. هم الذين بنوه ويصعب عليهم أن يتركوه، ثم ذكر لهما فندقاً جديداً فى منطقة بعيدة على شاطىء خليج العقبة. قالت العروس إنها ذهبت إلى هذا المكان، قال العريس إنهما لن يبحثا عن مكان آخر خال

من ذكرياتهما القديمة لأنهما سيعملان معاً ذكريات جديدة تشابكت أيديهما وذاب بينهما الشعور بالغربة.

ذروة الأشياء المحبطة..

كان يقود سيارته ممتعضا من سلبيات الطريق، من ازدحام السيارات، وفوضى المرور، قال صديقه الجالس بجانبه: «إننا في وقت الذروة»، قال بامتعاض: «كل ساعات اليوم أصبحت ذروة، ساعة الصبح الناس ذاهبة لعملها ..طيب . لكن هل تسمى الساعة الحادية عشرة صباحا ذروة؟ في يوم سألني رجل أعمال إنجليزي: كيف تكون الطرق مزدحمة هكذا وقت العمل الرسمي؟الم أستطع أن أقول له شيئا..فهل كل هؤلاء الناس لهم مصالح في أماكن أخرى غير أماكن عملهم؟! بعد الظهر..الساعة السادسة ..السابعة.. التاسعة مساء، كلها ذروات.. ياصديقي نحن في ذروة الأشياء المحبطة..إسمع هذا الكلام:

- الحضارة تظهر نتيجة للاختراع الاجتماعي، كما أنها تنتشر وتكتسب عن طريق الانتقال والتعلم، هذا علاوة على أنها غير غزيزية،

وسأله صديقه «ماهذا؟» ..قال مبتسما بامتعاض «بهذا الكلام بدأ رئيس المؤسسة الاجتماع ليحدثنا عن اهمية سلعة ننتجها.. واسمع الباقى ولأن الحضارة تظهر نتيجة للاختراع الاجتماعى كان طبيعيا أن تختلف فى مظهرها من مجتمع لأخر، وأن يكون لكل مجتمع حضارته التى يتميز بها؟ وهذا يتمثل فى اختلاف كثير من نماذج التصرف من مجتمع لأخر..

سألة صديقه ضاحكا: «كيف حفظت هذا الكلام؟».. قال «كتبته أثناء إلقائه علينا» واقسم أن هذا الكلام حفظه من كتاب أو مقال لكاتب أو فيلسوف، وقاله فى غير موضعه ليعرفنا أنه كثير الاطلاع، ومثقف واحسن منا ..بذمتك مادخل هذه الكلمات فى إنتاج سلعة؟!» ..قال صديقه: «الحضارة تعنى أيضا إنتاج سلعة»

قال بامتعاض: «إننا لم نخترع هذه السلعة، لقد أحضرتها بنفسى من الخارج، ونحن ننتجها فقط..فأى حضارة هنا؟!..

حاجة تقرف»

سأله صديقه: «ألم يكن رئيسك هذا صديقا لك؟!».

قال بامتعاض: «كثيرا مايحدث فى الحياة أن يتغير الإنسان عندما يصل إلى منصب كبير، يختلف مظهره الخارجى فترى الاعتدال فى هيا٠٠»، والزهو والتكبر فى مشيته، والشموخ بأنفه لدرجة لايرى الأرض التى يسير عليها، ويختلف داخليا أيضا فيصبح قليل الكلام، وإن تحدث يختار كلمات كبيرة يحفظها عن غيره، ولا تفارق شفتيه ابتسامة

الكبرياء البلهاء أو الصفراء الباهتة..حاجة تقرف، ..سأله صديقه: «وكيف تتعامل معه؟» قال بامتعاض: «بحرص شديد..رفضت أن أكون له جاسوساً. فعاملني ببرود، أتعامل معه في حدود العمل..وللأسف كثيرون من الزملاء أصبحوا عيونا له على بعضهم البعض، والجو أصبح مقرفا».. سأله صديقه: «تغار منه لأنه أصبح شيئا وأنت في موقعك؟» قال بامتعاض«أغار؟ طبعا لا موقعي أهم من موقعه، لكن الناس يفضلون أمثاله من أصحاب الكلمات الكبيرة ويعتقدون أنهم ماداموا لايفهمون مايقوله فلان فلابد أنه مثقف أو خبير..حاجة تقرف ..تصور أن الضيوف المهمين الذين حضروا الاجتماع صدقوا أننا بفضل رئاسته ونباهته اخترعنا هذه السلعة التي ننتجها» سألة صديقه «لماذا لم تخبرهم بالحقيقة؟!»..

قال بامتعاض «ستبقى طول عمرك ساذجا..فما اسهل تكذيب الحقائق في بلدنا، كان خبير المؤسسة أو رئيسها سيتصدى لكلامي ويتهمني أنني أثير البلبلة لدى الناس، وأسيء إلى سمعة إنتاجنا، وربما تذهب به الخيلاء بأن يقول إن العالم الخارجي أخذ الاختراع منا» ..ثم انتقل بحديثه إلى أخبار قاتمة وحوادث مؤسفة، وسلوكيات سلبية، وصدق كلامه أننا في ذروة الأشياء المحبطة، إلى أن وصل بسيارته إلى كورنيش النيل ، وفجأة بدأ يغني: «ياحلاوة الدنيا ياحلاوة..ياحلولو..ياحلاوة» ..ضحك صديقه فاشرق وجهه بابتسامة وقال: «الجو جميل اليوم، والحياة حلوة يا صديقي بالرغم من الحاجات الكثيرة المقرفة».

إلا هذه الذكرى..

عندما تذهب إلى هذا الحى القاهرى، تنتابها مشاعر مختلطة، فتشعر بفرحة وغيرة وذكرى حلوة لزمن راق وألم لحلم لم يتحقق، وتشعر براحة عميقة عندما تجلس فى صالون تصفيف الشعر الذى يمتلكه صديق طفولتها. كان جارها فى حى ليس شعبيا تماما، فى عمارة ليست جديدة تماما، تسكنها عائلات الطبقة المتوسطة فى ذلك الزمان. كانت شقق ـ العمارة مفتوحة لأطفالها جميعا، إخوة وأخوات، وكان أقرب إليها من أخيها وهى أقرب إليه من أخته نظرت إليه وهو يُدلى بتعليماته الفنية لأحد العاملين كأنها ترى عمه، وتذكرته، كان فنانا لم يحب دراسة المدارس واتجه إلى فن تصفيف شعر النساء، تعلم المهنة على يد مصفف شعر أرمنى، وفتح صالونا فى هذا الحى الذى كان راقيا تماما، وهو أحب هذا الفن من عمه ولم يحب دراسة شىء آخراً

إنها لا تنسى تلك الأيام وهما فى عمر الصبا عندما كانت تذهب معه إلى صالون عمه، يأخذان مواصلة الترام الذى كان يخترق الشارع الرئيسى للحى، ثم يسيران فى الشوارع الهادئة يتفرجان بانبهار على الفيلات وحدائقها ويتوقفان عند سور حديقة ڤيلا المطرية الكبيرة على أمل أن يقابلاها..

إنها لاتنسى شكوى والدته لوالديها من الولد الخائب الذى يريد أن يعمل مع عمه ولايكمل دراسته الثانوية، ولاتنسى نصيحة والدها المدرس لوالديه أن يتركاه يتعلم صنعة مادام عقله لايستوعب المواد الدراسية، وعمل الصبى مع عمه..تعلم منه أصول فن تصفيف شعر النساء لم تنقطع صلتهما وصداقتهما منذ طفولتهما بالرغم من أن الزمان قطع الصلة بين أبناء وبنات تلك العمارة، وسكانها القدامى، بالانتقال إلى أحياء أخرى أو إلى بلاد أخرى . أو بالانتقال إلى العالم الأخر عندما مات عمه لم يوافق ابناؤه على أن يتركوا له الصالون بالإيجار، باعوا المحل لحلوانى عاشت آلامه فى تلك الفترة كما عاش آلامها فى فترات أخرى ، وعاشت أفراحه بالارتباط بمن أحبها وانتصاره بافتتاح هذا الصالون الخاص به فى الحى الذى طرد منه، بعد سنين طويلة من التعب والعمل فى صالونات بالأجرا أو المشاركة، كما عاش أفراحا خاصة بها وانتصاراتها فى مجالات كثيرة من حياتها.

وهى جالسة تحت مجفف الشعر، سارحة فى ذلك التاريخ، أستاذة التاريخ، لفتت نظرها نساء يعالجن ويصففن شعورهن ولاتبدو عليهن سمة الطبقة التى كانت تسكن هذا الحى!!

نعت حظها الذى لم يقدها إلى السكن فى هذا الحى، حقيقة لم يعد راقيا تماما، وتحولت الفيلات وحدائقها إلى عمارات سكنية شاهقة العلو والإيجار أو التمليك!.. قالت لصديق طفولتها وهو يصفف شعرها أنها كانت تحلم أن تسكن فى هذا الحى منذ كانت تأتى إليه فى صالون عمه قال لها مبتسماً..كانت أمامها فرصة لتحقيق حلمها . سألته متعجبة: «أى فرصة؟!»

قال: «أيام خطوبتك لـ. م.م . ألم يقدم لك ثلاث شقق فى هذا الحى لتختارى منها؟! ولم تعجبك أى واحدة، أظهرت عيوبا فيها والحقيقة أنك كنت تكتشفين العيوب فى خطيبك وليس فى الشقق»

تعجبت أستاذة التاريخ أنها نسيت تماما تلك الخطبة القديمة، كأنها محتها من ذاكرة التاريخ وليس من ذاكرتها فقط. قالت كأنها تحدث نفسها: «من لحظات كنت استرجع ذكريات بعيدة وحلم قديم ناسية أننى التى رفضت تحقيقة جاءتنى ذكريات كثيرة..»

قال مقاطعا: «إلا هذه الذكرى، لأنها كانت مؤلمة، قبلته لخاطر والدك ولم ترتاحى معه».

تساءلت كانها تسأل نفسها: «هل ظلمته فاعاقب بالألم كلما تذكرت ذلك الحلم. القديم الذى لم يتحقق بالسكن الذى تمنيته؟!».. قال لها صديق عمرها أنه بمعرفته بها فذلك الخطيب بكل ماكان يملك من مال ونفوذ ماكان استطاع أن يسعدها نفسيا وعاطفيا واجتماعيا مثل الرجل الذى تزوجته.. هزت رأسها موافقة وقالت: إن الإنسان مهما حقق فى حياته من طموحات وأحلام تمر به لحظة ألم أو ندم على حلم لم يتحقق.

نكدية

إذا شاهد أى فرد من النادى الرياضى عضوة مكتئبة يقول إنها لابد كانت فى صحبة السيدة «ك»، فكما أن المرح يعدى ويجعل صاحبه يشع البشاشة على من يقابله، كذلك النكد فصاحبه يشع الكآبة على من يتحدث معه . والسيدة «ك» شخصية نكدية اكتئابية، ومعظم أفراد النادى يعلمون هذا خصوصاً مجموعة صديقاتها اللاتى عرفنها منذ مرحلة الدراسة الثانوية ويشتركن معها فى هذا النادى.

يمكن أن تحضر واحدة منهن مرحة ومستبشرة بالحياة وتقابل صديقتها «ك» فيذوب مرحها ويتهدل استبشارها، فالسيدة «ك» يصعب عليها أن تجد امرأة مرحة أو مقبلة على الحياة، فسرعان ماتجد عبارة أو جملة من كلماتها المنتقاة من قاموس النكد وتلقيها عليها . أو تسألها سؤالاً مباشراً عن الشىء أو الموضوع الذى ينكد عليها فى حياتها، وكل إنسان لاتخلو نفسه من جزء حزين فى حياته ينكد عليه.

والسيدة «ك» خبيرة فى البحث عن هذا الجزء لتذكر به صاحبته إذا نسيته. وإذا لاحظ أحد أزواج صديقاتها أن زوجته مكدرة أو ليست نفسيا على مايرام يعرف أنها كانت فى صحبة صديقتها السيدة«ك».

أحياناً تقاطعها إحدى صديقاتها لفترة، وأحياناً تتجنبها إحدى زميلاتها فى النادى لفترة، لكنها سيدة طيبة القلب لاتصح مقاطعتها دائماً فهى لاتؤذى أحداً فعلياً، ويقول انصار مقاطعتها أن الأذى النفسى الذى تسببه بشخصيتها النكدية لايشفع لها طيبة قلبها.

ومن أسباب نكد السيدة «ك» الأزلى كما «كان» يبدو لصديقاتها أن كل شيء فعلته وتفعله وستفعله غصبا عنها.

إذا كان العلم الحديث يبحث الآن عن أسباب كثيرة فى أخلاق الناس تنتج عن جينات معينة فى جسمه فلا نظن أن الإنسان النكدى بسبب جينات متوارثة.. والدليل على ذلك أن والد السيدة «ك» كان إنساناً انبساطيا مرحاً ويحبه الناس لبشاشته وجلسته المرحة، والذين عرفوا أمها قالوا إنها كانت مثل أبيها سيدة مرحة وهى نفسها كانت طفلة مرحة وكل شيء كانت تفعله برضاها وليس غصبا عنها إلى عمر الثانية عشرة عندما عرفت أن المرأة التى تناديها بأمها هى ليست أمها الحقيقية، فقد تزوجها والدها بعد أن توفيت أمها وكان عمرها عاماً واحداً ، وللأمانة ربتها المرأة كأنها ابنتها تماماً بحنان وعطف وأرضعتها من ثديها عندما انجبت أول ابن لها ، وكان عمر «ك» عامين حتى لاتشعر بغيرة من أخيها لأن أمها لم ترضعها من قبل.

لم تشعر «ك» بتفرقة فى المعاملة بينها وبين أخويها اللذين انجبتهما زوجة أبيها، ولم تشعر أنها ليست أمها الحقيقية، ومع ذلك عندما عرفت صدمت وبدأت تنتابها حالات من التنكيد على من حولها.

ومنذ ذلك التاريخ البعيد وهى تجعل من حولها يشعرون أنها تفعل كل شيء غصبا عنها. ومنذ زمالتها لمجموعة صديقاتها فى مراحل الدراسة إلى أن تزوجن وانجبن وكبرن وهن يجدن حسب كلامها أنها مسكينة فعلت وتفعل وستفعل كل شيء غصبا عنها، وكن يشفقن عليها، زواجها من الشاب النابه كان غصبا عنها، وحتى فى شهور حملها كانت متضررة لأن الإنجاب كان غصبا عنها، إلى أن اكتشفن أخيراً وبعد سنين طويلة من معاشرتها أنها تستمتع بكل شيء فى حياتها من أول حب زوجة أبيها وأخويها غير الشقيقين إلى أن تزوجت من الشاب الذى أحبته إلى ابنها وابنتها اللذين أنجبتهما ، إلى حياتها المريحة، وإلى التنكيد على من حولها! لاندرى ماذا يقول علم النفس فى حالتها التى اكتشفتها صديقاتها،و اعتبرن حكاية «غصب عنها» التى ترددها دائماً لتبعد الحسد عنها وعن حياتها ولابد أنها مصابة بشيء من المرض النفسى الذى يستمتع صاحبه بتعذيب الأخرين باللعب على أوتار النكد لديهم، وقررن أن يغيرن أى موضوع نكدى تفتحه ، ولايسمحن لها بسؤالهن عن شيء يكدر حياتهن، وكان هذا الاكتشاف، وهذا التغيير فى معاملتهن ، سببا فى نكدها حقيقة.

كل الأبراج..

«من كام سنة لمّا.. دار الهوى بينا.. فاكر احنا قلنا ايه؟.. مش دى راحة قلبى.. ولا هنّا حبى.. اللى اتفقنا عليه»..

كان يغنى هذا المقطع من أغنية لعبد الوهاب عندما اقتربت منه.. فأكملت.. «وعايزنى أرجع لك تانى لا.. لا.. لا».. قام منتفضاً من جلسته واحتضن يدها بيديه فى سلام مشتاق وقال لها ضاحكاً: إنه لم يكن بينهما أولاً، لترفض العودة له ثانياً.. فضحكت بدورها، وقالت: إنها افتقدته، سألته ما الذى جعله يتغنى بهذه الأغنية؟ قال: إنه عندما يأتى إلى أرض وطنه، وخصوصاً إلى بلده الساحلى، تأتى إلى ذهنه كل ذكرياته الجميلة، وتعزف موسيقى خفيفة فى رأسه بكل الألحان التى يحبها فيغنى أغانيها.

سألها عن أحوالها، ضحكت قليلاً.. سألته عن أحواله.. فحكى كثيراً، سألته عن زوجته الأجنبية، قال: إنه طلقها، وحسب قانون بلدها أخذت نصف ما يملك من شقى عمره وغربته، قالت: مسكينة المرأة المصرية إذا خرجت من الطلاق بملابسها تحمد الله، قال: لا توجد امرأة أجمل وأرق من المصرية، سألته فى أى برج مولده ؟!

ابتسم، لم يرد على سؤالها، وسألها أن تحكى له عن أحوال المجتمع: فهو حائر من أشياء كثيرة لاحظها، كأنه واحد من أهل الكهف جاء بلده ليصرف عملة قديمة، حكت له قليلاً عن التغييرات التى حدثت فى المجتمع وعندما سألها عن الأبراج السكنية المرتفعة فى أماكن كثيرة. وهل يوجد تأمين لسلامتها وأمان لسكانها؟! عادت لسؤالها فى أى برج مولده ؟! صمت قليلاً ثم قال: إنه لن يخبرها ببرجه حتى لا تهرب منه، سألته أن يفسر لها كلامه.

قال: فى يوم من أيام لقاءاتنا الجميلة القليلة من عشرين عاماً تقريباً، كنا جالسين فى كازينو على شاطئ النيل، منسجمين من أحاديثنا، مندهشين لصدفة لقائنا، وفجاءة سألتنى عن برج مولدى، ولما أخبرتك به، تغيرت ملامح وجهك، واختفت ابتسامتك، واستأذنت فى الذهاب إى دوره المياه، واختفيت .. قلقت عليك .. فذهبت إلى العاملة هناك سألتها عنك فأخبرتنى إنك خرجت، لم أصدقها، فسمحت لى بالدخول لأن المكان كان خالياً، طلبتك فى اليوم التالى فى منزلك، قلت لى باقتضاب انك شعرت بالتعب .. لا أذكر عذرك تماماً .. وباعد

الزمان والمكان بيننا .. ضحكت ، سألته بإلحاح أن يذكرها ببرج مولده الذى كدّرها هكذا .. ولما ذكرها به ضحكت وقالت إنها كانت فى تلك الفترة خارجة من خطوبة فاشلة لشاب فى مثل برجه، فلم تحتمل استقبال علاقة عاطفية جديدة مع واحد من نفس البرج، فهربت منه.

ضحك وقال: ربما توجد صفات مشتركة بين مواليد البرج الواحد، لكن الأشخاص يختلفون كما الأصابع تخرج من يد واحدة، لكن كل إصبع مختلف عن الآخر.

وافقت على كلامه، وقالت: إن الشئ الغريب أنها اختارت زوجاً من برج آخر لكن طباعه وأخلاقه كانت متشابهة مع خطيبها السابق، فلم تحتمل الحياة معه، ولم تفكر بعد ذلك فى الزواج . كرّست حياتها لتربية ابنتها ولعملها، والحمد لله ابنتها الآن فى الجامعة، وهى أصبحت فى أعلى مراكز عملها، حكت له باختصار إنها عاشت مع والديها، وكانا سنداً لها فى تربية ابنتها، ولما رحلا أصبحت شقتهما لها، وقد تزوج والد ابنتها وأنجب. فلم يضايقها بطلب حضانتها سألها بخبث: هل خافت الزواج لاعتقادها أن الأبراج الفلكية متشابهة أو الرجال متشابهون؟!

قالت ضاحكة: ربما .. ثم قالت بجدية إنها تعيش لابنتها ولعملها.

قال: إن ابنتها بعد سنتين أو ثلاث ستتزوج وتتركها، وربما فى نفس الوقت سيتركها عملها أيضاً لوصولها إلى سن المعاش، فماذا ستفعل فى حياتها ؟! قالت: إنها لا تريد أن تشغل تفكيرها الآن فأمامها خمس

سنوات طوال، قال بدهشه: إن أمامه خمس سنوات أيضاً سيقضيها فى عمله هناك، وبعدها سيعود إلى بلده الساحلى ليعيش فيه .. سألها هل توافق على الزواج منه ليقضيا عمرهما الجميل فى هدوء وأمان؟! اعترتها نشوة غريبة. نشوة شابة ناضجة، وقالت: إنها ستفكر فى طلبه، وافترقا على أن يلتقيا بعد خمس سنوات إذا قدر لهما اللقاء.

ثمن الخيانة

بدأت الحكاية فى خريف العام الماضى، فى جلسة ثرثرة للصديقات فى النادى الرياضى تحت الأشجار وقت العصارى، وقد انضمت إليهن العضوة الجديدة السيدة «س» التى رحبن بها منذ شهور صديقة لهن.

بدأت الحكاية عندما مدّت إحدى النساء يدها أمامهن ليشاهدن الخاتم الجديد الذى أهداه لها زوجها بمناسبة خيانته الجديدة، ضحكت إحداهن وقالت إن الخاتم ثمين فلابد أن خيانته على مستوى، ودار الحديث بينهن عن خيانة أزواجهن كأنهن يتحدثن عن أزواج لنساء أخريات ويتفاخرن بالهدايا التى يتلقينها. استاءت السيدة «س» من حديثهن خصوصا عندما سألنها عن الهدايا التى تتلقاها من زوجها قالت لهن إن زوجها لايقدم لها هذايا بدون مناسبة فالهدايا التى تتلقاها منه. فى عيد ميلادها، وعيد زواجهما، وعيد الأم عندما أنجبت. قالت لها إحدى الزوجات إن كل الأزواج يخونون زوجاتهم من وقت لآخر، وهذا شىء

طبيعى فى الرجال، ولشعورهم بالذنب يقدمون هدايا لزوجاتهم، ولابد أن زوجها رجل بخيل..أو هى زوجة مغفلة.

دافعت السيدة «س» عن زوجها وعن نفسها، لكن بذور الشك زرعتها فى رأسها. حقيقة أحيانا يكون زوجها عصبيا ومتعجلا فى الخروج بعد العصر، لكنها تعرف أنه منذ أصبح مديرا مسئولا وهو يذهب عدة مرات إلى مكتبه فى هذا الوقت وراقبت تصرفات زوجها لعدة أسابيع ثم أبعدت الشك عن رأسها، إلى أن شاهدت ذات يوم عن طريق الصدفة وليس التفتيش قصاصة ورق من الورق الذى يستخدمه فى مكتبه مكتوبا فيها بخط ليس خط يده عن مكان وساعة اللقاء «وإلى أن نلتقى أقبلك» كانت الورقة صغيرة نسى زوجها أن يمزقها، وقد دخلت ضمن أوراق العمل التى يأخذها للمراجعة فى البيت، وعندما أمسكت السيدة «س» بالأوراق لترتبها سقطت منها هذه القصاصة التى قراتها وخفق قلبها للمفاجاة لقد كانت السيدة «س» تعمل فى الشركة مع زوجها، واستقالت من عدة سنوات لترعى طفليها، لكنها لم تقطع صلتها بصديقاتها هناك فاتصلت بهن ليبحثن لها عن سر قصاصة الورق، وجاءتها الإجابات مؤكدة عن علاقة زوجها بزميلة لهن جديدة وصغيرة ومطلقة، وأنه يقابلها يوما فى الأسبوع بعد العصر، وأخبرنها بيوم المقابلة.

شعرت السيدة «س» بالغيظ من زوجها ليس لأنه يخونها، لكن لأنه يبخل عليها بهدية ثمنا لخيانته! وبدأت لعبة السيدة «س» مع زوجها ففى اليوم المحدد لموعده مع المرأة الأخرى تطلب منه أن يشترى لها شيئا،

لم تعد تصرف من دخلها الخاص على متطلباتها، وأصبحت متطلباتها غالية الثمن! أحيانا يشترى لها زوجها ما تريده وأحيانا يعطيها النقود لتشترى هى، ربما شك الزوج فى تغير زوجته فهى لم تكن تطلب شيئا من قبل، وتعجب من مصادفة طلباتها فى يوم موعده! إلى أن جاء يوم من أيام موعده فى هذا الصيف وطلبت منه أن يشترى لها سوارا من الألماظ شاهدته عند صائغ، وذكرت له ثمن السوار الغالى، ولأول مرة يرفض زوجها طلبا لها، أصرت على الشراء فثار واتهمها بالإسراف، وأنها لم تعد تحافظ على أمواله وأنه أصبح يشك فى تصرفاتها، ولابد أنها صادقت نساء شريرات فى النادى الرياضى، فمنذ اشترك لها هناك وهى قد تغيرت، واقسم الايدفع لها اشتراك العام القادم.

صمتت السيدة «س» حتى لاتخطىء فى الرد عليه، وحتى تفكر بهدوء قبل أن تواجهه بخيانته، وخرج الزوج غاضبا، لكن بعد ساعة طلبها من مكتبه، اعتذر لها عن ثورته عليها، اعتذر عن الكلمات السخيفة التى قالها، وأخبرها أنه سيحجز فى رحلة سياحية إلى تركيا أو اليونان ليقضى معها أجازته الصيفية هناك، بدلا من شرائه سوار الألماظ «فما رأيك»؟.

قبلت اعتذاره ووافقت على اقتراحه ، ثم طلبت إحدى جواسيسها فى مكان عمله، وقبل أن تسألها عن أخبار زوجها قالت لها صديقتها إنها كانت على وشك أن تطلبها لتخبرها بالنبأ السعيد .. أن المرأة الأخرى تزوجت فجأة منذ يومين.

حكيم عيون!

كانت صغيرة فى هذا العمر الذى يسمونه عمر المراهقة فى الثالثة عشرة وتبدو أصغر من عمرها. كانت تذهب مع أختها الكبيرة إلى طبيب عيون ليعالج لأختها عينيها .شاب وسيم طويل القامة، شعر رأسه كثيف فى لون الليل. الناعم كان الطبيب صديقا لخطيب أختها، يستقبلها بحفاوة، أما هى فكان يحييها بدون اهتمام . تمنت أن يكون ذلك الطبيب فارسها، وكانت تحفظ مواعيد زيارته أكثر من أختها المريضة، وتستعد له كأنها ستقابل حبيبا.

أرادت يوما أن تلفت نظره وتعبر عن إعجابها به فسألته :هل تحب أغنية حكيم عيون..أنا أحبها، التفت إليها كأنه لم يرها. وقال: أنه يحب كل أغانى محمد عبد الوهاب. شفيت عينا أختها وانقطعت الزيارات والاستمتاع برؤية طبيب العيون. فى هذا العمر تقع العيون فى الحب من أول نظرة وربما لأشخاص كثيرين، وكل وجه جديد تقع عليه

العيون يمحى الوجه السابق إلى أن تتضح الرؤيا لكل عينين وتعرفان أى ملامح تريدان رؤيتها دائما. وهكذا نسيت عيناى الصغيرة وجه طبيب العيون بالوجوه الكثيرة التى وقعت عليها. العينان نافذتان للثقافة.. وهكذا قررت أن تفتح هاتين النافذتين وتنهل من كتب العلم والثقافة.. نالت شهادات وتوظفت.

فى عملها بدأت تشعر بصداع وعدم وضوح لما تقرأ . قالوا لها. لابد من نظارة وعليها بالذهاب إلى طبيب عيون. قال أحد زملائها ضاحكا إنه يستطيع أن يعالج عينيها الجميلتين وغنى ..حكيم عيون أفهم فى العين فضحكت من شقاوته.

غريب العقل البشرى ومايختزنه من معلومات وذكريات من عهد الطفولة والمراهقة، تظهر على السطح فجأة بكلمة عابرة أو أغنية قديمة أشياء كثيرة صغيرة تحرك المخزون، وهكذا تذكرت طبيب العيون الذى أعجبت به من سنين بعيدة بأغنية حكيم عيون. وتعجبت أن اسم الطبيب ظهر من الذاكرة إلى شفتيها همست به وعلمت عنوانه من دليل التليفون أعطاها الممرض موعدا . تذكرت أحلام الصبا، من يعلم ربما تحققها فى نضوج شبابها. لم تكن من السذاجة لتعتقد أنها سترى الشاب الوسيم الذى أعجبت به قديما. هى أيضا تغيرت، أصبحت ناضجة فى شكلها وأفكارها..

فى عيادته وفى حجرة الانتظار دارت عيناها بين الصور المعلقة على الجدران لراقصات أسبانيات فى زيهن المشهور. عندما ناداها

الممرض لتدخل حجرة الطبيب خفق قلبها لحظة فابتسمت وهى تسير بخطوات واثقة اكتسبتها مع مرور السنين.. لحظة ظنت إنه ليس هو. هل طالت قامتها فلم تره طويل القامة أم امتلأ جسده فبدا أقصر مما كان؟! . لم تعد ملامحه وسيمة بذلك الجمال القديم وشعر رأسه أصبح فى لون غروب فى سماء مليئة بالسحب البيضاء.

أشار إليها أن تجلس أمام مكتبه، وجلس خلفه يكتب فى شىء دارت عيناها بين الصور المعلقة لراقصات أسبانيات أيضا. لفت نظرها صورة ثور ضخم تقف أمامه راقصة اسبانية، وليس مصارعا. وقُد أمسكت بسهمين قاتلين رشقتهما فى عنقه. نظر إليها طبيب العيون وتعجبت من التشابه الغريب بين وجهه ووجه الثور فى الصورة. قالت له عن شكواها. سألها وهو يقوم باختبار لقوة نظرها على العلامات الطبية من الذى دلها عليه؟ قالت كاذبة زميل لها فى العمل. عاد إلى مكتبة ليكتب لها العلاج ومقاسات النظارة، وعادت إلى المقارنة بين وجهه ووجه الثور المطعون. لاحظ نظراتها فقال إنهن راقصات «الفلامنجو».

قالت لابد إنه يحب هذه الرقصات حتى إنه يملأ عيادته بصور راقصاتها. قال إنه عاش فى أسبانيا فترة يعمل فى مستشفى هناك. أدار جهاز تسجيل وصدحت منه موسيقى «الفلامنجو». سألها إذا كانت تريد أن تتعلم الرقصة فهو مستعد، وقال إن لديها ملامح أسبانية ورشاقة تصلح لهذه الرقصة تعجبت فملامحها بعيدة تماما عن الملامح

الأسبانية. قالت إنه لابد له ذكريات حلوة هناك ..نظر إلى صور الراقصات، وقال إنه تزوج واحدة منهن.

أيقنت أن الرجل أصابته لوثة من قصة حدثت له هناك حتى أصبح يرى ملامح امرأته الأسبانية فى كل وجه امرأة يراها. قال بدون أن تسأله، «عشت معها خمس سنوات، أجمل سنين حياتى وأروعها وبقدر ما أسعدتنى بقدر ماطعنتنى». نظرت إلى صورة الثور المطعون وأيقنت إنه هو ..قبل أن تترك عيادته.

سألها أن تعود إليه بعد إستلام النظارة. ثم نظر إليها طويلا وقال: «يبدو إنى سأحبك. فملامحك قريبة من ملامحها الأسبانية». خرجت من عيادته وقررت ألا تعود إليه. اعتذرت لأحلام الصبا إنها لا تستطيع أن تحققها مع ثور مطعون ربما يراها دائما كأنها هى التى أصابته بالطعنة.

زئير الفأر

جاءوا فى الصباح مستبشرين فهذا هو اليوم الموعود.ارتدى الرجال أبهى حللهم وربطات أعناقـهم الزاهيـة التى تـخنقـهم فى عـز الحـر، وارتدت النساء ثيابهن المزركشة بأذواقهن الرديئة التى لا تصلح إلا للمساء، واشترين حلوى، لقد استعدت هذه الإدارة لإقامة حفلة صباحية لكيد كل العاملين، فمديرهم سيكون رئيسا لهذه الشركة الكبيرة وليس رئيسا لإدارتهم فقط، خبر مؤكد سيعلن بعد ساعات، بعد إجتماع اللجنة العليا لمجموعة الشركات التى تندرج شركتهم تحتها، لبحث عدة قرارات ضمنها قرار إنهاء رئاسة رئيس مجلس إدارتها، فلا يمكن أن يجددوا له سنوات الأخرى بعد الخطابات الكيدية والاتهامات العلنية التى أرسلوها وقالوها ضده، وتأكدوا من هذا الخبر العظيم عندما سافر رئيس الشركة منذ يومين إلى الخارج فى مهمة، فلابد أنه قرر الابتعاد حتى لايسمع خبر عزله ويتجنب الموقف المؤلم فى تسليم حجرته

الفاخرة لمديرهم، أحضرت إحدى العاملات فى هذه الإدارة شرائط لأغان مثل «كايدة العزال».. و«نار الغيرة».. ولم تستطع الانتظار لسماع الخبر فهو خبر مؤكد، وأدارت المسجل، ورددت هى وزميلاتها كلمات الأغانى بأصوات مبتذلة.

قرر مديرو الإدارات الأخرى أن يقدموا استقالاتهم إذا حدث خلل فى عقول أعضاء اللجنة العليا وعينوا هذا الفأر رئيساً عليهم ، لقد أرسلوا ضده شكاوى حقيقية بمستندات، لمخالفات قانونية وسرقات مالية وفضائح جنسية، ولم يجدوا استجابة لما أرسلوه، فقالوا: لابد أن الرجل مسنود! سيقدمون استقالاتهم بدلا من أن يقيلهم، لقد أقسم فى أحد الاجتماعات أنه سيصفيهم فى يوم قريب عندما واجهوه ببعض مخالفاته فى الشركة وفساد إدارته.

شعر العاملون بالإحباط فى الإدارات المختلفة، جلسوا صامتين خلف مكاتبهم يؤدون أعمالهم بلا حماس ويتهامسون على مصيرهم الأغبر إذا أصبح هذا الرجل رئيسا عليهم كما أشاع العاملون فى إدارته، ويكتمون استفزازهم منهم وهم يمرون فى حجراتهم بحجج واهية مثل الديوك الرومية «نافشين رشهم» تأكيدا لانتصارهم وينقلون إلى رئيسهم مايرونه ويسمعونه. لقد عرف العاملون فى الشركة تسلط هذا الرجل على العاملين فى إدارته لدرجة الأمر بزواج..أو ...الأمر بطلاق ، وليس فقط الأمر بمكافآت مالية سخية للمخلصين له ومنعها عن الذين كان يشك فى ولائهم له، وهؤلاء قد تركوا إدارته هروبا من سماجة تسلطه، فأصبح من المعروف أن إدارته كلها من الموالين له وقد مناهم بتولى

مناصب رئاسة الإدارات والأقسام فماذا سيفعلون بالعاملين بها إذا تحقق هذا الخبر؟!! أنهم يتصرفون تصرفات خالية من الذوق والأدب مع بقية الإدارات بإيجاء من مديرهم أنهم الأحسن والأفضل. ساعات ثقيلة مرت على الإدارات الصامتة إلا من صوت أغانى الكيد من المسجل فى إدارة هذا الرجل.

صمتت الأغانى فجأة ، وارتفع صوت الرجل بالسباب والتهديد لكل العاملين فى الشركة وأنه سينتقم من الجبناء الذين أرادوا تشويه سمعته تبادل العاملون فى الإدارات المختلفة النظرات المتسائلة، وقال أحدهم ضاحكا.. الفأر يزأر.. وانتشر الخبر سريعا، فقد سمع الرجل خبر استدعائه للتحقيق بدلا من خبر تعيينه رئيسا للشركة وارتبك العاملون فى إدارته من هذه الصدمة وفضحت سكرتيرته نفسها بصريخها «ياخراب بيتى» .. والذين شاهدوهم فى الصباح وهم يدخلون من باب الشركة لم يصدقوا أنهم هم الذين يخرجون من بابها بعد عدة ساعات.

وهمس أحد العاملين فى مكتب الاستعلامات الكامن بجوار الباب «اللهم لا شماتة» وقال آخر بصوت مرتفع.. «وعلى الباغى تدور الدوائر».

غرام مفاجئ..

خمسة أزواج ، وخمس زوجات ومطلقة، كلهن وكلهم أساتذة فى جامعة مصرية ويحملون لقب «الدكتوراه» . اشتركوا فى رحلة مع إحدى الشركات السياحية لقضاء أسبوع فى قرية جديدة على شاطئ البحر الأحمر، كنوع من التغيير لصيفهم الروتينى على شواطىء الشمال. كان الرجال يجلسون تحت مظلة على الشاطىء عندما ظهرت النساء عن بعد. نظر الدكتور «ع» إلى النساء القادمات وتساءل متعجبا كيف لم تتزوج الدكتورة (س) مرة أخرى مع إنها أنثى جميلة وصغيرة قال أحد الرجال ربما كان سفرها إلى أمريكا بعد طلاقها عطل زواجها وقال آخر ضاحكا للدكتور (ع): «إذا كانت تعجبك هكذا لماذا لا تتزوجها» ضحك الرجال الأربعة ماعدا الدكتور (ع) الذى لمعت عيناه وقال: «لم..لا..»

لم يعلق الرجال على تعليقه بفكرة إنها مزحة ردا على مزاحهم، لكنهم لم يدروا أنهم حركوا شيئا فى نفسه كان غائبا عنه. جاءت جلسة الدكتورة (س) بالمصادفة بجانب الدكتور (ع) وتفاءل من هذه البداية قالت إنها سافرت إلى بلاد كثيرة فى العالم ولم تشاهد أجمل من مناظر جبال البحر الأحمر وهى محتضنة اللون اللازوردى لهذا البحر. ثم قفزت من جانبه. أعجبه تعليقها وتخيل نفسه جبلا يحتضن قوامها البض، وتنهد تنهيدة عميقة لم يشعر بها سوى زوجته التى لاحظت تتبع نظراته للدكتورة (س) وهى ذاهبة للبحر، وعلقت بقولها أنها جميلة وصغيرة، فرد عليها الدكتور (ع) الذى شعر أن الكلام موجه إليه، إن الدكتورة (س) لاتصغرها كثيراً فقد كانت طالبة عندما كانت زوجته معيدة، لكنها اهملت نفسها لذلك تبدو أكبر من عمرها ثم سألها لماذا لم تتخفف من ملابسها العسكرية؟! شعرت بحرج وقامت لتزاول رياضة السير.

وقامت بقية المجموعة إلى البحر لاحظ الدكتور (ع) تعمق الدكتورة (س) فى البحر فانتظر عودتها وأبدى انشغاله عليها فشكرته وخرجا معا إلى الشاطئ لم يكن أحد من أعضاء هيئة التدريس موجودا تحت المظلة ، وشعر الدكتور (ع) أن الظروف تهيىء له التواجد المنفرد معها ، فلابد أنها سيكون لها وجود حاسم فى حياته. أخرجت من حقيبتها قطعة بسكويت وقالت إن ضغط دمها منخفض قال إن ضغط دمه مرتفع ثم قال مبتسما مادام ضغطها منخفضا وضغطه مرتفعا فما رأيها فى خلط الضغطين وتقسيمهما بالتساوى بينهما؟! فهمت الدكتورة (س) هذه

المغازلة واحمرت وجنتاها ولم ترد. أما هو فلأول مرة منذ خمس سنوات يشعر برغبة حميمة تلح عليه، وتعمقت فى رأسه فكرة الزواج، مادام يستطيع..لم ..لا.. ليعيد شبابه وهو على أبواب الستين، ولن يطلق الدكتورة زوجته، فبينهما عشرة طويلة وبنتان وأحفاد . وأصبحا مثل أخ وأخته! وبفعل الهواء الجاف ومياه البحر الموقظة للمشاعر القديمة قرر الزواج من الدكتورة (س) فى نهاية الرحلة ويبقيان معا فى هذا الجو، زن فى أذنه لحن «قولوا لمأذون البلد» فى الأيام التالية لاحظت المجموعة نظرات إعجاب الدكتور(ع) الملاحقة للدكتورة (س)، وهمست إحدى الدكتورات فى أذن الدكتورة زوجته بشىء ولم تكن فى حاجة إلى تلك الهمسة فقد لاحظت، وسمعت ناقوس الخطر يدق فهذه أول مرة منذ زواجهما ينجذب لامرأة أخرى.

انتهز الدكتور (ع) فرصة ذهاب المجموعة إلى رحلة بحرية ، ورغبة الدكتورة (س) فى البقاء على الشاطىء فبقى معها، واختفت زوجته لأمر لايعلم واعتقد أن الظروف حانت لتحقيق رغبته ولما أصبحا وحدهما ، حكت له الدكتورة (س) عن قصة حبها لطبيب شاب وطلبه الزواج منها وخوفها من الارتباط مرة أخرى ، وقد جاءت معهم فى هذه الرحلة لتفكر بعيدا عنه، وإنها تشعر بالامتنان لهم جميعا فقد فهمت منهم قيمة الزواج والاستمتاع مع رفيق الحياة لذلك طلبت حبيبها بالأمس مساء فى عيادته وأخبرته بموافقتها. فوجئ الدكتور (ع) بحديثها وتمنى لها السعادة وقد الصقة الإحباط فى المقعد فلم ينزل معها إلى البحر.

فى تلك الأثناء قامت الدكتورة زوجته بزيارة «للكوافير» واشترت رداء فضفاضا بألوان زاهية وشعرت بانتعاش وثقة بالنفس ذهبت إلى حيث كان يجلس زوجها محبطا نظر إليها بدهشة ثم إنفرج احباطه فى صورة غضب قائلا: «إن منظرها لايصلح لأستاذة فى الجامعة لكن لأراجوز فى سيرك.. ربما فهمت سبب غضبه من جلوسه وحده واختفاء حبيبة القلب فجلست صامتة، إلى أن عادت المجموعة وأبدوا إعجابهم بالتغيير الذى قامت به وأخيرا ابتسم الدكتور (ع) وهو ينظر إلى زوجته كأنه يراها كما كانت من سنين بعيدة، وهمس لها معتذرا ولم تفهم إذا كان اعتذاره على مابدر منه من دقائق أم أسفه على ما كان يفكر فيه؟!.

أمنية العم حامد!

لم يستطع العم حامد أن يحقق أمنيته فى أن يكون رئيساً لهذه العائلة الكبيرة المفككة .

فمنذ رحل كبار العائلة الواحد وراء الآخر واصبح هو أكبرهم عمراً وهذه الأمنية تراوده. لكنه لم يستطع أن ينفذها مباشرة فكان عليه أن يجمع أرقام تليفونات أسماء الذين يعرفهم والذين لم يعرفهم ، قرر أن يلم شملهم المبعزق، ويجعلهم يتزاورون ويجاملون بعضهم بعضا، كما كان يحدث فى الزمن القديم، عندما كان عمه كبيراً للعائلة.

لقد كان ينتظر تؤدباً أن يقوم أحد الرجال الكبار الذين رحلوا بهذه المهمة، لكنهم لم يفعلوا. وكان العم حامد من وقت لآخر يقرا فى صفحات الاجتماعيات فى الصحف والمجلات عن زيجة تمت فى العائلة وصور للعرسان والعرائس، ولايجد وجها يعرفة فى الصور.

وعندما كان يسأل أحدا من الذين يعرفهم إذا كان قد حضر فرح بنت فلان أو ابن فلانة يقول له ، إنه لم يذهب فلم يدعه أحد ، والألعن من هذا أنه عندما كان يتوفى أحد من العائلة ويذهب إلى صوان العزاء يجد نفرا قليلاً من الأقارب، ويتساءل هل العزاء أيضاً يحتاج لدعوة خاصة ؟!

عندما قرر العم حامد أن يكون كبيراً لهذه العائلة المفككة كانت صورة عمه الكبير مسيطرة على أفكاره فقد كان عمه هو العقل المفكر للعائلة، يذهبون إليه لحل مشاكلهم ، وكان أول من يخطرونه بقرار زواج ، وأول من يبلغونه بنبأ رفاة، وكان يجمع أفراد العائلة الكبيرة، الأغنياء ومتوسطى الحال فى المناسبات السعيدة والحزينة ويحثهم على زيارة المرضى وحمل الهدايا للوالدات وزيارة قبور موتاهم فى الأعياد حقيقة الزمن تغير وأصبح غير زمن عمه الكبير فمن ناحية تشعبت العائلة بانتسابهم لعائلات أخرى بالزواج.

وخرجوا من إطار العائلة إلى إطارات أخرى ولم يعد يجمعهم حفل سعيد، أو واجب عزاء، هذا إلى جانب التغيير الشديد الذى حدث للناس فقد أصبحوا منهمكين فى مشاكلهم وملذاتهم وهمومهم فى السعى وراء لقمة العيش، ولم يعد يسأل أحد عن آخر إلا للمصلحة. فكر العم حامد بمنطق أنه لن يستطيع أن يجمع أفراد العائلة الكبيرة فى حفل زواج مثلاً فالفرح الآن لايستطيع الفرد أن يدعو نفسه فيه بعد بدعة إقامة الأفراح بدعوات شخصية فى النوادى والفنادق لكن واجب العزاء شيء لابد من عمله وتذكير الناس به. وهكذا أخذ على عاتقه أن يكون كبير العائلة

بتذكير أفرادها بواجب العزاء عندما يرحل أحدهم وبالتاكيد عندما يجمع شملهم فى واجب عزاء سيتبادلون الكلام والدعوات وربما يعود الترابط بينهم، ومنذ قراره هذا وهو يقرأ بإمعان صفحة الوفيات المشهورة فى الجريدة الصباحية، إلى أن وقعت عيناه على اسم متوفى فى فرع من العائلة، وقرر أن يبدأ مهمته المقدسة.

فتح العم حامد دفتره الخاص بأرقام تليفونات العائلة الكبيرة ليدعوهم إلى العزاء فى قريبهم وياليته مافعل

بدأ حديثه لكل من طلبه أولاً بالتذكير بنفسه.. «أنا عمك حامد».. ثم بالتذكير بالمتوفى وعنوان العزاء وضرورة عمل الواجب وجاءته الإجابات محبطة تماماً لأمنيته فى أن يصبح كبيراً لهذه العائلة يأمرهم فيطيعونه!

من قالت له إنها لاتعرف شيئاً عن هذه الأسرة منذ ثلاثين سنة ومن قال له إنه لن يذهب لأن المتوفى لم يعزيه فى وفاة والده ..ومن قال له بلا مبالاة ..كلنا ذاهبون ياعمى البقية فى حياتك وأغلق المحادثة.

ومن قال إن لدية موعداً مهماً ..و..و كلها اعذار لم يفهمها فواجب العزاء لايقابل بأعذار . وكانت تعليقات أبناء العائلة الكبار الذين اتصل بهم لاتخلو من السخرية..

من قال لزوجته إن العم حامد قرر أن يكون «حانوتى» ومن قالت لزوجها إن الرجل أصابته لوثة الشيخوخة فقد طلب منها أن تذهب لعزاء ناس لاتعرفهم.

ومن قالت لأختها إن الرجل كان يقيم لأبنائه أفراحهم فى أفخم الفنادق ولم يدعوهما، والآن يدعونا فى وفاته!

وذهب العم حامد إلى صوان العزاء ولم يجد أحداً ممن حدثهم ، لم يجد إلا نفراً قليلا من المقربين للمتوفى، وحتى الموجودين يتسلل الواحد وراء الآخر خارجا ، وتذكر صوان العزاء زمان وقت كان عمه كبيراً لهذه العائلة الملعونة، وكيف كان يمتلىء بالاقارب والجيران، ولايترك أحد مقعدة إلا فى نهاية سهرة العزاء وشعر بحزن ليس فقط لأنه فشل فى مهمته بل لأنه تخيل صوان عزائه الخالى من المعزين وقرر أن يوصى أبناءه بعدم إقامة صوان عزاء له.

وهز رأسه بأسى وهو يقول بصوت مرتفع ..لاحول ولاقوة إلا بالله.

مقعد السيارة..

فى أوائل الستينيات تمت خطبة الآنسة (ب) للطبيب الشاب جارهم فى الحى ، بعد قصة حب رومانسية، كانت للشاب سيارة قديمة صغيرة أهداها له والده ابتهاجاً بنجاحه فى كلية الطب، وشاهدت تلك السيارة أجمل أيام الحب بين الخطيبين ،فكانت من تلك السيارات ذات المقعد الواحد الأمامى، وكانت البنت تجلس ملتصقة بحبيبها تقريباً، يضمها بذراع ويقود السيارة بذراع التحق الطبيب الشاب بالعمل فى أحد المستشفيات الحكومية واشترك مع زميلين له فى تأجير شقة فى حى شعبى ليزاولوا مهنتهم، هو فى تخصصه الباطنى، وهما فى تخصصهما والتحقت البنت بعد تخرجها فى كلية التجارة فى شركة. كانت فكرة تأثيث بيت الزوجية معاً منتشرة بين الشبان والشابات فى ذلك الزمان، فكان العروسان يؤثثان الشقة المتواضعة التى استطاعا تاجيرها فى الحى الذى كانا يسكنان فيه بنقودهما من عملهما وبمساعدة أسرتيهما.

وعندما كانت تذهب إليه أحياناً فى عيادته، وتسمع شكر المرضى البسطاء فى علاجة وأنه أحسن من أطباء كبار، وأيضاً لايأخذ منهم فى الكشف سوى خمسين قرشاً، كانت تزداد حباً له، وبعد انتهائه من عمله كانت تجلس ملتصقة به فى السيارة ذات المقعد الواحد الأمامى ليستنشقا بعض الهواء المنعش على شاطىء النيل قبل الذهاب إلى شقتهما الضيقة ..فى منتصف الستينيات انجبا طفلتهما الأولى ، واتفقا على ألا ينجبا سواها وحصلت السيدة «ب» على إجازة بدون مرتب من عملها لمدة سنتين ورفع الطبيب الشاب سعر الكشف فى عيادته إلى جنيهين ليعوض انقطاع دخل زوجته لكن بعد عودتها إلى عملها رفع سعر الكشف إلى ثلاثة جنيهات ولم يجد اعتراضاً من المرضى البسطاء بل ازداد عددهم لسمعته الطيبة ومهارته واشترى أو ل سيارة من ماله الخاص، كانت سيارة قديمة أيضاً، لكنها أكبر قليلاً من السابقة وبمقعدين أماميين منفصلين وإن كانا قريبين من بعضهما فلم تنزعج زوجته كثيراً واستطاع الطبيب الشاب أن يصحب أسرته الصغيرة لبضعة أيام كل صيف إلى أحد الشواطىء المتواضعة..

كان العالم يسير خطوة خطوة نحو التقدم وهكذا كان الطبيب يرفع سعر الكشف فى عيادته لزيادة دخله، ثم حدثت قفزة عالية فى كل شىء. حسب زيادة المعلومات وتقدم الاختراعات فى العالم وانفتاح المجتمعات وهكذا حدث للطبيب، ففى قفزة عالية فى أواخر السبعينيات نقل عيادته إلى شقه وحده وسط العاصمة وترك المستشفى الحكومى ليصبح مديراً لمستشفى خاص انشأه عمه مع شريكين، قرروا الدخول فى العالم

الجديد للاستثمار، مستشفى مثل الفندق ليليق بالمرضى الأغنياء الجدد من المصريين والعرب، والأصحاء الذين يحبون الاطمئنان على سلامة صحتهم اشترى الطبيب سيارة أكبر حجماً وتباعد المقعدان الأماميان عن بعضهما.

اغتمت زوجته بشعور داخلى أن زوجها بدأ يبتعد عنها وانتقلا إلى شقة كبيرة تمليك فى حى جديد، واشترى الطبيب أثاثاً جديداً، لكنه أصبح يغيب كثيراً عن الجلسات الهادئة المسائية مع زوجته خافت السيدة «ب» أن ينشغل زوجها بإحدى الطبيبات الشابات اللاتى يتهافتن للعمل فى المستشفيات الخاصة، أو يقع فى براثن مريضة ثرية فقررت أن تنجب طفلاً وهى على أبواب الأربعين وابنتها على أبواب الجامعة ظنت أن الطفل سيعيد اهتمام زوجها بها وببيته لكن الطفل لم يفعل شيئاً من تصوراتها سوى أنها تعبت فى حملها ووضعت بجراحة قيصرية وكان اهتمام زوجها بطريقة أخرى، فقد اشترى بيتاً صغيراً على شاطىء جديد بالقرب من الأسكندرية وطلب منها أن تترك عملها لترتاح ..وتعجبت من التعب الذى أصبح يلازمها، فلم تكن متعبة عندما كانت تعمل وترعى طفلة وبيتاً.

والآن تتعب وهى لاتعمل ولديها شغالة مقيمة وآخرى غير مقيمة. وأيقنت أن تعبها ليس بسبب تقدم السن كما أخبرها زوجها لكن بسببه هو لقد تغير أصبحت أهم أحاديثه عن المكاسب المادية التى يحققها يومياً، والعظماء الذين يعرفهم لكن الإنسان العاطفى الذى أحبته اختفى،

الإنسان الحساس الذى كان يخدم المرضى البسطاء أصبح السيد العظيم كأن المرضى خدمه.

لقد أجاب الطبيب فى السنين الأخيرة على سؤال زوجته لماذا يرفع سعر الكشف عيادته بإجابات متعددة تقبلتها لكنها ثارت فى وجهه عندما رفع السعر إلى خمسين جنيهاً فقال لها ببرود إنه لايريد مرضى كثيرين ليتفرغ للمستشفى..

ومع بداية شهور حرارة هذا العام. عندما نزلت أسرة الطبيب بحقائبهم ليوصلهم إلى بيت الشاطئ كعادته وقضاء عدة أيام معهم. فوجئت زوجته بسيارة مرسيدس كبيرة أمام باب العمارة ، أشار إليها الطبيب قائلاً: هذه سيارتنا الجديدة..قفزت ابنتهما الكبيرة وطفلهما ذو الخمس سنوات والشغالة إلى المقعد الخلفى، وجلست السيدة «ب» بجوار زوجها فى المقعد الأمامى تسمع منه حكاية آلاف الجنيهات التى دفعها فى السيارة وجدت مقعدها بعيداً جداً عن مقعد القيادة الذى يجلس عليه وخيل إليها أنه ابتعد عنها آلاف الأميال.

عرسان الدلوعة

جلست أبلة فاطمة بجوار أختها أبلة خديجة فى حفل زفاف ابنة ابن عمهما المقاول الكبير فى قاعة واسعة بفندق خمسة نجوم، اختارت أبلة فاطمة منضدة قريبة من كوشة العروسين بجوار جهاز التليفزيون لتشاهد مع اختها وقائع زفة العروسين على الشاشة التى تصورها كاميرا الفيديو فهما لاتستطيعان الانضمام للزفة التى تستغرق ساعة، وكان فى القاعة نفر قليل فى مثل عمرهما فضلوا انتظار العروسين . عندما بدأت الزفة وظهرت صورة العروسين على الشاشة، نظرت أبلة فاطمة بدهشة وقالت لأختها:

«انظرى ياأختى هذا العريس ليس هو الذى حضرنا حفل خطوبته على مقصوفة الرقبة الدلوعة وليس هو الذى حضرنا عقد قرانه عليها. إنه واحد ثالث!»

ضحكت أبلة خديجة وقالت لأختها إنها تبالغ والذى تقوله غير معقول. قالت أبلة فاطمة لأختها أن تتذكر صدق ملاحظتها فى العام الماضى عندما حضرت عقد القران وتذكرت أبلة خديجة ملاحظة أختها وحديثهما، فقد أبدت أختها ملاحظة على تغير العريس وقالت لها أبلة خديجة يومها إنه ربما أصبح أكثر جمالا وربما شعر رأسه طال قليلا، فردت عليها أبلة فاطمة إن شعر رأسه ربما يطول لكن هل قامته أيضاَ يمكن أن تطول خلال شهور بين حفل الخطوبة وحفل عقد القران؟!

تذكرت أبلة خديجة أنها ذهبت إلى الكوشة لتقبل العروسين ولم يلتفتا إليها لأنهما كانا مشغولين باستقبال ضيف كبير ، وقد وجدت ابنة عمها وهى عمة العروس بجوار الكوشة فسألتها عن هذا الكبير، وقالت لها إنه عم العريس ولما سألتها لماذا لم يحضر الخطوبة همست لها ابنة عمها لأن عريس الخطوبة كان شخصا مختلفا..!!

تذكرت أبلة خديجة هذا وهى تنظر بدهشة إلى صورة العروسين على الشاشة الصغيرة قالت أبلة فاطمة لأختها مؤكدة أن العريس شخص ثالث ربما يكون قص شعر رأسه على الموضة، لكن هل يمكن أن تقصر قامته وتصبح فى طول السنيورة بعد أن كانت تتعلق بذراعه ورقبته ليلة عقد القران؟! لم تحتمل أبلة خديجة هذه اللخبطة وقامت لتبحث عن ابنة عمها، وجدتها فى مؤخرة الزفة، وبعد أن ألقت نظرة فاحصة على العريس، سحبتها من ذراعها لتبتعدا عن الزحام وسألتها عن ظاهرة عرسان البنت الدلوعة ولماذا يتبدلون؟!

قالت لها عمة العروس ببساطة إن عريس الخطوبة كان طامعاً فى مال أبى العروس ،كان يريده أن يجهزها ويشترى لهما شقة وأيضا يقيم حفل الزفاف لم يرض أبو العروس بهذا وسال ابنته إذا كانت تحب عريسها حقيقة فهو مستعد أن يضحى من أجلها لكنه يخاف عليها مع مثل هذا الشاب الطماع وقالت البنت إنها تحبه قليلا لكنها ليست متمسكة به أما عريس عقد القران فقد انجذبت البنت لجماله وعائلته الثرية وعمه ذى المنصب الكبير.

ووجدت أمها أنه لاداعى لحفل خطوبة أخر لذلك قررت أن يكون عقد القران مع الشبكة، واعتمدت على ضعف ذاكرة الناس، مادامـوا يحضرون فرحا ويأكلون ويتبسطون لن يهتم أحد بشكل العريس إن تغير لكن حدثت مشكلة بين والدى العريس ووالدى العروس أثناء عقد القران والدا العريس تراجعا عن اتفاقهما بالنسبة للمهر الكبير ومؤخر الصداق الأكبر، ووافق والد العروس مضطرا لوجود الرجل الكبير عم العريس. بعد هذه الحادثة قرر والد العروس أن يجهز ابنته بحجرة واحدة وليتكفل العريس ببقية الجهاز على أن يكتب الأثاث باسم ابنته ،لم يعجب أهل العريس هذا ووصفوا والد العروس بالطمع . ولما سأل والد العروس ابنته عن رأيها فى المشكلة قالت إنها لاتريد مشاكل فى حياتها خصوصا أنها لم تشعر بنشوة عندما قبلها العريس! وانتهى عقد القران بالطلاق، لكن سرعان ماوجد لها والدها، «عريس لقطة» قدم لها شبكة غالية وتكفل بشراء شقة وتجهيزها خلال ثلاثة شهور.

وقرر والدها أن يكون عقد القران مع الزفاف، ومادام الناس حضروا حفل الخطوبة وحفل عقد القران فمن الطبيعى أن يحضروا حفل الزفاف ومادامـوا يأكلون وينبسطون لن يلتفت أحد إلى تغير العريس!!

قالت أبلة خديجة لابنة عمها إنها تود أن توفق البنت «الغلبانة» فى زيجتها هذه فاخبرتها أن العروسين سيسافران إلى أوروبا لقضاء جزء من شهر العسل .. عادت أبلة خديجة إلى حيث تجلس أختها وحكت لها حكاية عرسان البنت «الغلبانة» مصمصت أبلة فاطمة شفتيها وقالت لأختها إنها تراقب البنت الدلوعة على الشاشة لايمكن أن يقول أحد عليها إنها غلبانه فشكلها ومرحها ودلعها وسعادتها كل هذه الأشياء شاهدتها عليها يوم خطوبتها للعريس الأول ويوم عقد قرانها على العريس الثانى وها هى تراها الآن مع العريس الثالث لم يتغير فيها شىء سوى العرسان الثلاثة!!

زواج من طرف واحد

فى إحدى هذه المؤتمرات النسائية، امتلأت القاعة بعالمات يعملن فى صمت، إنجازات مفيدة نادراً ما يلتفت إليها احد، وباحثات يقمن بابحاث جيدة لاتظهر إلا فى قاعات مغلقة، ومحترفات الكلام، وصاحبات الصوت المرتفع اللاتى تظهر صورهن بمناسبة وبدون مناسبة فى الصحف، بجانب اللاتى فضلن المكوث فى القاعة مكيفة الهواء بعيداً عن حرارة الجو، كنت فى فترة راحة أشرب فنجان قهوة وسط ضجة المتحدثات عندما أقبلت على وهى تهتف باسمى.

قالت إنها عرفتنى مباشرة، وسألتنى هل اتذكرها؟!

نظرت إليها قليلاً وقلت: «طوسون»..

نظرت إلى بدهشة: ضحكت وهى تقول.. «انت تذكرينى»..

نظرت إلى البطاقة التى تعلقها على صدرها لتدل على إنها مشتركة فى المؤتمر ومكتوب عليها اسمها.. مديحة..

تعجبت من نفسى، إننى لم اتذكر اسمها، لكنى تذكرت اسم حبيبها الذى كان فى تلك السنوات البعيدة.

سألتنى ان نجلس معاً فهى تحتاج للحديث معى بعد سنوات طويلة لم نلتقِ خلالها، وسرنا إلى ركن بعيداً عن الضجة.. غريب عقل الإنسان الذى يحتفظ بأرشيف منسق لصور الماضى وأحداثه، وتظهر امامنا فجاة، كاننا نضغط على زر الدرج الذى به صور وذكريات لشخصية نلتقى بها فى الحاضر، فينفتح الدرج عارضاً أمامنا ما نسيناه، وهكذا حدث لى عندما شاهدت مديحة، لكن الغريب إننى تذكرت اسم حبيبها قبل اسمها، ربما لأنه شاباً جميلاً يداعب أحلام بنات الحى القديم الذى كنا نسكنه، ولم تفصح واحدة من شلتنا القديمة عن احلامها للباقيات خصوصاً بعد ان صرحت لنا مديحة إنها تحبه. بالرغم من إننا عرفنا إنها تحبه من طرف واحد إلا إننا ابعدنا أحلامنا الصبية عنه.

كان «طوسون» يسكن فى بيت عريق من طابقين مع عائلته التركية الغنية. كان يكبرنا فى العمر ويعمل، بينما كانت مجموعتنا فى المرحلة الثانوية. كنا نعرف كما كانت تعرف مديحة إن له مغامرات عاطفية مع فتيات جميلات ناضجات، كان إخوتنا الشبان يحكون عنه كثيراً، وننقل حكاياته لمديحة، ومع ذلك كانت تحبه بجنون، وتبكى أمامى من عواطفها الجياشة، وترسل له خطابات بدون توقيع، وتحدثه فى التليفون بدون أن تفصح عن شخصيتها، وتحكى لنا عن تلك المغامرات الخطيرة!..

كانت مديحة تعيش مع والدها فى حيينا، بينما أمها متزوجة من أخر وتعيش فى مدينة بعيدة. ربما حاجة مديحة للعاطفة كانت تجدها فى ذلك الحب الأفلاطونى المجنون. بعد أن تخرجنا فى المدرسة الثانوية. علمت أن والدها توفى وسافرت لتعيش مع أمها والتحقت بالجامعة هناك، واختفت من حياتى مديحة إلى أن قابلتها فى هذا المؤتمر.

بمجرد أن جلسنا وحدنا قالت مديحة إنها لم تتزوج. سألتها هل بسبب حبيبها القديم؟!

قالت: «لا، بسبب قصة حب أخرى، بعدها أبعدت الرجال عن حياتى».. وهى تحكى لى قصتها لم اتعجب فهى نفس قصة حبها القديم. من طرف واحد، وإن كانت بصورة عملية، كان حبيبها يكبرها فى العمر أيضاً، وكان عائداً من بعثة دراسية فى الخارج ويعمل معها فى مكان واحد، وتحبه فى صمت، وعندما قرر العودة إلى البلد الذى كان يدرس به ليعمل هناك، سعت للحصول على بعثة دراسية فى ذلك البلد للحصول على شهادة عليا فى العلوم الاقتصادية، وقبل سفرها سألها حبيبها إذ كانت مستعدة لتبقى معه هناك وتتزوجه، وافقت بفرحة بعد استقرارها فى بلد الغربة البعيد ذهبت إلى صديق لحبيبها كان قد اعطاها عنوانه لتعرف منه متى سيلحق بها، وصدمت كل أحلامها عندما اخبرها الرجل إن صديقه لن يحضر، فقد جاءه عمل مجز فى بلد عربى وانهارت مديحة. لكنها فجأة تنبهت لنفسها وقررت ألا تعود وهى فاشلة فى الدراسة.

قالت: «عملت بجهد حتى إنى انتهيت من رسالتى فى عام بدلاً من اثنين، وعدت إلى بلدنا أسأل عنه، وعلمت إنه مازال يعمل فى الخارج وتزوج من إحدى قريباته، سافرت مرة أخرى للحصول على الدكتوراه وعدت بعد عدة سنوات لأعرف إنه لم يعد من الخارج وأنجب.

عشت وحدى، وكرست حياتى لعملى، اشترك فى مؤتمرات بابحاثى.. سافرت كثيراً، وعندما توفى زوج أمى جاءت للقاهرة لتعيش معى» .. صمتت مديحة قليلاً وقالت كانها تدافع عن نفسها إن كثيرين طلبوها للزواج لكنها ارادت الزواج من حبيبها، حتى إنها اعتبرت نفسها زوجته منذ اليوم الذى طلبها للزواج!.. وكانت على يقين إنه سيعود إليها يوما وقد كان..

قالت مديحة: «منذ عدة سنوات وجدته أمامى فى مكتبى، عاد ليعمل فى بلدنا. حكيت له عن مأساتى فى الغربة عندما لم يلحق بى هناك لنتزوج كما وعدنى، وتعجب من كلامى. لم يدر أننى أحببته، ولم يتذكر إنه طلبنى للزواج! كنت مستعدة أن اغفر له زواجه وإنجابه لكن ألا يتذكر!. عشت سنين طويلة أحبه وأعتبر نفسى زوجته، ضيعت حياتى الخاصة من أجله ثم يأتى ليقول لى إنه لايتذكر!.. طلبت منه الا يتصل بى بعد ذلك؟ هل فهمت لماذا؟ ابعدت الرجال عن حياتى» ..
قلت: «أفهم أن الحب ممكن من طرف واحد.. لكن الزواج ؟!» .

قالت ضاحكة: «لأنى عاطفية جداً.. وربما مغفلة» .

فى عمره السبعينى!

جلس السيد (أ) مع صديقه السيد (ص) فى حديقة النادى الرياضى يشربان الشاى وقت العصارى، كعادتهما فى أيام الصيف، يستمتعان بعمرهما السبعينى بسرد الحكايات القديمة فى عمر الشباب، والرجولة الأولى كأنهما يعيشان مرة أخرى ذلك الماضى الجميل. كانا فى هذا اليوم يتحدثان عن بقية أفراد شلتهما، فقد اختفى أربعة بالموت، واختفى ثلاثة اختفاء وقتيا بالسفر، أما صديقهما السيد (م) الذى اختفى بالزواج فهذا أمره عجيب والأعجب منه أنه أنجب طفلا. ظهرت على وجهيهما الاستياء.

قال الرجل الأول بامتعاض: «رجل فى الخامسة والسبعين وينجب طفلاً، وأصغر أبنائه من المرحومة فى الأربعين من عمره؟!».. قال الثانى: «علمت أن إحدى أخواته طلبت منه أن يقوم بتحليل اختبارى مع الطفل لإثبات إنه فعلاً ابنه».. قال الأول بامتعاض: «زوجته الآن

ضمنت الشقة الفاخرة والميراث المحترم.. لقد ترمل السيد (م) وهو فى السبعين من عمره، وجد نفسه وحيدا فى شقة كبيرة، أولاده الثلاثة بعيدون عنه، متزوجون ويعملون فى الخارج، فبعد جلسته اليومية مع أصدقائه فى النادى لايجد ما يفعله خصوصا أن عمله الذى يقوم به فى التصدير لمنتجات ارضه الزراعية، ليس فى كل اوقات السنة. ذات يوم كان يشكو لسائق سيارته من كثرة عمله وقت التصدير، فسأله لماذا لايوظف سكرتيراً أو سكرتيرة، فأجابه أنه لايحب شباب اليوم المتعجرفين، فالتقط السائق الخيط واخبره عن جارته فى الحى الشعبى، مطلقة تعيش مع والديها وتبحث عن عمل شريف، وهى فى عمرها الثلاثينى الأخير. أجابه السيد (م) بلا مبالاة أن يحضرها.

فى اليوم التالى ذهبت إليه المرأة مع السائق، طويلة، نحيفة، سمراء، وجد الرجل انها لاتفرق بين الألف وكوز الذرة لكن شيئا فى ملامحها جذبه إليها، ربما عيناها الواسعتان، وربما ابتسامتها العريضة المسكينة التى تحاول بها نيل رضاه. وظفها فى مكتبه البعيد عن مسكنه، ثم وجد انها من الافضل أن تعمل مديرة لبيته فشقته كبيرة فاخرة تحتاج لمن يشرف على العناية بها. رحبت المرأة، ووجدت نفسها فى الاعمال المنزلية، وبشعورها الغريزى فهمت انجذاب الرجل لها، وبذكائها الانثوى جذبت خيط الانجذاب ليصبح حبلاً يلف حول عنقه فتزوجها. ثار إخوته وأخواته وابناؤه، وكان حازماً معهم فاكتفوا بمقاطعته. وهكذا قاطعه معظم معارفه المهمين. لم يهتم الرجل بزوجته واعتقد أنه بالملابس الغالية والمجوهرات سيجعلها تليق بمقامه، كما أمرها أن تقطع

صلتها بأهلها حتى لايزوروها ويشاهدهم جيرانه، ولأن السائق يعرف أصلها فقد فصلته بحجة أنه تطاول عليها.

قال السيد (أ) لصديقه: «السائق الأمين الذى ظل يخدم سنين طويلة كان يأخذ الأوامر من المرحومة السيدة الجميلة ذات الأصل التركى العريق، فكيف يأخذ أوامره من هذه المرأة التى من طبقته

قال (ص): «صديقنا فلاح، وطول عمره يفخر بهذا، ليس عيبا، لكن يبدو أنه فى داخله كان يحن إلى أصله فتزوج من هذه المرأة» ..
قال (أ): «تصور أنه قال عن هذه الفلاحة إنها تشبه الجيوكاندا» ..
ضحك صديقه وسأله «هل قال هذا حقيقة؟» ..

قال (أ): «تذكر يوم دعانا إلى العشاء ولم تحضر أنت، ذهبت مع اثنين من الشلة .. شاهدنا صورة مقلدة للجيوكاندا فى حجرة الطعام، وقال لنا إنه يعلقها لأنها تشبه المحروسة زوجته. ولما لاحظ دهشتنا قال لنا إبتسامتها !... وابتسمت المحروسة لتؤكد كلامه .. شىء مضحك».
قال (ص): «اظن انكم حكيتم عن هذه الليلة» ..

قال (أ) مكملا حديثه الذى قاله من قبل: «وعلى مائدة الطعام، كان الطقم الصينى العريق، والملاعق والشوك الفضية الاصيلة. ثم ماذا... بامية وملوخية، واللحمة فى الخضار!» .. ثم قال بامتعاض: «هو فعلاً يحن إلى أصله الفلاحى، فبعد مائدة الطعام الفاخرة من عمل أحسن الطهاة، يقول لنا بفرحة إن زوجته هى التى طبخت هذا الطبيخ السخيف؟!» ..

قـال (ص) بامـتـعـاض: «قلنا يفعل مـا يشـاء بحـيـاته، أما حكاية إنجابه!».. قبل أن يكمل جملته ظهر السيد (م) فى حديقة النادى دافعا أمامه عربة أطفال فاخرة. اقترب منهما، حياهما، وانبهما لأنهما لم يسألا عنه من شهر ولم يباركا له طفله. «انظرا إليه، اليس يشبهنى؟!». نظر الرجـلان إلى الطفل وابتـسمـا، تركـهـما الرجل بعـد أن وعـدهما بالانضمام إليهما فى جلستهما اليوم التالى. وسار بثقة وحيوية دافعاً عربة طفله امامه.. تبادل الرجلان النظرات.. قال (ص): «كأن الرجل فى الخـمـسين من عـمـره كـأنه انجب أول مـرة لابد أن نسـأله عن اسم الفيتامين الذى يأخذه».

قـال (أ): «ليست مـسألة أدوية. الحـيـوية تولدت مع الطفل، كـأنهم حقنوه بحقنة معنوية من نخاع طفله». تبادل الرجلان حديثا هامسا. ثم ضحكا بصوت مرتفع عندما اكتشف أن هجومهما على صديقهما ما هو إلا نوع من الحسد.

مصيف العائلات

نظر المهندس «ع» إلى اليافطة التى وضعها فوق مدخل المشروع الذى بناه بخبرته وآماله، ليكون مصيفاً خاصا للعائلات، وهز رأسه بأسى، لقد فوجىء هذا الصيف بوجوه غريبة فى المصيف، وكانت بالأمس مشادة بينه وبين ابن اخيه المهندس، عندما علم منه أن مجموعة من العائلات اتفقوا على تأجير مساكنهم لشركة: قال له: «يا ابنى أنا تعبت فى بناء هذا المشروع ليكون شيئا خاصا غير الشواطئ المكتظة بمثل هذه الشركات التى تقذف على الشاطئ ناسا لاتعرف أصلهم من فصلهم، ولابد أن الشقة الواحدة ينزل فيها ثلاث أسر أو مجاميع من العزاب، أو الشابات، فمن اين جاء كل هؤلاء الناس؟! قال له: «يا عمى مسألة العائلات الكبيرة هذه كانت زمان والشواطئ كانت تعرف بساكينها أما الآن...» جلس المهندس «ع» فى شرفته المطلة على البحر لايستطيع أن يستمتع بالمنظر وحملته ذكرياته إلى مدينته

الحبيبة الاسكندرية، حيث كانت شواطئها توصف بروادها المصيفين، هذا للعائلة المالكة، وهذه لعائلات الباشاوات والوزراء، وهذا للعائلات الكبيرة، وهذا للمتوسطة وهكذا كان كل شاطئ متميزا عن الآخر. أما الآن.. هز المهندس «ع» رأسه..

لقد اختلط الحابل بالنابل ولم تعد هناك شواطىء مميزة، وإذا فكر أحد فى إنشاء شاطىء مميز كما فعل هو سرعان ما يزحف عليه اشكال والوان من الناس.. لقد اشترك فى بداية عمله فى مشروع إقامة مصيف جديد منسق، نظيف اطلقوا عليه شاطئ المعمورة، وانتقلت إليه عائلته والعائلات الصديقة. تاركين الشواطئ القديمة عندما بدأ يزحف عليها الزحام.

وفى أوائل الستينيات سافر المهندس (ع) ضمن المهندسين الذين سافروا إلى دول عربية لتشييد مدن جديدة بعد تدفق البترول من أراضيها سنوات طويلة قضاها متنقلا هناك لكنه كان حريصا على قضاء إجازته الصيفية وسط عائلته وعلى الشاطىء الذى عمل فى تشييده. وكان يلاحظ على مر السنين أن عمارات جديدة شيدت بطرق عشوائية وأخذت طابعا آخر وازدحم الشاطئ .. ذات صيف قرر مع ابن اخيه المهندس الانتقال إلى شاطىء العجمى. وقوبلت الفكرة بالترحاب من بقية افراد العائلة الكبيرة واشتروا أرض فضاء صمم عليها المهندس الكبير فيلات جميلة وترك تنفيذها لابن أخيه، ربما استمتع المهندس «ع» بالمصيف الجديد سنوات قليلة، مع بعض العائلات الكبيرة التى هربت من ازدحام شواطئ الأسكندرية وزحفوا إلى الشمال حيث الهدوء والنظافة، لكن سرعان ما التفت الناس إلى هذا الشاطئ الجديد، وقامت

شركات مقاولات عديدة فى تشييد عمارات عشوائية، وحدات سكنية ملتصقة ببعضها الجار يمد يده فيمسك بالجار المجاور، وأصبحت مجموعة الفيلات التى انشأها المهندس «ع» محاطة بهذا الكم من الغلاظة البنائية. أفسدت عليهم المنظر ومنعت عنهم الهواء، ولم يعد المكان هادئا ولا نظيفا. وعندما عاد المهندس «ع» بأسرته إلى أرض الوطن للاستقرار فى أواخر السبعينيات، قرر أن ينشىء مصيفا جديداً خال بالمال الذى اقتصده. وكانت صعوبات واجهها إلى أن اشترى قطعة أرض على الشاطئ الشمالى.

كان يقول لابن اخيه الذى أرادت له أن يصبح مهندسا كبيرا مثله لأنه لم ينجب سوى ثلاث إناث. إن الأداء الآلى للعمل يشبه غسل الإنسان يديه من الأقذار، ولكن العبرة هى فى حب هذا العمل، فعندما يمتزج الحب بالعمل فإن بركة الله تملأ القلب بالسعادة.. وهكذا كان قلب المهندس «ع» مليئا بالسعادة وهو يشيد هذا المصيف الذى أطلق عليه «مصيف العائلات» واشترط أن يبيع بناءاته لعائلات يعرفها أو يسأل عنها، وكان افراد عائلته الكبيرة أول من اشتروا بعد أن باعوا فيلات العجمى فى منتصف الثمانينيات.

كان المهندس «ع» بمثابة عمدة المصيف يعرف كل العائلات التى تأتى إليه، لقد حقق أخيرا حلمه الكبير وهو على مشارف السبعين من عمره، لكن مع بداية هذا الصيف لاحظ العمدة وجوها لم يشاهدها من قبل، وازدحاما لم يألفه على شاطئه. وهكذا سأل ابن أخيه المهندس عن السبب وعرف الحكاية المؤلمة

قام المهندس «ع» من جلسته فى الشرفة وذهب إلى حيث علق يافطة «مصيف العائلات» ونادى على ابن اخيه المهندس ليساعده فى إنزالها ثم توجه إلى سيارته فسأله: «إلى أين يا عمى» أجابه بابتسامة مشرقة إنه سيبحث عن شاطئ خال ليشيد عليه مصيفا جديدا قفز المهندس الشاب بجوار عمه. وقال له: «مضت خمس سنوات وأنت لاتبنى يا مى وأنت لاتستطيع المكوث بلا عمل وابتكار أما مسألة إصرارك على حكاية العائلات، انت تعرف إنها صعبة الآن» .. ابتسم المهندس الكبير وقاد سيارته فى الطريق إلى الشمال.

الحرامى

«حرامى.. حرامى» فتح السكان ابواب شققهم فى العمارة الكبيرة، وهرعوا لانقاذ الأرملة الجميلة، فقد كان هذا صوتها، وجدوها فى حالة من الغضب أمام باب شقتها، وشاب يافع اسمر بجلباب يقف مذهولا امامها، وأكياس من الفاكهة وكباب اللحم مبعثرة على أرض المدخل، لما وجد الشاب الرجال والنساء يتزايدون افاق من ذهوله وصرخ إنه ليس حراميا، اقسم بالله إنه ليس حراميا، وقفز إلى درجات السلم وهو يصرخ إن قصده شريف. والأرملة تصرخ إنه حرامى، لحق به احد الرجال وصعد به والشاب يصرخ إنه ليس حراميا. والأرملة تصرخ إن هذا الشاب الوقح جاء ليسرقها. سألها رجل أن تهدأ وتخبرهم ماذا كان يريد أن يسرق؟!، فقالت الارملة غاضبة إن هذا الوقح جاء يطلبها للزواج! تركه الرجل الذى أمسك به وقد عرفه كما عرفه بعض السكان، وقال له مبتسما: «كبرت ياواد يا على وعامل منظر» ضربة على قفاه

وهو يدفعه تجاه السلم، وهدده بطلب الشرطة إذا هو عاد إلى العمارة مرة أخرى.. تبادل بعض الرجال النظرات المبتسمة، وتهامست بعض النساء، وخرجت بعض الشغالات من الشقق يجمعن الفاكهة والكباب، دفعت ثلاث جارات الأرملة إلى شقتها واغلقن الباب لتحكى لهن ماذا فعل هذا الكلب الأرغن.. لنعد إلى الوراء عدة سنوات لنفهم الحكاية.

لابد أن الشاب كان يشتهيها منذ كان صبيا، فلماذا جاءته هذه الفكرة؟! كان والده يملك محلا كبيرا فى الحى لبيع الفاكهة، وكان الصبى كثيرا ما يحمل اكياس الفاكهة لسكان العمارة الكبيرة، وكانت سعادته عندما يجد زوج الأرملة فى المحل وكان يحمل أكياس الفاكهة للبيه بدون أن يرجوه والده. كان صبيا نحيفا اسمر تلمع عيناه بذكاء وتشتعل رأسه بطموح ان يصبح مثل هؤلاء البهوات، ويتزوج امرأة مثل زوجة هذا البيه البيضاء البضة ألفت هانم، كما كان يناديها والده والحى كله.. وكانت هى تعطف عليه وتبتسم له ابتسامة ناعمة تشق شفتيها مثل حبتى فراولة ناضجة.. وكانت لاتدارى جسدها البض إذا فتحت الباب لزوجها وللصبى. وهى برداء مكشوف.

مرت سنوات، وكبر الصبى، لم تكن تطلعاته الطموح للعلم الذى رفضه منذ صغره، كان طموحه أن يصبح ثريا، لذلك عندما سمع عن الذين يسافرون إلى بلاد النفط للعمل فى البناء والزراعة ويعودون اثرياء وجد مطلبه وسعى للسفر، ولما توفى والده منذ عام عاد إلى أرض الوطن، وحول محل الفاكهة الكبير إلى مطعم كباب. وقد عرف من العاملين فى محلات الحى أخبار سكانه، وضمن الأخبار أن زوج ألفت هانم قد توفى وإن ابنتيها تزوجتا، وإنها تعيش وحدها فى الشقة.

وبالصدفة كانت ألفت هانم تمر على المطعم الجديد فى طريقها إلى بيتها. وشاهدت الصبى الذى أصبح شابا يافعا، هرع مرحبا بها وابتسمت له ابتسامتها الناعمة القديمة من خلال الفراولتين، مد إليها يده بالسلام، وكان أول مرة فى حياته يمسك بيدها البيضاء البضة، فحدث لمشاعره شيء.

رحبت الأرملة بعودته وشجعته على مشروعه، وواساها لفقد زوجها وإن كانت تعزيته جاءت متأخرة. تابعها بنظراته وهى تسير مبتعدة، مازالت الفت هانم تحتفظ بقوامها الأبيض البض وجمالها، مع حرارة الجو والسيجارة التى كان يدخنها شعشعت فى رأسه احلامه القديمه، ولابد أن الأرملة بترحيبها معجبة به ايضا .. فى اليوم التالى ارتدى جلبابا نظيفا وتعطر، واشترى فاكهة الموسم الصيفية وحمل كيلو كباب من مطعمه، ووضع فى جيبه قطعة حشيش معتبرة. وهكذا ذهب إلى الأرملة فى وقت عصر هذا اليوم المشئوم. لما فتحت له الباب، سألته بدهشة عن طلبه، فقال لها إنه يريدها فى موضوع خاص، ربما ظنت أن هناك مشكلة للمحل يريد منها أن تحلها له بمعرفتها بكثير من أكابر البلد، أو لديه مشكلة فى زواجه إذا كان قد تزوج، فسمحت له بالدخول.. ولأنه شاب غرير لايعرف أصول الحديث مع نساء مثل الفت هانم فقد دخل فى الموضوع مباشرة. قال لها إنه حقيقة لم يتعلم لكنه الآن يملك كل ما تتمناه المرأة.

أشار إلى محفظته: «معى المال» وأشار إلى قلبه.. «ومعى الحب» أشار إلى قطعة الحشيش فى جيبه.. «ومعى الهوا» وإنه باختصار أصبح ثريا وكل ما يملك تحت قدميها. صعدت الدماء إلى رأس الأرملة

وأمرته أن يخرج، هبت واقفة وجذبته من جلبابه، دفعته إلى باب الشقة الذى تركته مفتوحا اثناء مقابلته، اغلقته وهرعت إلى اكياس الفاكهة والكباب، ولما فتحت الباب لتلقيهم خلفه وجدته مازال منتظرا فالقتهم فى وجهه وصرخت.. «حرامى.. حرامى» قالت لها إحدى الجارات، إن الشاب لم يأت ليسرقها، صرخت الأرملة وهى تقول إنها هى المتعلمة المثقفة التى كانت متزوجة من الأكابر يأتى هذا الصعلوك ليطلبها؟

هى التى رفضت الزواج من رجال اكابر يطلبها صبى الفكهانى؟!.. وهل العين تعلو على الحاجب ببساطة هكذا؟! «طبعا هو حرامى.. جاء ليسرق حياتى ومركزى واسم عائلتى».

تبادلت الأرملة مع النساء الثلاث نظرات الشفقة على انفسهن. وقالت واحدة: «فعلا هو حرامى».

توظيف أموال

كان مئات من البشر فى شبه مظاهرة غاضبة متجمهرين أمام مقر شركة كبيرة لتوظيف الأموال، مطالبين اصحابها برد ودائعهم المالية بعد أن امتنعوا عن دفع المعلوم الشهرى لهم، وبعد أن تأكدوا من إفلاس الشركة. أو تهريب أموالهم للخارج. كان ضمن هؤلاء المتجمهرين المهندس «ص» وزوجته، وكما يحدث فى الأفلام السينمائية عندما تلتقى نظرات البطل والبطلة وسط جمع من الناس بعد فراق طويل، فيتجدد حبهما القديم فى نظرة، وتخفت كل الأصوات فلا يسمعان سوى صوتهما، وتبهت كل الوجوه فلا يظهر سوى وجهيهما، هكذا حدث للزوجان عندما التقت نظراتهما وسط هذا الجمع، لم يسمع المهندس «ص» سوى صوت زوجته وهى تصيح «أموالى يا حرامية»..

ولم تسمع الزوجة سوى صوت زوجها وهو يصيح «شقى عمرى يا أولاد الأبالسة».. اخترق الزوج جموع الناس وذهب إلى زوجته وسألها بدهشة.. أنت؟! .. وردت عليه متسائلة وأنت؟!

لم يكن لقاؤهما بعد فراق طويل، فهما يعيشان معا فى بيت واحد، ولم يتجدد حبهما القديم بنظرة دهشة، بل كانت تلك النظرة لاكتشافهما أن كلا منهما لديه أموال أخفاها عن الآخر، وقد افتضح أمرهما فى هذه المأساة المالية. سحب الزوج زوجته وخرج بها إلى الطريق حيث ترك سيارته الصغيرة وجلست الزوجة بجواره صامته، اغتصب ابتسامة وسألها أين تريد أن تذهب، فقالت غاضبة.. «إلى المأذون لنفترق».. قال لها.. «ليس قبل أن نتحدث» قالت بغضب إنه لم يعد هناك حديث بينهما، فسألها بدوره، وهل كان هناك حديث بينهما؟!

ساد الصمت بينهما وهو يقود سيارته، ربما شعر كل منهما بالخجل من نفسه، وربما وجد كل منهما الاعذار لتصرفه.. لقد أجل المهندس زواجه من حبيبته ليسافر إلى العراق مع شركة تعمير لبناء مدينة جديدة، حتى يستطيع بالنقود التى يحصل عليها أن يشترى شقة أو يؤجر واحدة صحية واسعة بدلا من الشقة الضيقة التى يعيش فيها بعد وفاة والديه، وقد عاد بعد سنتين بدلا من أربع سنوات، وحكى لخطيبته عن قصة ضرب المدينة السكنية التى كانوا يبنونها فى الحرب وإصابة المكان الذى كان يسكنه، وكيف نجا بأعجوبة، وضاعت ملابسه ونقوده تحت الانقاض، وعليهما أن يعيشا فى شقة والديه.. ولم يكن المهندس الشاب دقيقا فى حكايته، حقيقة المدينة الجديدة ضربت وتهدمت بعض المنازل لكن المكان الذى كان يعيش فيه لم يصب وأمواله لم تضع.. وكان قد سمع من زملائه عن شركات توظيف الاموال التى ظهرت فى وطنه، والعائد الكبير الذى يدفعونه للمودعين، وفكر إنه إذا اشترى شقة

بالمال الذى حصل عليه لن يستفيد منه، فليؤجل موضوع الشقة ويضع أمواله فى شركة توظيف أموال، ويتركه عدة سنوات إلى أن «يبيض» و«يفقس»، فيشترى الشقة ويبقى معه فائض كثير!

وهكذا وضع أمواله فى الشركة الكبيرة. أما الزوجة فقد باعت مع أخيها منزلا قديما مهدماً تقريباً كان ملكا لوالديهما، وقد اهداه لهما ليستفيدا من بيعه. فى ذلك الوقت كان خطيبها مسافرا، وكان إغراء شركات توظيف الأموال ملتهبا فى عقول الناس، وخافت ألا يعود خطيبها، وحتى إذا عاد خافت أن يفشل الزواج فذهبت بأموالها إلى الشركة الكبيرة ووضعتها تأمينا لمستقبلها !! فهى موظفة، ولن تحصل على مبلغ هكذا طول حياتها.. تم زواج هذين الأثنين وكل منهما يخفى عن الآخر سرا.. من حق الزوجين إخفاء مغامراتهما العاطفية قبل الزواج أو قصص حبهما، لكن أن يخفيا عن بعضهما ثرواتهما، ويبخلان على أنفسهما.. ربما هذا كان سببا كافيا لابتعادهما عن بعضهما. فقد عاشا معا ثلاث سنوات ولم ينجبا، وكانت إجابات الأطباء المختلفين واحدة، وهى أنهما صالحان للإنجاب ولايوجد بهما عيب، ولابد أن المسألة بينهما نفسية. أصبحت ساعات الصمت بينهما أكثر من لحظات الكلام، ولما تأكدا من إفلاس الشركة التى يضعان فيها أموالهما ، زاد القلق من همهما، وأصبح لايطيق احدهما الآخر، ولعب الشك دورا فتخيل كل منهما أن الآخر على علاقة حب! إلى أن ظهر سرهما فى ذلك التجمهر أمام شركة توظيف الأموال.

فى بيتهما تبادلا الاتهامات، ولما هدأ قليلا تبادلا العتاب.. ولما انتهت المواجهة بينهما اقترح الزوج أن يسافرا إلى شاطئ البحر فى أجازة أسبوع ليغسلا همومهما وليبدأ صفحة جديدة فى الحياة.

وافقت الزوجة على الذهاب إلى الشاطئ بعد أن كانت مصرة على الذهاب إلى المأذون.. وهناك تخففا من همومهما كما تخففا من ملابسهما، ولأول مرة فى حياتهما يشعران انهما متقاربان. ويا للعجب بعد شهر من رحلتهما هنأهما الطبيب بالخبر السعيد أنهما سينجبان، وسألهما عن تجربتهما ليستخدمها فى ابحاثه، تبادل الزوجان الابتسام وقال الزوج: إنهما ضيعا أموالهما فى حكاية توظيف الأموال! تعجب الطبيب ولم يفهم ماذا يقصدان!

السيد..

وضع المحامى الكبير سماعة التليفون بعد أن تلقى أمرا من السيد، أن يذهب إليه فى الحال. فى هذا الوقت الذى تكون فيه أشعة الشمس كرابيج مسلطة على رءوس البشر!. لقد وصل المحامى إلى نظرية عندما بلغ قمة النضوج فى عمره الستين، وهى أنه يوجد بعض الناس مثل ملكات النحل، ومعظم الناس مثل ملايين النحل الشغالة يخدمونهم، والسيد من ملكات النحل.

قال المحامى لنفسه ساخرا «قم ياشغالة» فسألته زوجته اين سيذهب فى هذا الوقت، اجابها بنفس السخرية إنه ذاهب إلى السيد.. قالت بامتعاض إن السيد يمتص دماء الذين يعملون معه كان الرجل العجوز يستمد حياته من دمائهم، رد عليها زوجها هكذا ملكات النحل ولم تفهم. فى سيارته تساءل ماذا يريد السيد وطائرته بعد ساعتين؟! ليقوم برحلته السنوية الصيفية إلى قصره فى سويسرا، على قمة جبل هناك بعيد عن

ضجة البشر وتلوث الهواء بأنفاسهم. ويتردد على أعظم أطباء العلاج الطبيعي والصناعي ويعود آخر الصيف كأنه شاب طموح ملىء بالآمال. نظر المحامي في مرآة السيارة وقال في نفسه:

«يكبرني بخمسة عشر عاما وأبدو كأنى والده!».. كان السيد فى العشرين من عمره والمحامى فى الخامسة عندما ذهب السيد ليقيم مع جدته فى العمارة التى كان يسكنها أهل المحامى، وقد كان الطفل يسمع من والديه والجيران كلمات عطف على السيد، الولد المسكين الذى تركه والداه بعد طلاقهما، وحيدا فى الدنيا مع جدته. سنوات عاشها الطفل ملتصقا بالسيد الذى أحبه. إلى أن تزوج وابتعد عن جدته بكى الطفل لفراق صديقه الكبير، ولم يكن يدرى أنه سيلتصق به طول سنى حياته.

تنهد المحامى وهو يتذكر تلك السنوات البعيدة. الولد المسكين لم يعد مسكينا، فقد خدمته الدنيا بكل خدامها. توفى والده تاجر الأخشاب تاركا له تجارته، فحول جزءا منها إلى مصنع للأثاث، وتزوجت أمه من سياسى كبير فى عهد الملكية، وأنشأت جمعية خيرية ضمت إليها نساء المجتمع الراقى، وسرعان ما انفتحت له أبواب التجارة والصناعة والبيوت العريقة وأصبح نجما فى المجتمع. عندما صدرت قرارات التأميم، لم ينهر مثل بقية أصحاب المصانع الخاصة الذين وقعت عليهم تلك الصاعقة، بل استقبل تأميم مصنعه مرحبا. وانضم للثوار معلنا ولاءه فتركوه يدير مصنعه، عندما وجدوه محبوبا من العاملين، وبحيويته وتحديه قفز بإنتاج مصنعه ضعف ما كان ينتجه. لم يره يوما يائسا، وانضم للعمل السياسى مرشحا عن الدائرة التى بها مصنعه، وفى الانتخابات يكسب دائما، من مجلس الأمة إلى مجلس الشعب، مرحبا

بكل نظام وصديق لكل وزير حتى الذين غضبوا عليه فى أول الثورة أصبح صديقا لهم. وقد عاد إليه مصنعه وأمواله من تحت الحراسة.

فى صفحات الجرائد تظهر صورته فى المناظرات والتحقيقات السياسية، وفى صفحات المجتمع رجل البر والتقوى الذى يتبرع بأمواله للجمعيات الخيرية، ويقدم جوائز مالية لفريق كرة القدم الذى يشجعه. ولولا بعض الحياء لانشأ ملهى ليلى باسمه. فمن ضمن صديقاته راقصات وعندما أحرق الثائرون البسطاء «كباريه» إحداهن ساهم فى إعادة بنائه بدون أن يذكر اسمه للمجتمع سنين طويلة عاشها المحامى مع السيد يحبه ويكرهه يتأرجح بين هاتين العاطفتين. لقد تدرب فى مكتب محامى كبير للسيد، وبعد ذلك أصبح مسئولا عن شئونه القانونية. وكم من الألاعيب لعبها مع السيد فى هذه الشئون. داهمته كراهية للسيد.. وجده ينتظره فى حجرة مكتبه، ناوله شيكا باسمه

نظر المحامى إلى الأرقام الكبيرة متسائلا، فقال له السيد إن هذا المبلغ مكافأة له على إخلاصه وعمله معه. فسأله إذا كان يريد الاستغناء عنه لأنه تجاوز الستين؟!. قال له السيد إنه بعد أن وصل إلى الثمانين من عمره وجد أن نهايته قريبة. ولايضمن للمحامى أن يستعين به ابنه الذى سيدير المصنع من بعده، فالشباب يريدون العمل مع الشباب مثلهم. قال له السيد إنه بدأ يشعر بآلام تهاجمه. وهو لايريد أن يعيش عليلا، فقد ظل خمسين عاما فى القمة وعلى قدميه لذلك قرر أن يموت فى أجمل مكان فى العالم. فى قصره السويسرى. انطلقت الكلمات من بين شفتى المحامى تدعو للسيد بالصحة وطول البقاء ثم انتبه إلى كلامه وقال له مغتاظاً إن كل شىء يمكن أن يحصل عليه بقرار إلا

الموت.. ابتسم السيد لمحاميه قائلا.. وهذا أيضا. ثم احتضنه ووصاه بنفسه. شعر المحامى بعاطفة الحب وخرج والدموع فى عينيه، ثم فكر وهو فى سيارته فى كلمات السيد وقال فى نفسه.. «سيعود أكثر حيوية من رحلته، وما كانت هذه التمثيلية التى قام بها إلا ليستغلى على» ..

وشعر بالكراهية للسيد.

مع كل هذا الحب..!

كان حديث الناس فى هذا الجزء من شاطئ العجمى عن هذين الزوجين اللذين ظهرا معا بعد فضيحة الشهر الماضى، الزوجة متأبطة ذراع زوجها ضاحكة بوجهها الوردى، والزوج يتهادى بجوارها كأنهما عروسان فى شهر العسل. كان تعليق المقربين إليهما أنهما هكذا منذ خمسة وعشرين عاماً، يتشاجران ويصلان إلى حد الطلاق، ثم يعودان كأن شيئاً لم يحدث بينهما ، أما تعليق الذين لايعرفونهما فكان علامات استفهام وتعجب. لقد بدأت قصة حبهما وهما طالبان فى كلية التجارة وظن زملاؤهما أن المنافسة بينهما نوع من الحب ليظهر كل منهما براعته للآخر. من الذى يحصل على تقديرات أحسن من الآخر فى الدراسة . لم يعتقد أحد أن هذه المنافسة ستلازمهما طوال حياتهما ليست منافسة فقط «عنادا أيضاً» . لم يدر أحد سر هذا العناد فى تصرفاتهما تجاه بعضهما، قالوا تفسيرات كثيرة، ربما اقربها إلى الحقيقة إنهما ولدا

تحت برج واحد ومن صفات مواليد هذا البرج حبهم للسيطرة وميلهم إلى لفت الأنظار إليهم . فى السنوات الأولى لحبهما، وهما فى السنة الثالثة، أراد أن يظهر قوته عليها بعد خلاف بينهما، فاهتم بطالبة فى السنة الأولى، ولتثبت له الندية تقربت من زميل لهما كان معجبا بها، وقد انتهز تلك الفرصة وتقدم لأهلها. وبالرغم من أنها كانت غارقة فى الحب مع آخر إلا أن عنادها جعلها تحدد يوم الخطوبة، ولما علم الحبيب ذهب إلى بيتها واقتحم الحفل، وقبل أن يضع الخطيب خاتم الخطوبة فى إصبع حبيبته انقض عليه صارخاً إن أحداً لن يتزوجها سواه، وحاول أهلها إبعاده، لكنها تصدت لهم، ولم تتم خطوبتها لزميلها، وفيما بعد تزوجت حبيبها، وأجر لها والدها شقة باسمها لأن زوجها وقتها لم يستطع ذلك. توالت بين الزوجين المنافسة ومحاولة سيطرة كل منهما على الآخر والندية المعاندة فى تصرفاتهما. عملت هى فى بنك كبير، وعمل فى شركة بترول. من منهما يأخذ حوافز مادية أكثر من الاخر!

سعى الزوج للعمل فى شركة بترول عربية، وكان شرطه لسفرها معه ألا تعمل خصوصا أنها كانت «حامل»، وافقت على مضض واخذت أجازة من عملها لكن مشاجراتهما عادت بعد أن وضعت طفلتهما وقررت أن تعمل هناك فى بنك وبمرتب ضعف مرتب زوجها، وليثبت الزوج سيطرته عليها، لم يجدد عقد عمله بعد عامين لأنها لاتستطيع البقاء هناك بدون رجل. ولتنافس الزوجة زوجها عندما عادا إلى القاهرة عملت فى بنك أجنبى بمرتب مقارب لما كانت تأخذه فى الخارج. وليثبت الزوج لزوجته أنه يستطيع الاستغناء عنها اشترى شقة باسمه

ولتثبت الزوجة لزوجها أنها ند له اشترت سيارة لتكون مستقلة عن سيارته.

والبنت تكبر فى هذا الجو المشحون بالمنافسة والعناد المرضى والمشاجرات التى كانت تصل احياناً إلى اقسام البوليس فضائح كثيرة حدثت بينهما، وكان المقربون إليهما وجيرانهما فى هذا الجزء من الشاطئ يعتقدون أن العالم سيرتاح من ضجيجهما بعد فضيحة الشهر الماضى.. لقد أخذ الزوج اجازته بدون أن يتفق مع زوجته على اجازتها وسافر إلى بيتهما على الشاطئ، وعلمت بعد سفره من مخبر مجهول أنه اصطحب معه امرأة وحتى تتأكد بنفسها سافرت بسيارتها عصر ذلك اليوم. وجدت ملابس نسائية منشورة فى بيتها وتأكدت فذهبت لأصدقاء لهما ليصحبوها ويشهدوا على الخيانة. كان الزوج فى الحمام يغنى، فزعقت على هذا الندل أن يكف عن الغناء ويخرج. ووجدت المرأة فى المطبخ فسحبتها من شعرها، وشاهد الزوج هذا المنظر، وصلت شتائمها إلى الجيران وصرخ الزوج قائلا أن تكف عن السباب فهو ليس قوادا والمرأة ليست مومسا فهى زوجته. لم تصدقه فاحضر عقد زواجه الجديد انهارت باكية.

ثم أمرته أن ياخذ المرأة ويخرج من البيت الذى وضعت فى بنائه أموالها. قال الزوج إنه ايضاً شارك بأمواله فله نصف الفيلا أصرت الزوجة على خروجهما وإلا استدعت البوليس، ولأن لها حوادث سابقة فى هذا الإستدعاء، فقد جمع الزوج ملابسه مع زوجته الجديدة وخرجا، قال لها إنه سيعود إلى شقته فى القاهرة وستجد ورقة طلاقها فى انتظارها. وقد عادت الزوجة أيضاً بعد أن أغلقت الفيلا بقفل كبير.

وأعتقد المصيفون أن الزوجين لن يعودا إلى بيتهما، لذلك كانت دهشتهم عندما ظهر امعا كعروسين! وعلموا أن الزوج بدلا من أن يطلق زوجته الأولى طلق زوجته الثانية. وقد قال لأصدقائه إنه عندما شاهد زوجته الأولى وهى تسحب زوجته الثانية من شعرها تذكر اليوم الذى انقض فيه على الشاب الذى كان سيخطبها. وتذكر غيرته وحبه لها، وشعر بغيرتها وحبها له وهى تقوم بنفس الفعل بعد خمسة وعشرون عاماً، وكاد أن ينهار عندما شاهد انهيارها بعد معرفتها بزواجه. لذلك طلق الزوجة الثانية..

مقابلة!

لم تكن السيدة «س» فى حاجة إلى علامة فى ملابس أو شكل السيدة «أ» لتتعرف عليها فى مقهى الفندق حيث طلبت مقابلتها. كما لم تحتج السيدة «أ» إلى علامة مشابهة لتتعرف عليها، فقد تعارفا عن بعد فى فترة من حياتهما، وتجسستا على بعضهما فى تلك الفترة، فكل منهما تعرف الأخرى جيداً لأنها كانت «ضرتها».

بعد أن سلمت السيدة «أ» على السيدة «س» قالت الأخيرة مباشرة: «هل علمت بما حدث لزوجنا السابق؟!». قالت السيدة «أ»: علمت الحكاية بكل تفاصيلها المؤلمة». قالت «س»:

«خدعنى وخدعك فى وقت واحد والآن هو يعانى من الخديعة بعد أن طردته الزوجة الثالثة شر طردة» قالت «أ»: «هذا إذا شعر حقيقة بما حدث له، أنت تعلمين إنه لايحب أن يكدر نفسه» قالت «س»: «عندما تزوجته لم اعرف أنه متزوج، علمت بمراقبته وأسئلتى».. صمتت قليلا

ثم سألت: «لم تنجبى؟!» قالت « أ »: «بالرغم من تعلقى به إلا إنى خفت من الإنجاب لشعور داخلى غريب إنه سيتركنى، والطفل لن يربط رجلاً بامرأة إذا كان فى رأسه شيء، وحدث فعلا بارتباطه بك الذى انكره تماما.. عندما علمت بزواجه منك نصحنى الأصدقاء أن انتظر قبل أن اتخذ موقفاً، قالوا إنها نزوة، لكن بعد معرفتى بعلاقته بهذه المرأة أيضا ايقنت أن نزواته لن تنتهى فطلبت الطلاق ووافق مباشرة». قالت « س»: «عندما علمت إنه متزوج لم أطلب منه أن يطلقك ويبقى لى وحدى، كنت أشعر بتعلقه بك، لم ينكرك من حياته وكان يحترمك، لكن عندما علمت بعلاقته بهذه المرأة ثرت فطردنى شر طردة، تألمت لأنى كنت أحبه.. لا أدرى لماذا تعلقنا به؟!» قالت « أ »: ساحر جذاب يجيد فنون الحب التى تتعلق بها المرأة، وفوق كل هذا غنى يصرف بسخاء على ما يهوى.. هل لازالت متعلقة به؟» قالت «س »: كان أول رجل فى حياتى، وكنت أتمنى أن أنجب منه طفلا». سألت « أ »: «هل تنوين العودة إليه؟». قالت «س »: هذا السؤال كنت اريد أن أسأله لك ». قالت «أ »: «لا أشعر تجاهه بأى شيء الآن. لا حب ولاكراهية ولاحتى شفقة.. هل اتصل بك؟»

سألت « س » وهل اتصل بك أنت؟ «قالت «أ »: «إنه لايجرؤ ». قالت « س »: «لم يتصل بى» سألت « أ »: «وهل تودين الاتصال به قالت «س»: «ربما للتشفى، لكنى لم أفعل» قالت « أ » ضاحكة: «هل تذكرين عندما طلبتنى فى عملى وسألتنى أن نذهب إلى هذه المرأة قبل أن يتزوجها لنفضحه».. قالت «س»: «الحمد لله إننا لم نفعل، لم اقتنع

بكلامك وقتها إنها ربما تنتقم لنا، فلنتركه لها. وهذا ما حدث. كانت لك نظرة ثاقبة».

قالت « أ » لأنى أكبر منك ولى بعض الخبرة بانتقام القدر، أعترف لك بشئ لم يلتئم جرحى بعد طلاقى منه إلا أخيراً عندما انتقم منه القدر» سألت « س »: « هل دعوت عليه؟». ابتسمت « أ » وقالت: «لا أنكر». قالت « س »: «أنا أيضا دعوت عليه عندما طردنى وأرسل لى ورقة الطلاق، لقد انصبت دعواتنا عليه إلى أن اصابته بالإهانة كما أهاننا، لاحقته دعواتنا عليه مثل الصاروخ المضاد للطائرات يتبع الطائرة مهما فرت منه إلى أن يدمرها».

قالت « أ »ضاحكة: «قبل أن يتزوج تلك المرأة علمت بزواجه من اثنتين فقالت له إنها تريده نظيفا.. هذه القذرة».. سألت «س »: هل حقيقة هى مومس مشهور بعلاقاتها؟!» قالت « أ »: «هكذا قالوا عنها» صمتت قليلاً ثم سألتها : «لماذا أردت مقابلتى »؟! قالت « س » «لنتبادل هذا الحوار». قالت « أ »: «اطمئنى ، لقد انتهى تماما من حياتى وسأتزوج قريبا من زميل لى فى عملى، واتمنى أن تتزوجى أنت ايضا». قالت « س »: لنتزوج أحسن الرجال لنغيظه» قالت « أ » « مازال فى رأسك».. قالت «س»: «لقد شغل فترة هامة فى حياتى وحياتك أيضا.. هل يمكن أن نتقابل دائما لنحكى عن اخبارنا ».

انتهت المقابلة. وقررت « أ » ألا تقابل «س » بعد ذلك لأنها تذكرها بذلك التاريخ السخيف فى حياتها.

أعراض آخر الصيف

نظر الرجل إلى النساء وهن يطعمن أطفالهن بقطع الحلوى، نظر إلى الأجانب من النساء والرجال وهم فى ملابس البحر مستلقون على مقاعد الشاطىء والرمال يغيرون لون بشرتهم بأشعة الشمس، ويشربون زجاجات المياه الغازية الباردة، نظر إلى الشباب من الجنسين وهم يلعبون الكرة الطائرة ويهللون بمرح، مسحت نظراته الشاطىء الجميل الهادىء فى هذه المنطقة من البحر الاحمر، امتد بصره إلى المياه الصافية الزرقاء وهز رأسه حزنا وأسفا، متخيلا ما يحدث على الجانب الاخر من البحر، آلاف البشر الهاربون التائهون فى الصحارى البعيدة، المتلهفون للوصول إلى أحد خليجى هذا البحر، إلى شاطىء الأمان، الجائعون. العطشى، المحترقة جلودهم بدون استمتاع باشعة الشمس أو الرغبة المجنونة فى تغيير لون بشرتهم، والأمهات اللاتى لايجدن شيئا

يطعمن به اطفالهن، ولاقطرة ماء. مرت هذه الخواطر الحزينة وغيرها بذهنه.

لاحظت زوجته شروده المأساوى، وأدركت حالته، فبعد عشرين عاما من الحياة معه ومن ثقافتها المتنوعة فهمت أن زوجها من هؤلاء الذين يصيبهم الاكتئاب والأفكار المحبطة فى آخر الصيف، وبدون أن تسأله فى ماذا يفكر، قالت له: «يا زوجى جئنا لنقضى عدة أيام قبل انتهاء الصيف وذهاب الأولاد للمدارس، جئنا فى أجازة لننسى همومنا ونستعيد حيويتنا لنستطيع أن نواصل حياتنا وعملنا، فارجوك أن تتغلب على افكارك المحبطة لعدة أيام فقط.

ابتسم الرجل وربت على كتف زوجته، معتذر لها عن تأخره فى القيام باجازته السنوية إلى آخر الصيف، مقدرا لها تضحيتها بتأخير أجازتها من عملها ورفضها تركه وحده لتسافر مع أولادهما فى الشهور الأولى من الصيف إلى الاسكندرية حيث مصيف أهلها . قالت له إنها وجدت تأخير أجازته فرصة هذا العام لقضاء آخر الصيف فى مكان مبهج وجديد، حتى يتغلب على اكتئابه فى مثل هذا الوقت. قال بسخرية مداعبة إنها تحاول أن تطبق نظريات عامة عليه. وإذاكانت خلال سنوات حياتها معه لاحظت تغيره فى هذا الوقت من العام، فهذا بمحض الصدفة وليس تبعاً لنظريات علمية أونفسية تقرؤها.

هزت رأسها غير مصدقة، فهو فى حالة اكتئاب لاتدرى سببها، من ناحيتها فهى حبيبته التى تتوافق معه، ومن ناحية الأبناء فهم مطيعون ناجحون فى دراساتهم. ومن ناحية عمله فقد انجز المسئوليات التى

اسندت إليه نيابة عن رئيسه الذى كان فى الخارج فى الشهور الماضية. وقد نال مكافأة مالية على ما انجزه. فلماذا الاكتئاب؟!.. سألته.. طلب منهـا أن تنظر إلى الناس المرتاحين المســرورين على الشـاطىء المستمتعين بأجازتهم مثلهما، وأن تتخيل الناس الملتاعين الهاربين فى الصحراء من الغزو العراقى للكويت. قال لها عما دار فى ذهنه من لحظات فقالت إنها، تأثرت من الأحداث المزعجة كما تأثر العالم كله: لكننا جئنا إلى هذا الشاطئ الجميل لنختلس عدة أيام أمان من هذا العالم المضطرب، . حاولت أن تبعد أفكاره عن بحار بعيدة ملغمة بتهديدات الحرب إلى البحر الهادىء أمامهما، حاولت أن تصرف خياله عن ناس معذبين إلى ناس مستمتعين بالأمان حولهم، مرت طائرة حربية سريعة فوق رءوسهم فقال الزوج متشائما إن الحرب واقعة لامحالة!

كانت حالات الاكتئاب التى تصيب الزوج فى آخر الصيف تستطيع زوجته أن تخرجه منها، فاحيانا كان يتذكر شيئا مضايقا فى الماضى أو يخاف شيئا مجهولا فى المستقبل، أما حالته المتشائمة من الحاضر فلا تدرى كيف تخرجه منها، دعته إلى السباحة فقام متكاسلا معها، تركها تسبح ووقف يراقب الأسماك السابحة. تحدثت الزوجة مع أجنبية تسبح بجوارها، قالت لها الأجنبية إنها ومجموعتها سعداء بالأمان والمناظر الساحرة فى هذه المنطقة. وعندما قالت الزوجة لزوجها عن تعليق الأجنبية، هز رأسه قائلا إن الاحداث تقع سريعا مثل كوارث الطبيعة على البشر، وما يدريها ماذا يمكن أن يحدث فى هذه المنطقة الآمنة غدا!!

لم تستطع الزوجة التغلب على افكار محبطة ومخيفة دارت فى رأسها، واكتشفت إنها لأول مرة فى حياتها مع زوجها تصيبها العدوى من الأعراض التى تصيبه، فى المساء ذهب معها زوجها متضرراً إلى الحفل الراقص الذى يقيمه الفندق، وجدت ولديها الصبيين يرقصان مع بنتين فى مثل عمرهما، ولم تجد ابنها الكبير، لم تنشغل على اختفائه، لكن عندما ظهر وجلس بجوارها مكدرا انشغلت عليه وسالته ما به؟!.. قال لها إنه كان يشاهد فى التليفزيون حكايات العائدين من الكويت. تمتمت بكلمات عن القدر، فترك الحديث عن العائدين وتحدث بتشاؤم عن مستقبله فى هذا العالم المضطرب.

اهتزت أمه من أعماقها، ليتاثر ابنها بالحاضر، هذا شعور حسن، لكن أن تصيبه العدوى بأعراض نهاية الصيف التشاؤمية فهذا لن تسمح به. قامت وسحبته إلى حلبة الرقص، سألها بدهشة هل سترقص معه هذه الرقصة الشبابية المجنونة؟! وهل تعرف كيف؟.

قالت: «الكبار والصغار يرقصونها. انظر لهم وافعل مثلهم». ورقصت، اندفع ابنها معها ضاحكا. زاد عدد الراقصين. كما لو كانوا فى حفلة زار يبعدون عنهم عفاريت التشاؤم والقلق، انتبهت فجاة إلى زوجها فوجدته يصفق لهم على دقات النغم مبتسما.

وجاء الخريف بالغضب!

طوال شهور الصيف، والمرأة تحلم وترتفع أمانيها مع كل طوبة يرتفع بها بناء بيتها الصغير الذى يشرف عليه المهندس الشاب، فوق قطعة أرض زراعية على أطراف القاهرة، اختارتها فى الشتاء، واختارت المهندس فى الربيع، واختارت أحلامها فى أول الصيف لتحققها قبل انتهائه، وبعد انتهاء بناء البيت ولكن ظروف العمالة ومعدات البناء عطلت تحقيق أحلامها التى كانت مقررة تنفيذها فى يوليه. مع حرارة شهر أغسطس صحبت المهندس إلى الاسكندرية بحجة استشارته فى اختيار أثاث للبيت من هناك. بجوار البحر فى ليلة صيفية ناعمة، حكت له المرأة عن قصة حياتها المأسوية فهى أمهاه إنجليزية وأبوها سودانى، تزوجا أثناء الحرب العالمية الثانية فى لندن، وأنجباها فى مصر حيث قرر والدها الاستقرار والعمل لأن أمها لم تتحمل الحياة فى السودان، وهى فى سن العاشرة ترك لهما والدها

بعض المال وسافر إلى السودان ولم يعد. لجأت أمها للسفارة الإنجليزية للبحث عنه بلا فائدة، ولم ترد الرحيل إلى بلدها على أمل أنه سيعود إليها، وعملت فى مهن مختلفة لتربى ابنتها، تزوجت البنت فى سن العشرين من مدرس لغة إنجليزية مصرى لتريح أمها من العمل ولتجد من يعولها، وكانت قد أكملت دارستها الثانوية، بعد زواجها سافرت مع زوجها إلى الكويت ليعمل فى التدريس وعملت سكرتيرة فى بنك، عاشت فى الكويت عشرين عاماً، توفت أمها، وأنجبت ولدين، عندما عادوا إلى مصر قرر زوجها بمدخراته إنشاء مدرسة لتعليم اللغات، أما هى فقد احتفظت بنقودها إلى أن اشترت قطعة الأرض الزراعية، فهى تحب الريف وتريد أن تبدأ حياتها الجديدة فى هذا البيت الذى يبنيه لها.

تأثر المهندس من حكايتها، وفهم سر عينيها الزرقاوين ووجهها الأسمر. وتساءل فى ذلك اليوم عن الحياة الجديدة التى تريد أن تبدأها المرأة، لكنه لم يسألها، وقد فهم خطأ تقربها إليه، وفهم أنها اعتبرته صديقاً مقرباً تشكو له، وتعاطف معها لأنها دائماً وحدها تشرف على البناء، واعتبرها صديقة مقربة فحكى لها عن حياته وكفاحه وتأخره فى الزواج إلى أن يكوّن نفسه مادياً ولم يلاحظ عصبيتها فى ذلك اليوم الذى أخبرها فيه إنه قرر الزواج من شقيقة صديق له، وطلبها من أهلها ووافقوا عليه. ولم تتنازل المرأة عن أحلامها.

لأن شهور الصيف قليلة، ومعظم الناس يؤجلون نزهاتهم ومسراتهم وتحقيق أحلامهم إلى أن يأتى الصيف، ولأن الظروف تحول أحياناً دون

تحقيق هذه الرغبات، فمع أول بادرة فى تغيير الجو وانحسار الضوء يحدث شيئاً فى عقول الناس، فالخريف وصل ولم يحققوا أمانيهم.. فالبعض يصيبهم الإحباط والبعض يصيبهم الغضب..

مع الاقتراب من نهاية سبتمبر، سلم المهندس للمرأة بيتها الصغير، وقبل أن يودعها دعته إلى حفل الافتتاح بعد يومين.

ذهب إليها فى الموعد، وكأن المرأة استعانت بجن سليمان فى وضع الأثاث، وشراء الأشياء الناقصة. هكذا فكر المهندس عندما طاف بحجرات البيت، لم يجد أحداً سواه، فاعتذر للمرأة لذهابه مبكراً، فقالت له: إنه ضيفها الوحيد.

ارتبك المهندس وخاف من نظرة عينيها الزرقاوين، مضطرباً شكرها على هذا الكرم مشيراً إلى مائدة الطعام..

إقتربت منه فابتعد، تضايقت لحظة ثم أفصحت له عن أمنياتها من أول الصيف، منذ بدأ يعمل فى البناء، وجدت أنه الرجل اللذى تمنته طول حياتها فأحبته، وشعرت بحبه لها من تعاطفه ومعاملته لها فقررت طلب الطلاق لتتزوجه، وليعيشا معاً فى هذا البيت الجميل.

فوجىء المهندس وحتى لا يصدمها بالرفض، قال إن امرأة مثلها لا يمكن أن يتركها زوجها ولا يستغنيى عنها ولداها الشابان.

قالت له: إنها حدثته من قبل عن عدم توافقها مع زووجها، وهو لن يرفض لها طلباً وإن كان الطلاق! وولداها يعتمدان على أنفسهما.

لم يرد المهنس أن يجرحها بالإعتراف بحبه لخطيبته فقال لها عن كلمة الشرف اللتى ارتبط بها مع خطيبته وأهلها.

لم تتعود المرأة أن يُرفض لها طلباً، وكل ما تريده تحصل عليه، جاءته من طريق آخر. بأنها لن تكلفه شيئاً بالحياة معها، حتى وإن كانت بدون زواج!

شعر المهندس بضغطها عليه فرفض عروضها واعترف بحبه لخطيبته. وبدلاً من أن تقول له المرأة إنه بدد أحلامها قالت له إنه بدد أموالها وسرقها فى عمليات الشراء.

قال لها إن الفواتير معها لتراجعها مع مصادرها.

ضحكت بعصبية قائلة: إنها لا تملك شيئاً.

قام المهندس متجهاً إلى الباب، فقامت المرأة مهتاجة تقذف بأطباق الطعام على الأرض وعليه، جرى خارجاً إلى الظلام، والمرأة تصرخ خلفه إنها ستقاضيه.

قاد سيارته فى طريق شبه مظلم يعرفه جيداً، لتقاضيه المرأة، فقد احتفظ بنسخ من الفواتير، أصحاب المصانع موجودون.

فتح النافذة بجواره، ورطبت وجهه نسمة خريف باردة هز رأسه متعجباً ماذا حدث فى عقل هذه المرأة؟!

قطعة جاتوه

كانت ساعات عمل الطبيبة على وشك الانتهاء عندما طلبها رجل الاستعلامات فى المستشفى يخبرها أن أمامه إمرأة تقول إنها قريبتها وتريد مقابلتها واسمها آمال. ثم همس.. إنها لاتبدو قريبتها خطفت المرأة سماعة التليفون من يد الرجل وصرخت: «أنا ميمى ياسمية.. ميمى الشاكر» قالت لها الطبيبة بدون ترحيب أن تصعد إليها. حاولت أن تتذكر قريبتها المتعجرفة هذه التى لم تقابلها منذ حوالى عشرين عاما وكان لقاؤهما فى مناسبة عزاء، وفهمت لماذا شك الرجل فى صلة القرابة بينهما وجدت أمامها امراة معروقة. طويلة. نحيلة. واسعة الفم.. حمراء من الطلاء الذى تضعه على وجهها وكان يتساقط من العرق كما يتساقط الطلاء من منزل قديم بنظرتها الأولى ايقنت الطبيبة أن قريبتها مدمنة. فلا يمكن أن تتنازل وتحضر إليها إلا إذا كانت محتاجة فعلا لها. لقد شاهدت الطبيبة نساء كثيرات جدن بهذه الصورة المشوهة لجمال كان فى زمن قبل إدمانهن للمخدرات.

قالت لها ميمى إنها ستدخل فى موضوع زيارتها مباشرة. فقد شاهدت صورتها فى جريدة وقرأت حديثها عن الادمان ومجهوداتها فى هذا المستشفى التى خصصت قسما لمعالجة المدمنين. بادرتها الطبيبة: «يبدو إنك مدمنة» قالت بدون خجل: «مدمنة أفيون وجئت اطلب العلاج».

قالت الطبيبة ببرود: «المدمنون يعتقدون أن مكان العلاج هو أضمن مكان لاستمرارهم فى ادمانهم بسبب بعض المجرمين الذين يروجون لبضائعهم فى المستشفيات لكن لابد أن تعرفى أن هنا رقابة صارمة ومكانا للعلاج». أقسمت المرأة إنها تود العلاج. أخرجت الطبيبة من مكتبها أوراقا لتكتب بيانات عن المرأة وقصتها مع الإدمان. بدأت ميمى تحكى حكايتها وهى حكاية سمعتها الطبيبة عشرات المرات من افواه المدمنات. كما لو كانت حكاية واحدة قرأتها وحفظتها. وهى عادة تبدأ بالدلع ثم مجاراة الزوج، ولابد أن يكون لديهن مال يبددنه فى شراء المخدرات. ثم ضياع الأشياء الثمينة من بيوتهن، ثم ضياع أزواجهن. حكاية مبتذلة سمعتها كثيراً كانهن كلهن ضحايا. واضافت ميمى إلى الحكاية إن ما تبقى لها من ميراث والدها. بيت صغير تخاف أن تفقده فهو المورد الوحيد الذى بقى لها بعد طلاقها من زوجها وهجرة ابنها الوحيد إلى أستراليا.

اثناء الاستماع والتدوين تذكرت الطبيبة حادثة فى طفولتها كدرتها قليلا. وتعجبت إنها تظهر واضحة لها الآن.

كانت ميمى من الاقارب البعيدين للطبيبة لكن لتجاور مساكن

العائلتين فى ذلك الوقت كان التزوار بينهما كثيراً. وكانت سمية تلعب مع ميمى لأن الاخيرة كانت تملك عرائس لايستطيع والد سمية شراءها. فكان والد ميمى متيسرا وله طفلان، أما والد سمية فكان موظفا بسيطا وقتها ولديه خمسة أطفال. ذات يوم اثناء لعب الطفلتين فى بيت ميمى جاء والدها من الخارج وفى يده ربطة كان سيضعها فى حجرة المائدة حيث كانتا تلعبان ولما وجد سمية ذهب بربطته إلى حجرة النوم. جرت ميمى إليه وسألته ماذا احضر لها؟

وكان الرجل صوته مرتفعا حتى وهو يهمس وقال لطفلته إن بالربطة جاتوه. «ولما تمشى سمية حناكل الجاتوه». سمعته سمية وغضبت فكانت هذه الحلوى لاتتذوقها إلا نادرا فى دعوات أعياد الميلاد.

كانت تشتاق إلى قطعة جاتوه من تلك الربطة. وانتظرت من صديقتها أن تجبر والدها على تقديم قطعة لها فهو كان مطيعا لأوامرها. لكنها لم تفعل فزاد غضبها ولم تعد تذهب لتلعب معها.

ولم تستطع أن تقول لوالديها عن سبب عدم ذهابها إلى بيت ميمى. تباعدت العائلتان بانتقالهما من ذلك الحى، وكانت سمية تلتقى بميمى أحيانا فى مناسبات عائلية لقاء الغرباء، إلى أن اختفت تماما منذ عشرين عاما. ونسيت الطبيبة طفولتها واقاربها البعيدين فى صراعها مع الحياة لتنال مكانة محترمة فيها. ولم تدر مع مرور السنين أن قطعة جاتوه ستلتصق بالذاكرة، وربما تلك الحادثة المركونة جعلتها تشترى جاتوه بأول مرتب تأخذه من عملها وتقيم حفلة. وجعلتها تحرص على

تقديم الجاتوه لصديقات ابنتيها عندما يحضرون لزيارتهما..

تعجبت الطبيبة أنه بعد مرور سنين طويلة سيأتى إلأ اذنها صوت والد ميمى: «لما تمشى سمية حناكل الجاتوه»كأنها تسمعه الآن!.. قالت الطبيبة للمريضة على شروط الألتحاق بقسم العلاج وعليها أن تحضر بعد يومين بكامل إرادتها وحقيبة ملابسها.. وقبل أن تعود الطبيبة إلى بيتها ذهبت إلى حلوانى كبير واشترت دستة جاتوه.

أيام الرومانسية

بعد أن شاهدا الفيلم الرومانسى وهما جالسان فى شرفة شقتهما الضخمة المطلة على البحر، فى ليل صيفى فى الأسكندرية سألت سيدة الأعمال زوجها رجل الأعمال: «هل يمكن أن يتفرغ اثنان هكذا للحب وممارسته شهوراً طويلة؟!» تنهد الرجل وهو ينظر إلى ظلال أضواء منعكسة على أمواج البحر القريبة من شاطىء، ولم يرد. قالت سيدة الأعمال: «لابد أن يكونا فى عمر الشباب».

قال رجل الأعمال: «هذا الحب الجارف ليس له عمر محدد». قالت: «طاقة الحب هذه تأتى فى عمر الشباب». لم يرد زوجها ونظر إلى البحر. أغلقت زوجته التليفزيون ونظرت هى ايضاً إلى البحر.

سرح الرجل بأفكاره. ذكريات حبيبة خرجت له من البحر تذكر أياماً من الرومانسية بل شهوراً قضاها فى حب جارف وهو فى الخمسين من عمره وهو متزوج. لم يستطع مقاومة ذلك الحب. تذكر

عندما التقى بحبيبته أول مرة فى حفل عشاء، كانت بالنسبة له مصباح ذلك الحفل، لم يهتم بوجود الآخرين حتى زوجته التى كانت منهمكة فى أحاديث مع زوجات رجال الأعمال لعقد صفقات معهن. لم يكن الرجل من هذا النوع الذى يلهو مع الجميلات ويدخل فى مغامرات عاطفية معهن، لكن لم يدر ما الذى جذبه إلى تلك المرأة. أعطاها بطاقته لتتصل به فى مكتبه، واتصلت، ودام الاتصال واللقاء بينهما شهوراً طويلة.

وكان الحب بينهما رومانسياً جارفاً، كان يذهب إليها قبل ذهابه إلى مكتبة فى الصباح ويلتقى بها قبل ذهابه إلى بيته فى المساء، وأحياناً لايستطيع فراقها، فيبقى معها طول اليوم. ومرة سافرا إلى اليونان يومين. كم كانت جميلة ورومانسية رحلة اليونان . كانت شهور من الحب الرومانسى لم يعشها فى حياته من قبل ولا من بعد. عشرة أعوام مضت على تلك الأيام الرومانسية التى عاشها وهو فى الخمسين من عمره. وكما بدأت قصة الحب رومانسية انتهت ايضاً برومانسية عندما أخبرته حبيبته إنها ستعود إلى زوجها فتمنى لها السعادة والتوفيق.. ونسى أو تناسى قصة حبه بأعماله التجارية لكن ذكريات تلك الأيام الرومانسية طفت على السطح مع مشاهدة هذا الفيلم الرومانسى، وفى جلسة هادئة بعيده عن أعماله وارقامه الحسابية بجوار البحر لم يدر الرجل أن زوجته شردت أيضاً بأفكارها وصمتت مع ذكرياتها عندما كانت فى عنفوان شبابها. تذكرت قصة الحب الرومانسية الوحيدة فى حياتها، والأيام والشهور عندما كانت متفرغة لذلك الحب، وانتهت قصة حبها العنيف بقرار من حبيبها عندما جاءته بعثة دراسية فى الخارج

وقال لها: ألا تنتظره لأنه لايعرف متى سيعود وربما لايعود. كانت صدمة قاسية جعلتها تبعد الحب الرومانسى تماماً من حياتها، والتقت بزوجها فى تعارف تقليدى. شاب فى أول طريقة العملى ولديه رأس مال صغير ليبدأ حياته وفتاة خريجة الثانوية الفنية تجيد الطهو والحياكة. كان طريق الأعمال الحرة صعباً فى ذلك الوقت فقررت الزوجة أن تعمل بدراستها وهوايتها فى الحياكة

مع مرور السنين أصبح الزوج من رجال الأعمال وتوسعت الزوجة فى مشغلها حتى أصبحت تديره فقط، أصبحت سيدة أعمال. انجبا خلال السنين ولدين وبنتا، تزوج ولد منهما والبنت، ونسيت سيدة الأعمال أو تناسبتقصة الحب العنيفة فى حياتها لكن ذكريات تلك الأيام الرومانسية طفت على السطح مع مشاهدة هذا الفيلم الرومانسى. لقد شاهدت أفلاما رومانسية كثيرة لم تثر ذكرياتها مثل هذا الفيلم. ربما لأنها أعطت لنفسها راحة حقيقية، وأبعدت على رأسها أرقامها الحسابية، وربما لأنها منذ سنين بعيدة لم تقض أجازة مع زوجها وحدهما بدون شوشرة أفكار من الأبناء ومطالبهم، فالابن الذى لم يتزوج سافر وحده فى رحلة سياحية..

التفت الرجل إلى زوجته وقال: إن البنت ستأتى مع زوجها لقضاء يومين معهما. أفاقت الزوجة من ذكرياتها وسألته.. ماذا؟ .. سألها فى أى شىء كانت شاردة؟.. قالت: لاشىء .. وقامت لتعد طعام العشاء. نظر الرجل إلى البحر وابتسم وهو يسترجع صورة حبيبته. الإنسان لايلتقى بمثل هذا الحب سوى مرة واحدة فى حياته! عادت زوجته بطعام العشاء الخفيف وسألته وهما يأكلان متى ستحضر ابنتهما. قال:

إنه لايعرف وعادا إلى صمتهما. ارتفع صوت الأمواج مع مرور رياح منعشة باردة. لقد جلبت الأمواج الذكريات المنسية من قاع البحر وقذفتها على الرمال انسحبت لتأخذها معها مرة أخرى وتترك بعضها على الشط.

يوم الحرية..!

«اليوم فتحت عينيا.. على صوت ينادى علىّ .. الدينا بقت حرية.. حرية.. حرية»..

هكذا كان يغنى الرجل فى الصباح بصوت مرتفع وهو يحلق ذقنه.. منذ منتصف ليلة الأمس ولحن هذه الكلمات يزن فى رأسه.

من زمن بعيد لم يغن هكذا.. ربما منذ بدايات ثورة يوليه حيث كانت هذه الأغنية. خمسة وعشرون عاماً منذ تزوج، لم يأت فى رأسه لحناً ليغنيه فى الصباح.

انشغل بترتيب حياته وكسب قوته لأسرته الصغيرة المكونة من زوجة وبنت وولد. سنوات وهو ملتصق بأسرته، يعمل اعمالاً إضافية ليصرف على المدارس والمدرسين ويقلق فى انتظار النتائج.

لم يلحق أن يستريح بعد أن تخرجت ابنته فى الجامعة. فقد تقدم زميلها ليخطبها، وكان عليه أن يجهزها . ثم سافرت البنت مع زوجها ليعمل فى إحدى البلاد العربية، وقد ارسلت تخبرهم إنها ستضع مولودهما الأول. وتطلب من أمها أن تسافر إليها. فهى لاتريد الحضور إلى بلدها بدون زوجها الذى ليس له أجازة بعد.

وأرسلت لأمها تذكرة السفر حتى لاتردد.

فرح الرجل بهذه الحرية التى سينعم بها بعد خمسة وعشرين عاماً، وهكذا بدأ لحن الحرية يزن فى رأسه منذ ليلة الأمس بعد أن ودع زوجته فى المطار. «حرية .. حرية» . .

رقص الرجل أمام المرآة وهو يرتدى ملابسه.. طول عمره الذى تجاوز الخمسين ورأسه منكب على أوراق الحسابات إلى أن وصل إلى مدير إدارة الحسابات فى الشركة التى يعمل بها. وعندما رفع رأسه وجد أمامه حسناء موظفة جديدة فى إدارته .. إنها ليست فى عمر ابنته. أكبر كثيراً.. وليست فى عمر زوجته. أصغر كثيراً.

لم تعمل من قبل. كانت متفرغة لزواجها الذى فشل وبواسطة كبيرة استطاعت العمل فى هذه الشركة ولدراستها ألحقوها بإدارته. شعر الرجل بانتعاش عندما شاهدها أمامه، وداعب عطرها أحاسيس انفه كما لو كان يسير فى صحراء قاحلة وفجاة وجد واحة ظليلة يفوح من اشجارها عطر الياسمين.

انتعشت أحلامه وانتعش خياله فكل ما كان أمامه من التزامات الواقع جعله يفقد القدرة على الحلم والتخيل.

الإنسان يفقد أهم شيء فى حياته عندما يفقد القدرة على الحلم والتخيل. وهو من هؤلاء الناس الذين تتحرك أحلامهم ويشتعل خيالهم عندما تتحرك عواطفهم وبالذات عاطفة الحب. عندما قررت زوجته السفر انتعش تخيله إنه سيقضى اياماً جميلة مع هذه الحسناء التى خفق قلبه لها وتذكر أياماً بعيدة عندما كان يجرب هذه العاطفة. وكانت لمحات بينهما فهم كل منهما أنه معجب بالآخر. أشار فى حديث معها أن زوجته ستسافر واشارت له أنه لن يشعر بوحدة!. وكان أول موعد بينهما فى اليوم التالى لسفر زوجته. ليمضيا اليوم خارج العاصمة مع الطبيعة! حرية .. حرية.. لقد رتب لابنه إجازة مع عمته فى الإسكندرية وسافر قبل سفر أمه. لن يسأله أحد أين سيذهب ولماذا تأخر.. حرية.. حرية..

أغلق الرجل باب شقته ولم ينتظر المصعد. نزل راقصاً على السلم وهو يدندن باللحن . وفى سرعته وفرحته نسى موقع الدرجة المكسورة، زلت قدمه، تزحلق، عدة درجات وبجسمه الثقيل وقع على قدمه..

بصعوبة قام، قاد سيارته وبدأ يشعر بالألم .. فى مكتبه ضايقه الحزاء فخلعه وفوجئ بالورم فى قدمه. طلب طبيب الشركة الذى أمره أن يسرع إلى المستشفى.

تكدر الرجل وأخبر الحسناء بما حدث فقالت إنها ستطلبه فى بيته لتطمئن عليه.

عاد الرجل إلى بيته واربطة الجبس تحيط بقدمه وساقه.. تناول طعامه بارداً. وجلس على كنبه فى حجرة المعيشة، مد ساقه على

مقعد. فتح التليفزيون بجهاز التشغيل عن بعد، هذا الجهاز الصغير الذى غضب من زوجته يوم اشترته مع التليفزيون لأنها تدفع نقوداً زيادة فى شىء لامعنى له. ها هو يستخدمه. كان لزوجته بعد نظر..!

قام منزعجاً من نومه، فقد كان إرسال التليفزيون انتهى، والتليفون صامت. ولحن الصباح انسحب من رأسه وصدى خافت.. حرية.. حرية!!

الرجل الذي يتزوج كثيرًا!

فى جلسة نسائية فى ناد رياضى قدمته لها صديقة. رجل يقترب من السبعين ولحرصه على الرياضة لايبدو عليه عمره الحقيقى. مطلق ويبحث عن زوجة. امرأة مطلقة أو أرملة ليس لديها ابناء ولديها شقة. اجتماعية وذات مظهر جذاب، وكل ما يطلبه الرجل فى صديقتها. فكرت المرأة وقالت إنها لابد أن تعرف الرجل، فقالت لها صديقتها منافقة إنها بعمرها وتجاربها فى الحياة تستطيع أن تعرف الرجل من أول جلسة. وهكذا قابلته المرأة بفكرة مغرورة أنها تستطيع أن تعرفه من أول جلسة. ابدى الرجل إعجابه بالمرأة وأنها التى كان يبحث عنها طول عمره وحتى تصدق أنه جاد فى طلبه سيقدم لها مهراً عشرة آلاف جنيه دار رأس المراة غروراً وانبهارا فهى قد تزوجت مرتين من قبل ولم يدفع لها زوجاها ربع هذا المبلغ، ولأنها امرأة عاملة فكانا

يستغلان دخلها فى الجهاز ومصاريف البيت. لم توفق الزيجتين ولم تنجب واقتنعت أن بالرجال خسة ونذالة فقررت ألاتتزوج. وهكذا عاشت سنين طويلة بلا زواج وتكيفت مع حياتها. فهى ملكة فى مملكتها الصغيرة، تقضى معظم وقتها فى عملها. فى وقت فراغها تخرج للزيارات والنزهات وفى إجازاتها تسافر فى رحلات جماعية إلى الخارج أو الداخل. ولم تشعر بهذه الوحدة التى تطارد هؤلاء الذين يعيشون وحدهم. فما الذى جعلها تقبل بسرعة الزواج من هذا الرجل؟

ربما العرض السخى الذى قدمه، وربما لهمسه من صديقتها أزعجتها، إن السنين تجرى وستخرج إلى المعاش وتجد حياتها فارغة ولابد أن تجد «ونيساً» وربما أيضاً لفكرة مغرورة أن الرجل أحبها من أول نظرة وفهمته من أول جلسة. وزينت لها أحلامها حياة مريحة بعد طول عناء!

وهكذا تمت الزيجة فى ظرف أسبوع وترك الرجل بيته وابنه وذهب ليعيش معها..

فى ليلة الزفاف سهرا فى أغلى الملاهى الليلية ولعبت الخمر برأس الرجل فهمس فى اذنها بعبارات الغزل المفضوح وناداها باسم امرأة أخرى فامتعضت وتضايقت، صححت له الاسم واعتذر.. لكنه فى فراشها ناداها باسم المرأة الأخرى. وهكذا فعل فى الليالى التالية.

لم تعد تحتمل وسألته لماذا تزوجها مادام متعلقاً بأخرى؟!.. لأنه رجل فى المعاش فكانت تتركه فى الصباح وتذهب لعملها. وعندما تعود

تجد ورقة مكتوب فيها أين ذهب ومتى سيعود وتجد أيضاً آثار تفتيش فى محتويات شقتها . أصبحت لاتشعر بالأمان وتكره الليل ولأول مرة تشعر بوحدة!

مضى شهر على زواجهما ولم يصرف الرجل فى البيت شيئاً وعندما سألته المساهمة قال لها متعجباً ألم يدفع لها مقدماً؟ أيقنت أنها لم تعرف الرجل. وبدأت تسأل عنه فى كل مكان يذهب إليه وكان كل ما عرفته كارثة. فهو رجل يتزوج كثيراً بعد خيانة زوجته الأولى التى سرقت أمواله وهربت. بعدها أصبح يتصيد المرأة التى تعيش وحدها ولها دخل.. «ألم تعرفى أنه يستثمر أمواله بزيجاته؟».. فهو يعطى المرأة مهراً كبيراً ثم يسرقها أو يضايقها إلى أن تطلب الطلاق فيطلب ضعف ما اعطاه لها ليعطيها حريتها. جرت المرأة إلى شقتها وضعت ملابسه فى حقيبة أعطتها للبواب ليسلمها للرجل عندما يحضر. وغيرت قفل الباب وانتظرت مكالمته . قالت له عندما طلبها يستفسر عن فعلتها إنها عرفت عنه كل شىء وتريد الطلاق قال ساخراً: إنه لن يطلقها بالسهولة التى تزوج بها.. لقد صرفت جزءاً كبيراً من المهر فى أشياء جديدة للبيت وملابس غالية لزوم المجتمعات التى لم يصحبها إليها، فماذا تفعل؟!.. لجأت إلى محام تعرفه وطمأنها أنه سيعرف كل شىء عن الرجل ويقيم عليه دعوى طلاق، والرجل بالتالى سيقيم عليها دعوى لطلبها فى بيت الطاعة.. ربما .. أو يطلب نقوده وزيادة عليها ليطلقها.. ثم تقيم عليه دعوى مضادة.. المهم عليها أن تصبر فمثل هذه المشاكل الرديئة لاتحل سريعاً إلا بمعجزة.



ولتشكر السماء أنها تنبهت قبل أن يسرقها وغيرت قفل باب شقتها، فكان من الممكن أن تعود يوماً من عملها فتجد الشقة خالية من محتوياتها. أو أي شيء من هذه الألاعيب القذرة.

قالت المرأة لمحاميها: إنها لن تتعجل شيئاً ولتدخل في ألف قضية المهم أن تعطى هذا الرجل المزواج درساً وتكون هي آخر زيجاته التعسة.

،خلاص يا طانت اتفقنا مع الخياطة على فستان الفرح.. تفصيله بألف جنيه واتفقنا مع فنان متخصص لتطريز ديل الفستان.. التطريز بعشرة آلاف جنيه.. أونكل حنفى حيدفع.. ياطانت ده ليلة فى العمر خلينا نفـرح.. كل شيء جـاهز.. اربع أود غـيـر النوم.. أوده النوم بخمسة.. جرى إيه يا طانت أنا أنام فى أودة بخمسمائة. خمسة آلاف.. الفرح طبعا فى فندق خمس نجوم .. حنسافر تانى يوم شهر العسل.. لا أوروبا موضة قديمة كل العرايس بتروحها حنسافر أمريكا والمكسيك .. حضرى فستان سواريه من فساتينك الشيك القديمة.. والنبى يا طانت تعملى فستان جديد لسوسن، أمـا عمى فحضرى له بدلة فراك من هدومه الباشاواتى بتاعة زمان.

وديها للرفا والتنظيف تبقى زى الفل.. لازم ياطانت تظهروا بمظهر شيك.. أنا عارفة إن إحنا العائلات العريقة ولاد الباشاوات لكن بينى

وبينك إحنا معانا إيه دلوقت؟ .. أيوه عارفه معانا الأصل والعلم والتربية الشيك لكن الحاجات دى فى المتاحف مع صور الباشوات.. اشتغل.. لاطبعا.. ما التفوق والامتياز جابوا العريس.. فراغ ايه يا طانت، أولا حنخلف على طول.. أيام اجازاته فى الشتاء حنروح الشاليه بتاعهم على البحر الأحمر . وفى الصيف عندنا ڤيلا العجمى وشقة قبرص، غير إننا حنروح أوربا.. باى باى يا طانت بوسيلى عمى وسوسن».

وضعت الـ «الطانت» سماعة التليفون وهى تضرب كفا بكف، لقد حدثت قريبتها أم العروس عن والد هذا العريس عندما عرفت أنه صاحب شركة حنفى للأقمشة والمفروشات. وذكرتها بذلك الشاب الأسمر الذى كان يطرق بيوت العائلة فى الزمالك حاملا الأقمشة على ظهره ليبيعها. وكان قد أخذ هذه المهنة عن والده الذى توفى تاركا له أخوات كثيرات، وكان طموحا فلم يطف ببضاعته فى الحى الشعبى الفقير كما كان يفعل والده بل قرر أن يعبر الكوبرى، كان سمح الوجه لذلك كان سكان البيوت العريقة يستقبلونه ويشترون منه الأقمشة لخدمهم وأحيانا لهم.. وكبر حنفى وتنوعت الأقمشة التى يحملها على ظهره.

وبعد أن كان يحكى لهم ولهن بالذات عن مأساة حياته وموت والده تاركا له كوم لحم من البنات أصبح يحكى لهم النوادر التى تحدث على البر المقابل ويضحكون .. اختفى حنفى ونسيوه وبعد عدة سنوات ظهر بصورة جديدة تماما، ودعا زبائنه لحضور افتتاح محل حنفى للاقمشة

كان ذلك فى أواخر الخمسينيات. وفى الستينيات كبر محله وأصبح شركة حنفى للأقمشة والمفروشات وفى السبعينيات ومع الانفتاح أطلق على محلاته «حنفى كو».. لقد سمعوا حكايات كثيرة عن ثراء حنفى، منها أنه سافر إلى البلاد العربية ومنها أنه تاجر فى الممنوعات إلى أن اقام بخبطة عمره ثم تاب وعمل الشركة.

عرفوا أنه زوج اخواته وتزوج هو فى عمر كبير وأنجب بنتين وولدا الحقهم بالمدارس والجامعة حيث قابل الولد بنت أكابر زمان لفت نظرها بسيارته واناقته وشاغلته إلى أن التفت إليها. هى بنت مختلفة عن اللاتى يلاحقنه ويستسلمن لسحر ماله، هى بنت متفوقة وبنت أكابر، لم تسمح له أن يخاطبها خارج سور الجامعة فذهب ليخطبها.. لم تسمح له أن يلمس يدها فقرر أن يتزوجها..

عندما ذكرت الـ «الطانت» أم العروس بحكاية والد العريس قالت لها أنها تتذكرها. وماذا يعيب الرجل العصامى؟! المهم الحاضر والمستقبل مالنا ومال الماضى؟! وخجلت الـ «الطانت» عندما شعرت أن قريبتها تتهمها بالغيرة لأن ابنتها لم يتقدم لها عريس فى ثراء عريس ابنتها!

«الله يسلمك يا طانت .. وصلنا من يومين .. كان شهر عسل يجنن .. إحنا فى بيتنا إفرحى يا طانت أنا حامل .. لامش بدرى علشان الأولاد يكبروا معانا .. عملت مع اونكل حنفى صفقه.. إذا جه ولد نسميه باسمه وحيجيبلى هدية مش أقل من سيارة شيك .. أصله عايز يكون فى العيلة دايما اسم حنفى .. كان مش ممكن يا طانت يسمى ابنه

حنفى يعنى يبقى حنفى حنفى.. مش مزيكا لكن لما ابن ابنه يبقى اسمه
حنفى حسن حنفى ده مزيكا. على العموم أنا قلت لوجت بنت نسميها
على اسم جدتى يلدز هانم.. إيه بس يا طانتت اللى يزعل العيلة فى اسم
حنفى؟! .. ده حتى اسم أوريچينال، ..

واحد من الأربعين

استيقظت من نومها وهى تقول عشرة لم تتذكر الحلم تماماً الذى رأته. لم تتأكد من شئ سوى وجه حبيبها الذى هجرها منذ عشر سنوات.. ربما يكون هذا هو نفس اليوم الذى تزوج فيه وهجرها إنها تتذكر الشهر فقط. يوليه. عشر سنوات مرت، هكذا ببساطة تقول عشرة. لكن كم تحمل هذه العشرة بأرقامها القليلة أشياء كثيرة وشهورا وأياما طويلة. وأحلاما. وأمالا.. لقد اغلقت قلبها عن أية خفقة حب، وأغلقت بابها عن كل طارق يطلب الزواج، وشعر أهلها بالملل من نصائحهم فأخفوا قلقهم بالصمت. وضعت حبها فى عملها وتفوقت. إنها ليست عالة على أحد فليتركوها فى حزنها المكتوم وإن كانت تتظاهر بالمرح.

رجتها أمها فى الصباح أنت تذهب إلى فرح قريبة لهم للمجاملة تكدرت قليلاً فهى لاتحب الأفراح خصوصاً أفراح الأقارب الذين يضايقونها بالأسئلة. لماذا لم تتزوج.. وإلى متى ستظل هكذا.. أو يقولون لها الكلمة المحبطة.. عقبالك.. لكنها قررت أن تذهب إرضاء لأمها. فهى الوحيدة الموجودة من أسرتها فى حر القاهرة بحكم عملها. ووالداها كبرا ولايحتملان السهر وضجة الأفراح.

استقبلتها أم العروس فرحة بقدومها. وقادتها إلى إحدى المناضد المستديرة فى قاعة احتفالات بفندق كبير. جلست صامتة ومن حين لآخر تتبادل كلمات مع الذين يجلسون معها حول المنضدة. جاءت راقصة كانت مشهورة منذ عشر سنوات. كانت بضة. نضرة وأقامت ضجة وقتها. شاهدت جسدها مترهلاً وشعرها فاحم من كثافة الصبغة. أشفقت عليها، كان حبيبها معجباً بها منذ عشر سنوات. فى هذه اللحظة التى تذكرت فيها حبيبها اقتربت منها أم العروس وهى ممكسة بذراع رجل وقدمته لها. وجمت لرؤيته. لم تعلق على كلمات أم العروس الضاحكة.. إنها خصصت هذه المنضدة لغير المتزوجين لعل الفرح يعديهم ويتزوجون.. اكتشفت ان حول المنضدة مطلقتين وأرملة ورجلا أعزب من أقاربها. وجاء هذا الرجل ليجلس على المقعد الخالى بجوارها.

فى حياة بعض الناس حب مفقود. أو حبيب مفقود يكون متعلقاً به وقت فقده أو هجره أو اختفائه. ويظل يبحث عنه فى الشبيه بالملامح أحياناً. فى نوع العمل أحياناً. فى الصفات أحياناً. إلى أن يجده فى بعض هذا التشابه. يقولون «يخلق من الشبه أربعين» وربما بدون أن

تدرى ظلت سنين تنتظر واحدا من هؤلاء الأربعين الذين يشبهون حبيبها الذى هجرها وكانت فى قمة حبها له. لقد لفت نظرها وجوها بها ملامح من وجهه، وأجسادا فى طول قامته. وسمعت أصواتاً بها نبرات من صوته فهى بحكم عملها تقابل الكثيرين، لكنها لم تجد صورته فى خيالها مجسدة أمامها كما وجدتها فى هذا الرجل الذى يجلس بجوارها..

لم تكن مصادفة أن تقدمه قريبتها لها. فالرجل صديق لزوجها ولأسرتها وهى من زمن تلح عليه أن يتزوج. وقد حدثته عن قريبتها المضربة عن الزواج ولما وجدته ليس متحمساً قالت له إنها من أجمل قريباتها ولم تتزوج لانهماكها فى عملها. وليراها فى الفرح.

عندما أشارت عليها من بعيد لم يصدق الرجل ان حبيبته التى تزوجها فى أول عمر شبابه وفقدها مع طفلهما فى عملية وضع مفاجئة قبل اكتمال الحمل ستظهر له مجسمة هكذا بعد سنين فى صورة قريبة أم العروس.. بدأ حديث التعارف معها. وهى تتأمله ملامح وجهة قريبة من ملامح وجه حبيبها طول قامته وامتلاء جسده باعتدال. عيناه السوداوان المستديرتان. ونبرات صوته حتى طريقة إشعاله للسيجارة ياسبحان الله هل يمكن ان يتشابه اثنان هكذا؟!

وعندما تحدثت هى. تأملها. إذا كانت عاشت حبيبته لكانت فى عمرها الآن. ولأصبح جمالها ناضجاً وحديثها عاقلاً مثلها. كما لو كانت حبيبته سافرت منذ خمسة عشر عاماً وكبرت ونضجت بعيداً عنه وجاءت الآن.

عندما قاما إلى البوفية ليحضرا بعض المأكولات لم تتعجب من طريقته فى احتوائها كأنها تعرفه منذ عشر سنوات. لقد انشغلا بالحديث معا كأنهما فى مكان مزدحم لايعرفان فيه أحد. انتبها إلى أم العروس عندما اقتربت منهما، وقال لها الرجل، يبدو أن العدوى اصابته من الفرح!

ابتسمت لقريبتها التى شعرت بشئ من الخجل والنشوة لأول مرة منذ عشر سنوات تشعر بخفقة مفاجئة فى قلبها. إنها تعرف لماذا انجذبت لهذا الرجل. لكنها لم تفهم لماذا انجذب هو لها...!!

ملولة

تعرف مشكلتها فهى ليست فى حاجة للذهاب إلى محل نفسانى يساعدها على فتح صندوق الذاكرة فى مخها لتتذكر وتروى أحداث حياتها منذ طفولتها فيمسك الطبيب بأول الخيط ويتعلمل معه إلى أن يحل العقدة. لاتوجد عقدة فى حياتها. إنها فقط مشكلة تواجهها، أول مشكلة فى ربيعها الثالث والعشرين الذى احتفلت به منذ أيام. الأحداث فى حياتها واضحة أمامها. فى طفولتها وجدت لها والدتين، والدتها الحقيقية التى ولدتها ووالدتها زوجة أبيها. ووجدت لها والدين، والدها الحقيقى، ووالدها زوج أمها.

كانت طفلة جميلة طيبة أحبوها كلهم. الوالدتان، والوالدان. وكانت تحبهم الأربعة، وحتى لاتحرم منهم ولايحرمون منها، فقد اتفقوا على أن تقضى أسبوعاً فى بيت والدتها الحقيقية وأسبوعا فى بيت والدها

الحقيقى، وفى كلا البيتين لم تسمع نقداً أو ذما فى أصحاب البيت الآخر. فى مرحلة دراستها الأولى كانت تتفاخر أمام زميلاتها أن لها «أمين وأبين»، وكانت الصغيرات يحسدنها على هذا التفرد، لكن فى مرحلة دراستها الثانية، واجهتها تلميذة سليطةاللسان بأن ماتتفاخر به لابد أن تخجل منه. فكل تلميذة لها أب واحد وأم واحدة. كانت فى ذلك اليوم مع أمها الحقيقية، فقالت لها مادار فى المدرسة وقد وجدت الأم ابنتها بدأت تكبر ولابد أن تقول لها الحقيقة وقالتها: لم تبك البنت ولم تحزن أو تختر بيتا واحدا لتعيش فيه مع أمها الحقيقية أو والدها الحقيقى، ولم يكن أحدهما يغريها بحياة أفضل معه، ولم يتباريا فى اعطائها الهدايا أو شراء الملابس أو الخروج للنزهات، لقد اتفقا منذ طلاقهما والبنت عمرها خمسة شهور على ضرورة تربيتها تربية سوية، حتى تكبر بلا عقد من هذه العقد العقيمة التى تنشأ فى الأبناء الذين ينفصل والداهم، لذلك عملا على ألا يحرمها أحدهما من الآخر. بعد معرفتها بالحقيقة ظلت على حبهم الأربعة.

وبالرغم من أن أمها الحقيقية أنجبت ولدين ووالدها الحقيقى أنجب بنتا إلا أن حجرتها الخاصة فى البيتين ظلت كما هى فى انتظار حضورها، ولم تجد معاملة خاصة أحسن لأخويها أو أختها، فهى تعيش حياتها عادية منبسطة بلا عقد أو حقد، لكن فى داخلها نشأ شعور بالملل، ربما من عدم الاستقرار، أو ربما تعودت على الأزدواجية فى حياتها. بدأت تقتنى فى أشيائها الأساسية شيئين من كل نوع، مثلا لديها ساعتان لليد، فى كل موسم لها حقيبتان، ونوعان من البارفان،

ولونان من أحمر الشفاه، وصالونان لتصفيف الشعر.. لها صديقتان مقربتان، تتبادل صداقتهما كل على حدة، إذا زهقت من صحبة واحدة تذهب إلى الأخرى.

فى حياتها الجامعية كانت معجبة بشابين، واحد فى الكلية التى تدرس بها والآخر فى كلية مجاورة، لم تحب أحدهما أكثر من الآخر. تقابل الأول لفترة، ثم تقابل الآخر، صادقة فى عواطفها مع الاثنين. وتعجبت فى السنة النهائية من دراستها عندما اختفى الشابان من حياتها، لقد علما أنها تقابلهما معاً.

وسألها أحدهما أن تختار بينهما فغضبت منه لأنها تحبهما هما الأثنين، وعلم الآخر برأيها، واختفيا من حياتها. بعد تخرجها عملت فى شركة تجارية، وتعلقت بالعمل الصحفى من أحاديث صحفى قريب والدتها غير الحقيقية شجعها للعمل معه بنظام القطعة فى الجريدة التى يعمل بها، تحضر أخباراً أو تترجم شيئاً أصبحت تعمل عملين واحداً فى الصباح بمواعيد رسمية والآخر بعد العصر وكما تريد المشكلة الأولى التى قابلتها عندما تقدم لها شابان للزواج، واحد زميلها فى العمل الصباحى والآخر قريب والدها غير الحقيقى.

أعجبت بالأثنين، فهما ممتازان من ناحية المظهر الخارجى، والموقع العملى، والثقافة ومن الناحية المادية، الأثنان يحبانها، الأثنان يريدان أن يتم الزواج سريعا فى هذا الصيف لقضاء شهر العسل فى الخارج وهى تعجب بهما معا، لكن فى الزواج لابد أن تختار واحداً منهما وهكذا واجهتها أول مشكلة فى حياتها. جلست البنت بمشكلتها مع

أمها الحقيقية وأمها زوجة أبيها نصحتها أمها الحقيقية أن تتزوج الشاب الذى يحبها أكثر، فهو الذى يسعدها فى حياتها. وقالت أمها زوجة أبيها، إنها تربت وكلهم يحبونها وهى لم تحب أحدهم أكثر لذلك لم تختر الحياة مع واحد فقط من والديها، وحتى تختار فى مسألة الزواج لابد أن تحب هى أحد الشابين أكثر من الآخر. اقتنعت البنت برأى الوالدتين، فهى لابد أن تتزوج من يحبها أكثر، ومن تحبه أكثر.!!.. لكن كيف ستعيش فى بيت واحد فقط؟!..

صورة..

ربما فى نفس الوقت الذى كانت فيه الأستاذة س، تقرأ الخبر فى الجريدة، كان الأستاذة «ج» فى الجانب الآخر من المدينة يقرأه أيضاً عن الرسام «فلان الفلانى» الذى سيفتتح معرضاً لأعماله الفنية خلال ثلاثين عاماً مساء اليوم، وربما فى نفس اللحظة التى قررت فيها الأستاذة «س» الذهاب إلى حفل الأفتتاح قرر الأستاذ «ج» نفس القرار، لكن دافع كل منهما على الذهاب كان مختلفاً.

منذ ثلاثين عاماً كانت قصة حب بين «س» و«ج» عصفوران منطلقان مغردان فى حدائق المدينة وعلى ضفاف النيل، فى حفلات الساعة الثالثة فى دور السينما وقت اشتداد حرارة الصيف. ذات يوم حدثها عن صديقه الرسام ورغبته فى أن يرسمها صديقة هذا «بورتريه»، وستكون اللوحة أول شئ يعلقانه على جدران بيتهما، وهكذا تعرفت «س» على الرسام فى مرسمه مع حبيبها «ج» بعد عدة زيارات

وجلسات أمام الفنان ظهرت صورتها وقال حبيبها يومها، إنه سيقول لأبنائهما بعد ثلاثين عاماً.. انظروا إلى صورة أمكم كم كانت جميلة رفض الفنان أن يعطيهما الصورة، ووعدهما أنهما عندما يتزوجان ستكون اللوحة هدية زواجهما. لكنهما لم يتزوجا.. تشاءون ولاتشاء الأقدار.

كان طموح «س» العملى يخيف حبيبها «ج» فكان يريدها أن تتفرغ للبيت وللإنجاب، لكن البنات فى ذلك الوقت كن يتطلعن إلى أبواب العمل التى فتحت لهن، وكان تشجيع الدولة لهن لبناء المجتمع الجديد بعد الثورة، وكانت شهادتها العلمية تؤهلها للعمل فى الكشف عن حقول البترول بفحص طبقات التربة الرملية، فشهادتها تقول أنها «جيولوجية» ربما لم يعجبه طموحها هذا، ولم يعجبه أنها تريد إنجاب اثنين فقط، وربما تخطيطه للمستقبل لم يعجبها، وربما مغامرته مع زميلة له فى عمله أغضبتها. تراكمت أشياء كثيرة بينهما لم ينتبها إليها لصغر سنهما، وافترقا. بحثت «س» عن الرسام لتأخذ منه صورتها فعلمت أنه أغلق موسمه وسافر فى منحه دراسية فى الخارج، واستمر هناك بعد دراسته لم تعرف عنه شيئا طوال ثلاثين عاماً إلى أن قرأت هذا الإعلان عن معرضه فتذكرت قصة حبها القديمة وصورتها.

لقد تزوجت الأستاذة «س» من رجل لم ينجب وتزوج الأستاذ «ج» من امرأة لم تنجب. والغريب ان كلا منهما عندما علم أن الطرف الأخر لاينجب لم يسع إلى تغييره كما يفعل الكثيرون والكثيرات فى المجتمع الشرقى. ربما لأن كلا منهما أحب رفيق حياته حبا جديدا هادئا، أو وجد فيه ماكان ينشده، فتبدد حلمهما فى أن يكون لهما أبناء وخلال

الثلاثين عاما بعد فراقهما كان كل منهما يعرف أحيانا أخبار الآخر عن طريق معارف أو أصدقاء كانوا فى الزمن القديم ويقابلونهم بالصدفة.

اقترحت الأستاذة «س» على زوجها الذهاب إلى معرض لفنان كان غائبا عن البلد، ورحب باقتراحها فهما من وقت لآخر يشاهدان معارض فنية، ووعدها أنه سيلحق بها هناك بعد مقابلة فى عمله. فى صالة العرض كان الفنان يقف وسط مجاميع من الفنانين والفضوليين الذين يريدون مشاهدة ماذا فعل، وكان مضطرباً يتصبب عرقاً، ربما من الانفعال أو من حرارة الجو، فلم يتعرف على الأستاذة عندما هنأته على معرضه لايهم، لقد جاءت لتشترى صورتها إذا وجدتها. سارت أمام اللوحات، وخفق قلبها عندما وجدتها لكنها ليست هى هل لعبت بها يد الفنان؟ أم الزمن لعب بصاحبة الصورة؟!

وزادت خفقات قلبها عندما التفت الرأس الأشيب الذى كان يقف أمام اللوحة، كان حبيبها منذ ثلاثين عاما. تسمرت النظرات لحظة ثم انفجرت الشفاه بالابتسام وامتدت اليدان بالسلام قال «ج» مبتسما «هل تذكرين هذه الصورة؟». قالت: «جئت للبحث عنها، لكنى وجدتها مختلفة» قال: «وأنا جئت لأرى هذا الصعلوك كيف أصبح» قالت إن الفنان لم يتذكرها، ثم سألته هل يتذكر ماقاله عن الصورة بعد انتهائها؟! قطب بين حاجبيه وقال إنه لايتذكر قالت إنه كان يريد ان يقول لأبنائهما بعد ثلاثين عاماً كم كانت أمهم جميلة. ابتسم وقال وهانحن نراها بعد ثلاثين عاماً. تبادلا النظرات وضحكا فالكلمات بعد ثلاثين عاما لاتحمل موقفاً تراچيدياً. أشارت لزوجها الذى لحق بها فى المعرض. عرفته على الأستاذ «ج» الذى كان زميلا لها فى الجامعة

صافحه «ج» واختفى فى الزحام. دارت مع زوجها بين اللوحات، توقفا قليلاً أمام صورتها وسألته، أليست ملامحها تشبه هذا «البورتريه» عندما كانت صغيرة؟! قال زوجها إنها كانت أجمل وأصبحت أكثر جمالاً.. تعلقت بذراعه ولاتدرى هل هى تعبر عن حبها له، أم تختفى من ذكرياتها القديمة؟!

مدله يحبها..

لأنه والد لخمس بنات فقد قرر منذ طفولتهن أن يعلمهن إلى المرحلة الثانوية وبعد حصولهن على شهادتها يزوجهن. والتى ترغب فى إكمال دراستها العليا فهذا قرارها مع زوجها. الأرض التى يمتلكها سيبيع نصفها لزواجهن، وقد نفذ قراره مع البنات الأربع وزوجهن بمعرفته واختياره، ولأن بناته الخمس جميلات فقد كان زواجهن سهلا مع إمكاناته المالية. لكن عندما جاء الدور على ابنته الخامسة وجد معها مشكلة، فقد كانت تقرأ كثيراً الروايات العاطفية وتسمع عن بنات أخترن زواجهن عن حب أرادت ان تفعل مثلهن. ووجدت اخواتها الأربع انجبن مباشرة بعد زواجهن ولم يكملن تعليمهن، فاعترضت على اختيار والدها لزوج المستقبل. لأنها تريد ان تدخل الجامعة وتختار زوجها عن حب. اقسم والدها ان يحرمها من الميراث والا يعرفها طول حياته، فامتثلت لأمره واختياره لأنها تحبه وتعرف جديته فى القسم.

حاولت وقت الخطوبة القصير ان تنفر عريسها منها حتى يتركها هو، لكن الشـاب وقع فى حـبـهـا من اول نظرة واول زيارة، فلم تفلح كل الألاعيب التى فعلتها لتجعله يرجع عن قراره. اشترطت عليه ان تدخل الجامعة فوافق. والا تجنب إلى أن تنتهى من دراستها الجامعية ووافق. وزاد إمعانها فى تعذيبه بطلبها ان يعطيها حريتها ويطلقها إذا هى لم تستطع أن تحبه، ووافق وطلبت منه أن يكتب موافقته على طلباتها فى اوراق تحتفظ بها ووافق. فهو مدله بحبها وقرر منذ البداية ان ينفذ كل طلباتها.

تزوجت وفى نفس العام التحقت بكلية العلوم. ولأن زوجها مجال عمله بعيد عن مجال دراستها فقد كانت احاديثها الشيقة عن العلوم مع معيد شاب يحضر رسالة لنيل الماجستير ويسعى لنيل الدكتوراه من انجلترا. اجتهدت فى دراستها لتنتقل من عام لعام بتفوق. وخلال سنوات دراستها تعلم زوجها أن يطهو الطعام ويحضر «شغال»، يوما فى الاسبوع لينظف البيت. هيا لها كل وسائل الراحة لتتفرغ لنبوغها العلمى، حتى نسيت أنها زوجة وعليها بعض المسئوليات. باقترابها من المعيد واحاديثها عن العلم الذى يدرسانه وتجاربهما العلمية فى المعمل. شعرت بتفتح قلبها.

أخيراً وجدت الحب، ولابد أن تحقق أملها فى الزواج عن حب. وهذا هو الرجل الذى تريده زوجا. ولأنه فى مجال علمها، يمكنها ان تسافر معه لنيل الشهادات العليا من الخارج، ويمكنهما معا اكتشاف شئ عظيم فى مجال العلوم مثل الزوجين العالمين المشهورين مدام كورى وزوجها

بيير كورى اللذين اكتشفا «اليورانيوم» لكنها كلما حلقت بأحلامها بعيدا تصدم بالواقع المرير إنها متزوجة بعد أن نالت البكالوريوس بتفوق، ونال المعيد الماجستير بامتياز وتهيأ للسفر إلى انجلترا، وجدت ضرورة مصارحته بمشاعرها وأمانيها لتعد نفسها للسفر معه.

كانت متأكدة من إعجابه بها ومصارحته، ولكنها صدمت من رده على تصريحها وصراحتها. فهو فعلا معجب بها وبتفوقها العلمى لكنه لم يفكر فيها أكثر من هذا لأنها زوجة لرجل يعرف مدى حبه لها. وقد ارتبط بفتاة سيتزوجها ويسافران معا. صفعة مهينة اصابتها لأول مرة فى حياتها. فى ثورة غضبها بكت لزوجها وشكت له المعيد الذى يطاردها ويريد ان يقيم معها علاقة آثمة. وتخاف ان تشكوه للاساتذة حتى لايسئ إلى سمعتها بأكاذيب ويمنعهم من تعيينها فى الكلية معيدة.

وطلبت من زوجها ان يؤدبه. ولأنه لا يرفض لها طلبا ذهب الزوج إلى بيت المعيد غاضباً. بالمصادفة فتح له الباب فناوله لكمة فى وجهة أصابت المعيد بالذهول والألم خصوصا عندما سمع الزوج يأمره بالابتعاد عن زوجته.

طلب المعيد من الزوج ان يجلس قليلا معه، فدخل بيته وجلس صامتا يسمع منه حكاية حب زوجته التى صرحت بها المعيد وطلبها الزواج منه والسفر معه. وهز الزوج رأسه وقال للمعيد إن هذا لم يكن خافيا عليه واعتذر له. عاد الزوج وقال لزوجته ألا تخشى المعيد بعد ذلك فقد ضربه وادبه. شعرت براحة لكنها قلقت من هدوئه . وهو يسألها إذا كانت لم تستطع ان تحبه فهو على وعده لها أن يطلقها فكرت

سريعا. إذا هي طلقت لن يتركها ابوها تعيش وحدها. وسيختار لها رجلا اخر كما فعل مع إحدى اخواتها. فكرت سريعا.. إنها لن تجد رجلا يتحملها ويحبها مثل هذا الرجل زوجها. تعلقت برقبته وقالت إنها لا ترغب غيره في حياتها. فاحتضنها حتى وإن كانت كاذبة فهو مدله بحبها..!!

الكعب العالى..

فى دولاب الاحذية الخاص بوالدته حذاء ذو كعب مرتفع تحتفظ به فى صندوق منذ خمسة وثلاثين عاما، ولهذا الحذاء قصة طريفة رومانسية، فقد كانت والدته ترتديه فى حفل خطوبة لقريبة لها، وكان والده مدعوا هناك، وقد وقع بصره على الحذاء فقال إن هذه الفتاة ذات ذوق رفيع وأنيقة ولابد انها كذلك فى شخصيتها. أعجب بالحذاء أولا ثم رفع بصره إلى صاحبة الحذاء. فاعجب بردائها البسيط ووجهها الهادئ المبتسم. وفى الحال سأل عن صاحبة الحذاء وأهلها.

وفى اليوم التالى تقدم لخطبتها. رحب به اهلها بعد أن سألوا عنه، وهى أعجبت به وتم زواجهما فى نفس ذلك العام ولما علمت والدته بسر إعجاب والده بها فقررت الاحتفاظ بالحذاء الذى كان سببا فى زواجها السعيد، وجاء هو الثالث والأخير بعد بنتين. على مر السنين تعلمت

البنتان من والدتهما الذوق الرفيع فى اختيار الاحذية وهو تعلم من والده نظرية النظر للفتاة من قدميها. فحذاء المرأة يدل على شخصيتها واختيارها يدل على ذوقها. طبعا حكاية حذاء والدتهم سردت امامهم كثيرا وللأهل والاصحاب.

لقد عاش طول عمره الذى يقترب من الثلاثين وهو يشاهد اناقة قدمى امه واقدام اختيه اللتين تزوجتا فى السنين القريبة الماضية. وبهذه المعايشة وبنظرية والده ترسبت فى ذهنه ان عروسه لابد أن تكون صاحبة ذوق رفيع فى اختيار احذيتها لأن هذا يدل على شخصيتها. القدمان الجميلتان للمرأة لابد أن يرتفعا عن الأرض بكعب لعدة سنتيمترات لأن هذا أيضا يؤكد انوثتها.

تعلم أن «الشبشب» مكانه فى البيت أو على شاطئ البحر والحذاء الرياضى للألعاب الرياضية واثناء مزاولتها فقط. مكانه فى النادى أو الرحلات. أثناء دراسته الجامعية كان يحكم على شخصية زميلاته من ذوقهن فى اختيار احذيتهن، كانت هوايته ولعبته وكثيرا ما كان يصدق حسه بالتعامل معهن. لكنه لم يهتم كثيراً بفتاة معينة يعجبه حذاؤها، فقد تعلم من والده أيضا ألا يتورط فى حب فتاة قبل أن يستعد ماديا للزواج. وتخرج من الجامعة من عدة سنوات وعمل فى مؤسسة كبيرة. واشترى له والده شقة على أن يدفع هو باقى اقساط ثمنها. استعد ماديا للزواج، لكن لم تلفت نظره فتاة أو على الأصح لم يفت نظره حذاء لفتاة حتى يعجب بها وبشخصيتها لقد حدث تدهور فى أذواق النساء.

ليس كما يقول والده. لكن حسب مشاهداته الشخصية ايضا. فقد انتشرت عادة قبيحة بين النساء وهى ارتداء شبشب والخروج به فى الطريق العام ومكان العمل. ومهما كان الشبشب ذا كعب مرتفع أو مزوق بأشكال غريبة من الخرز والألوان أو طبيبها غالى الثمن فهو فى النهاية شبشب تطرقع به امرأة وهى تسير ويمتعض كثيراً من أصوات هذه الشباشب على سلم المؤسسة التى يعمل بها عند انصراف الموظفات والمصيبة التى انتشرت الآن هى الاحذية الرياضية التى ترتديها الفنيات فتضيع انوثتهن وشخصيتهن عندما ينظر إلى الأقدام فى مكان ما لا يفرق بين قدمى شاب وقدمى فتاة لأن كلا منهما يرتدى الحذاء الرياضى والبنطلون.

عندما كان فى المدرسة الإبتدائية والثانوية كان زملاؤه الذين يرتدون الاحذية الرياضية الرخيصة فى ذلك الوقت يدلون على فقر اسرهم الذين لا يستطيعون شراء احذية جلدية لهم. لكن المصيبة الآن أن هذه الاحذية الرياضية غالية الثمن يصل بعضها الى مائتى وثلاثمائة من الجنيهات. احذية محلية ومستوردة تملأ المحلات والذى أو التى يرتديها يعبر عن قدرة اسرته المالية وليس عن فقرها، لكن فى النهاية هذا الحذاء الرياضى الملاصق للأرض سواء كان غاليا أم رخيصا فهو حذاء كاوتش.

وكلما سأل واحدة من زميلاته فى العمل او النادى عن سر ارتدائها دائماً للحذاء الرياضى تقول له إنه يريحها ويساعدها على السرعة فى السير. وعندما قال لواحدة منهن إن ارتداء الحذاء الرياضى فى الصيف

بصفة دائمة يضر القدم ويجعل رائحته نتنة. قالت له ضاحكة ليكن رياضياً قلق والده عليه لأنه لم يختر عروسه للآن. ولما سأله عن سبب تأخره. قال له عن مشكلة أحذية الفتيات الآن. ففى الأماكن التى يلتقى بهن سواء فى العمل او النادى لا يعجبه ما يرتدينه فى اقدامهن قال له والده إن،العصر تغير وهو - أى والده - اصبحت نظريته فى شخصية المرأة وحذائها قديمة وعليه أن تعرف شخصية الفتاة وذوقها بطريقة أخرى ونصحة ألا ينظر إلى اقدام الفتيات والتى تعجبه من حديثها وتصرفاتها ووجدها ترتدى الحذاء الرياضى او «شبشب» يستطيع أن يغير هو من ذوقها بالحب والتفاهم. هز رأسه ولم يفهم والده هل هو مقتنع بحديثه ام مازال مقتنعاً بنظريته السابقة؟!

الرجل الذى لا يقول.. لا..!

كان ذلك الخبر الذى أثار استياء الناس فى جريدة صباحية عن زوجة أمريكية باعت زوجها لصديقه تحتاج لرفقة رجل بمثابة مفتاح الخلاص لزوجة الأستاذ «ع». إنها تريد أن تتخلص منه ولا تدرى كيف، فيصعب عليها أن تتركه وحيداً لأنه ليس له أحد فى الدنيا سواها أعجبها الخبر، لكنها ليست محتاجة للمال وأيضا نحن شعب متحضر لم تطغ علينا المادة تماما لنبيع أزواجنا وزوجاتنا. لمعت فى رأسها فكرة التنازل عنه، لإمرأة تحتاج لرجل يعيش معها، المهم أن يكون لديها شقة ودخل معقول حتى تضمن لزوجها حياة مريحة فدخله وحده لا يسمح له بذلك.. لنلق نظرة سريعة على حياة الأستاذ «ع» حتى نفهم لماذا تريد زوجته أن تتنازل عنه. لقد مات والداه عندما كان طفلاً وأخذه عمه التاجر ليربيه ثم أصابته نكسة فى تجارته فأعطاه لخاله، ولما كان

الخال لايريد أن يتكفل به فقد بحث فى فروع شجرة العائلة إلى أن اهتدى إلى سيدة كبيرة ثرية تعيش وحيدة فى بيت ورثته عن زوجها لم تنجب ولم تتزوج مرة ثانية وعرض عليها تربية الولد اليتيم لتنال ثواب الدنيا والآخرة فرحبت به. خلال رحلة الأستاذ «ع» فى هذه البيوت الثلاثة تعلم الطاعة لمن يتكفل به. تعلم أن يكون مؤدبا. تعلم ألا يقول.. لا.

واكتسبت، عيناه نظرة كسيرة معتمدة على الغير كنظرة حيوان أليف تربيه ويعتمد عليك تماماً ويخاف أن تستغنى عنه، لذلك عندما تخرج فى الجامعة وعمل فى الحكومة قررت قريبته العجوز أن تزوجه قبل أن تموت خصوصاً أن أبناء شقيقتها الوحيدة الوارثين الشرعيين يكرهونه فسعت إلى تأمين حياته فى بيت آخر من معارفها كانت عائلة ثرية لهم بنت بعيدة عن الجمال ولم يشفع لها ثراؤها فى ذلك الوقت لتتزوج مثل أختيها الجميلتين. أخذت الولد المطيع لأسرة الفتاة وشرحت لهم ظروفه فوجدوا أنه عريس لقطة ورحبوا به . وهكذا تزوج الأستاذ «ع» من العروس القبيحة لم يعترض فقد تعود أن يقبل أى شىء يعطى له، وأنجب من زوجته بنتين.

مع مرور الوقت وتقدم وسائل التجميل ومهارات الأطباء فى إصلاح عيوب البشر الخلقية استطاعت زوجة الأستاذ «ع»أن تجرى عملية جراحية فى أنفها وعنقها وأصبحت قريبة من الجمال. عندما سألت زوجها عن رأيه فيها، قال لها إنها زوجته سواء كانت قبيحة أو جميلة

واغـتـاظت منه. إنـتـابهـا شـعـور جـديد وهو الزهق من هذا الزوج الذى لايقـول لهـا.. لا. بـصـورتهـا الجـديدة قـررت أن تخـرج للمـجـتـمـع الذى كـانت تهـرب منه. اشـتـركت فى ناد رياضـى كـبـيـر حـتـى تسـتطيع أن تزوج ابنتيـهـا وأيضـاً لتـخـرج من ملل حيـاتهـا. لم تكن البنتان جـمـيلتين تماما لكنهما تزوجتا فى سن مبكرة فى هذا العصر الذى يقدر ما ستورثه البنت من أملاك الأم أو الأب. فى النادى لفت نظرها رجل فى متوسط العمر مطلق ومن أصـحاب الأعمال التى لا يعرف أحد مـا هى، وقد قرر من نظراتهـا له، والسؤال عن ظروفهـا إنهـا الصيـد الجديد الذى يبـحث عنه. وهكذا بدأ ينسج شـبـاكـه حـولهـا وبدأت تفكر كـيف تتـخلص من زوجها بدون أن تؤذيه إلى أن قرأت ذلك الخبر فى الجريدة. فى النادى تعرفت على أربع نساء ثلاث مطلقات وأرملة وعرضت عليهن زوجها المطيع، ولكنهـا قـوبلت بالرفض، فـقـد تعـجـبت النسـاء من زهقـهـا من زوجها الذى لا يقول لها لا فى زمن إنعدمت فيه طاعة الرجال للنساء واختفت منه اخلاق الفروسية فلابد أن بالرجل عيوباً شنيعة هن فى غنى عنها. اقسمت أن عيبه الوحيد ماذكرته، وقالت لهن بصراحة أنها تريد أن تتزوج من زجل ملىء بالرجـولة يرفض تنفيـذ كل طلبـاتهـا، يفرض رأيه عليها، لقد تزوجت صغيرة ولم تعرف رجالاً هكذا لكنها شاهدتهم أزواجاً لنساء أخريات وفى أفلام السينمـا، رجالاً بمعنى الكلمة وهى تريد أن تتـزوج واحـدا منهم وفى نفس الوقت لا تريد أن تتـرك زوجها وحيداً بلا بيت لذلك عرضت عليهن فكرتها.

ولما سـألتـهـا إذا كـانت وجـدت هذا الرجل. انفلت لسـانـهـا وقـالت «فلان».. إستاءت النساء واخبرتها أن «فلان» هذا نصاب يجيد تمثيل

الرجولة ليتصيد النساء الثريات مثلها ويلهف نقودهن ثم يتركهن . وهو مطلق للمرة الرابعة وإذا أرادت أن تسأل عنه زوجاته السابقات فهن مستعدات لتوصيلها إليهن. ونصحتها واحدة منهن ألا تقوم بفعلتها هذه لأنها ستندم بعد ذلك فهى لسنين طويلة تعودت على الحياة مع زوج مطيع ولن تطيق غيره .. صدمت زوجة الأستاذ «ع» بهذه المعلومات وأخبرتهن أن زوجها لم يسأل عن الثروة التى ورثتها ويعطيها مرتبه كل أول شهر قلن لها إنها امرأة غبية لتتنازل عن مثل هذا الزوج. فكرت فى كلامهن وخافت من غابة الحياة.

فى هذا اليوم وجدت إنها تحب زوجها وسألته أن يخرجا فى نزهة عندما وافق صرخت فى وجهه لماذا لا يعترض. لماذا طول عمره لم يعارضها فى شيء. لماذا لا يقول. لا. فوجئ الرجل بثورتها وقال لها إنها لم تطلب منه طوال حياتهما معاً شيئاً يضره أو لا يستطيع أن يفعله فلماذا يقول. لا وعلى أية حال إذا كانت لا تريد أن تخرج كما طلبت منه فلا داعى لخروجها، خبطت المرأة رأسها فى الجدار فنظر إليها زوجها متعجبا، لا يدرى ماذا حدث لزوجته!!

أطفال القمر!

قامت المرأة من نومها فى الساعات الأخيرة من الليل، حرارة الجو ورطوبته يزيدان من أرقها، وجسدها النحيل لايتحمل برودة جهاز التكييف فى حجرة نومها فتغلقه. سارت على أطراف أصابعها حتى لا توقظ زوجها مع إنه ينام فى حجرة نوم منفصلة ويغلق عليه الباب مع جهاز التكييف لكنها تعودت أن تسير على أطراف أصابعها.

ذهبت إلى المطبخ وشربت كوب ماء بارد. رأسها ثقيل بهذا الشعور بالدوار من الرغبة فى النوم وعدم الحصول عليه. سارت إلى حجرة الصالون الكبير الفخم المذهب فتحت النافذة وجلست، وضعت رأسها بين كفيها وأغمضت عينيها.. أمام النافذة فروع شجرة كبيرة، وكان القمر فوق الشجرة، تسلل ضوؤه خلال فروعها ودخل من النافذة.

وانتشرت بقع الضوء على السجادة؟ عندما فتحت المرأة عينيها كانت نسمة هواء تداعب أوراق الشجرة فتتحرك ويتحرك معها ضوء

القمر الذى يتخلل الفروع ويدخل إلى أرض الحجرة، شاهدت المرأة هذه اللعبة من الطبيعة فى صورة أطفال يرقصون، دعكت عينيها وهى تتأمل المنظر. جرت إلى حجرة زوجها أيقظته من نومه العميق وقالت له عن مشاهدتها. قال لها أن تستعيذ بالله من الشيطان وتذهب لتنام. ألحت عليه أن يقوم ليشاهد الأطفال. وقام.

مع دورات الأرض السريعة كان القمر قد أصبح فوق العمارة ضياؤه فى السماء لكنه ليس متسلطا على الشجرة واختفى الضوء والمتسلل من فروعها إلى أرض حجرة الصالون. أقسمت المرأة أنها شاهدت أطفالاً يرقصون، ربت زوجها على كتفها وصحبها إلى حجرة نومها، بحنان وضعها فى فراشها وذهب إلى حجرته، لكنها لم تستطع النوم.. زوجها لم يصدقها، كما لم يصدقها فى المرات السابقة التى شاهدت فيها أطفالاً وسمعتهم فى الشقة الكبيرة. وقال لها إن جارهم فى الشقة التى فوقهم لديه أحفاد كثيرون يحضرون أحياناً مع أمهاتهم. ولأنها لا تعرف عن الجيران شيئاً فلا تصدق زوجها وتصدق خيالها المحروم كما صدقته فى هذه الليلة القمرية.

قالت لها أمها يوماً: «الدنيا لا تعطى الإنسان كل ما يرغب، وليشكر السماء على ما تعطيه يكفى إن زوجك انتشلك من الفقر وانتشلنى وأختك أيضاً. يكفى أنه يضع لك فى البنك نقوداً لتأمين مستقبلك ويغرقك فى مجوهرات وملابس غالية ومطبخك لا يخلو من أحسن المأكولات..

قالت لها: «يا أمى صور زوجته الجميلة الراحلة تنظر إلى بكبرياء خلال البروايز المذهبة المنتشرة على الجدران فتتعثر خطواتى ويتاحثم

لسانى عندما أتحدث وصور أبنائه وهم أطفال ينظرون إلى مثل العفاريت». قالت لها أمها ألا تحدث زوجها بشأن الصور فهى ذكريات عمره. والرجل لا يريد أن ينجب وله أحفاد كبار وربما لم يعد يستطيع. «ويا ابنتى أنت مسعدة لأنه اختارك ولم يتزوج واحدة من جميلات طبقته وكنت يئست من زواجك عندما تخطيت الثلاثين»..

إنها لا تنسى يوم قرر أن يتزوجها. لا تنسى كيف كانت منذ خمس سنوات. عندما مات والدها صحبها جارهم ساعى سعادة البيه وقدمها له، على أن يجد لها أى عمل فى الشركة التى يملكها، وجلست أمامه تخفى قدميها تحت المقعد بحذائها القديم الممزق. سألها عدة أسئلة عن الأشياء التى تجيد عملها أو معرفتها بلغة أجنبية.. إنها لا تعرف شيئاً. ثم سألها الرجل إذا كانت تعرف الطهو وتنظيف البيت، قالت: إن هذا ما تجيده فعلاً . فقال لساعى مكتبه: إنه قد عينها فى بيته، فهو لا يجد أحداً أميناً بعد رحيل طباخه العجوز. تردد الساعى فهو يعلم أن البيه أرمل كبير لكنه بصحة جيدة وأبنائه يعيشون فى الخارج والبنت مهما كانت دميمة فهى أنثى.

وكانت هى صامتة. أمام إغراء المرتب قال لها الساعى أن تقبل على ألا يعرف أحد فى الحى هذا ولتقول إنها تعمل معه فى الشركة. وكانت تخرج فى الصباح الباكر مع جارها الساعى وتذهب إلى بيت البيه تطبخ وتنظف ويعود من شركته ليجد كل شىء نظيفا أعجبه طهوها وعنايتها به وحديثها الساذج المسلى عندما تجلس معه وقت العصر يتناولان الشاى والحلوى التى تصنعها.

وعند الغروب تذهب. وذات غروب خريفي مقبض سألها الرجل أن تبقى معه. مذعورة سألته ماذا تقول لأمها. فسألها بطريقته الآمرة أن تتزوجه. ووافقت كما توافق على كل أوامره. وتعيش معه أبنة وحبيبة وخادمة متقبلة لكل أدوارها لا ينغص حياتها سوى هؤلاء الأطفال الذين تتخيلهم معها وتقسم أنها تراهم حقيقة مثل أطفال القمر الذين كانوا يرقصون..!

سبب تافه للقتل!

قتلتها.. لا أريد أن أدخل فى تفاصيل كيف قتلتها، فهذه التفاصيل التى تنشرها الجرائد تغرى كثيرين بارتكاب الجرائم بنفس الطريقة المعروضة، فيوجد على الأقل خمسون فى المائة من الأزواج ومثلهم من الزوجات يريدون قتل بعضهم بعضا، ولا يخفى علينا حكاية الأكياس البلاستيك التى زاد رواجها واختفت من الأسواق فى الفترة التى نشرت فيها الجرائد عن تقطيع الجثث ووضعها فى أكياس بلا ستيك وإلقائها فى أماكن مختلفة حتى لا تظهر الجريمة.

لن أعترف كيف قتلتها، ربما يكتشفون الطريقة بالكشف والتحليل وهذه الأشياء المعقدة التى يقومون بها فى معامل الطب الشرعى، لكنهم لن يتوصلوا بسهولة إلى الطريقة الفريدة البسيطة التى قتلت بها زوجتى. سأطلب من المحكمة ألا يسمحوا بنشر هذه الطريقة فى الجرائد

إشفاقا على الزوجات اللاتى يريد أزواجهن قتلهن، فليس معنى إننى قتلت زوجتى إن ليس لى قلب عطوف ومشاعر رقيقة. أنا لست مجرما. سيقول القاضى إنى مظلوم أو معذور أو أى شىء يبرر براءتى. وسأقول السبب فى جلسة سرية حتى لا ينشر فى الجرائد. ربما يكون السبب تافها فيكون ذريعة لكل زوج يريد قتل زوجته. مثل هذه الأسباب التافهة التى تنشر فى الجرائد. زوج يقتل زوجته لأنها لم تصنع له كوب شاى. أو لأنه شاهدها فى الحلم تخونه.. أحببتها فى زمن الأغانى العاطفية الجميلة. «بتلومونى ليه.. والحب جميل». وكرهتها فى زمن الأغانى الهابطة.

أعتقد أن الأغانى لها دور فى تشكيل نمط العواطف واكتشفت أن القلب يخفق بالكراهية تماما كما يخفق بالحب. وإذا كان الحب جعل الدماء تتدفق فى عروقى يوما.. فقد شعرت أن خفقات الكراهية تسحب الدماء من عروقى كأنى أموت.. «ياحضرات القضاة لقد قتلت زوجتى بسبب الخيانة العظمى». لأنى أعمل فى جهاز مهم وحساس فى الدولة فقد ساعدونى منذ البداية بالسكن فى حى راق وفى عمارة جديدة وكانت مسألة التمليك أيضا جديدة ورخيصة بالنسبة للآن. كان السكان وقتها من عائلات صغيرة محترمة.. مثلنا أو كبيرة مقتدرة. نلقى على بعضنا تحيات ونتبادل أحاديث اعتقدت إننى سأعيش فى بهجة مع زوجة محبة وفى عمارة جميلة وسكان متفاهمين وعمل محترم.. لكن فجأة ومنذ عدة سنوات بدأت أجد وجوها غريبة تخرج من معظم شقق العمارة. ولما سألت البواب عن هؤلاء الناس. قال إن أصحاب الشقق

يؤجرونها مفروشة. وأين يذهبون هم؟ قال: «عند أهلهم فالإيجار المرتفع من المفروش يجعلهم يتحملون النوم على البلاط». لأن زوجتى لا تعمل. هكذا قررنا من البداية.

فقد كانت تتزاور مع الجارات وكنت أسمح بذلك. فليس من المعقول أن تبقى محبوسة وحدها معظم اليوم. وعندما خرج السكان الأصليون وبدأت هذه الوفود الغريبة تتناوب على الشقق ظلت زوجتى على عادتها فى التزاور. كانت تقول لى جارتنا اليونانية قالت.. والألمانية قالت. والأمريكية قالت.. وكن يتحدثن عن أعمال أزواجهن. قلت لها يا زوجتى العزيزة لا تذكرى عملى للجارات، ربما تستقطبك واحدة لتعرف بعض الأسرار عن الدولة ويكون زوجها جاسوسا مثلا، فأنا أشك فى الأجانب، كل منهم لديه مهمة سرية غير المهمة العلنية التى يأتى بسببها بلدنا. ونصحتها ألا تتزاور معهن وأظهرت اقتناعها، وطلبت من البواب أن يعتنى بزوجتى ويحضر لها طلباتها لأنها تضطر أن تذهب للأجنبيات فى طلب أشياء تنقصها وقد فهم قصدى أن يكون عينا على زوجتى، وعلمت منه أنها لم تعد تذهب إلى الأجنبيات بل هن اللاتى يذهبن إليها، وتطلب منه شراء خضراوات كأنها كل يوم تقيم حفلة ولاحظ أن الأجنبيات يخرجن من شقتنا محملات بالأطعمة.

سألت زوجتى عن هذه الحكاية فقالت إنها أصبحت تكسب كثيرا من طهو الطعام المصرى لهن. اعترضت على عملها فتشاجرت معى.. لا أدرى تماما متى بدأت أكره زوجتى. مع بداية معاملتها المستهترة

لى؟. مع بداية ارتفاع صوتها؟. مع بداية عملها طباخة؟. كل ما أدريه إن قلبى بدأ يخفق بالكراهية كلما وقع بصرى عليها.

ربما بدأت كراهيتى لها عندما بدأت تردد الأغانى الهابطة بسوقية ولما نبهتها قالت إنها أرادت أن تثيرنى لأنى أصبحت باردا.. «يا حضرات القضاة لقد قتلت زوجتى بسبب الخيانة العظمى».. تعودت أن أضع فى مكتبى فى البيت بعض الأوراق لأراجعها. وذات ليلة اكتشفت اختفاء دوسيه كامل لموضوع غير هام. تماسكت وسألت زوجتى بهدوء من التى زارتها اليوم. ردت بسفاهة أن هذا لا يخصنى، خفق قلبى بالكراهية وهربت الدماء من عروقى. و.. قتلتها.

الزوجة علمت بالخبر!

علمت الزوجة السمراء أن زوجها تزوج زواجا عرفيا من امرأة بيضاء منذ شهرين، أولا لم تصدق الخبر، فزوجها لم يطرأ عليه أى تغير فى معاملته لها، ولم تحدث بينهما مشاكل حادة تدفعه لامرأة أخرى، ولم يفتعل معها مشاجرة سخيفة ليترك البيت يومين أو أسبوعا ليهنأ بصحبة زوجته الجديدة، فهو لا يحب المبيت خارج بيته وبعيدا عن فراشه وعنها، وعندما يتطلب منه عمله السفر إلى أحد الجمارك الساحلية فهو يعود فى نفس اليوم، وإذا تطلب بياته هناك فهو يصحبها معه وتأتى أمه لتبيت مع الأولاد، ولم يبد تذمراً من حياته معها بل دائما يظهر تعاطفه وحبه لها، وهى تعامله بالمثل ولم يرض أن يتعدها وتخرج للعمل وقت أزماتهما المالية فى السنين الأولى للزواج، وفوق كل هذا لم تكن له مغامرات عاطفية خلال العشرين عاما لعمر زواجهما،

فقد انشغل بالارتقاء بعمله، والزوجة تشعر بمثل هذه المغامرات : فلابد أن المخبر المتطوع الذى أخبرها بزواج زوجها يريد أن يكيد له لشىء لا تعرفه.

ومع ذلك لم تستهن بالخبر، فقد بحثت بمخابراتها الخاصة وعلمت أن زوجها تزوج فعلاً من مطلقة بيضاء لديها طفلة عمرها خمس سنوات ، وهى موظفة فى إحدى الشركات التى يتعامل معها مكتبه وقد تزوجها زواجا عرفيا حتى لا يعلم طليقها ويحرمها من ابنتها. لم تتشاجر الزوجة السمراء مع زوجها وتواجهه بالحقيقة التى عرفتها، أو تطلب الطلاق، أو تقتله، فهى امرأة مثقفة عصرية، تقرأ الكتب والمجلات العالمية والمحلية، واستخدمت ذكاءها الأنثوى لتخرج زوجها من هذه النزوة الزوجية.

طلبت الزوجة الأولى السمراء الزوجة الثانية البيضاء فى بيتها فى المساء وسألت عن اسم امرأة أخرى، ولما قالت لها البيضاء إن الأرقام خطأ، سألتها السمراء ألا تنهى المكالمة فهى تطلب صديقتها من فترة وتأتى الأرقام خطأ ولابد أن تليفونها عطلان، وهى ليس لديها صديقه أخرى لتحدثها وتشعر بوحدة، وقد وجدت فى صوتها حنانا فلتسمح لها أن تحدثها قليلا، رحبت البيضاء بصوت السمراء وتبادلا الأحاديث المختلفة العادية.

فى الليلة التالية وفى نفس الموعد طلبت الزوجة السمراء، الزوجة اليبضاء وقالت لها إنها لم تخطئ فى الأرقام هذه المرة وقد استراحت

لصوتها وتود مواصلة الأحاديث معها. وهكذا ظلت السمراء تطلب البيضاء عدة ليال متوالية إلى أن دعتها على فنجان شاى فى النادى الرياضى الذى تشترك فيه، واتفقت الزوجتان على ارتداء ملابس معينة لتتعارفا عند باب النادى.

لأول مرة تتحدث الزوجة السمراء عن زوجها رجل الأعمال وانشغاله بالعمل المتواصل وإهماله لها، وذكرت اسمه واسم مكتب أعماله. ربما اهتزت رموش الزوجة البيضاء، أو اهتز كوب الليمون فى يدها وصمتت للمفاجأة، وأيقنت بحسها الأنثوى أن الزوجة السمراء لم تخطئ فى طلب رقم تليفونها ولم ترد صداقتها لوجه الله، ولأول مرة تسأل السمراء عن حياة البيضاء الاجتماعية، فحدثتها عن طلاقها ولم تذكر زواجها العرفى. بعد تلك المقابلة لم ترد البيضاء أن تلفت نظر السمراء بقطع علاقتها بها مباشرة ولم تذكر شيئا من هذه الأحاديث والمقابلة لزوجها عندما جاء فى موعده الأسبوعى. لم تفاجأ الزوجة البيضاء عندما أخبرها زوجها أن زوجته سافرت إلى أختها فى لندن، فقد أخبرتها هى من قبل وسألها أن تسافر معه إلى بورسعيد لمدة ثلاثة أيام ليؤدى عملاً هناك، فهى لم تشاهد البحر هذا الصيف ومن حقها أن تتنزه وفرصة يعيشا معا حياة يومية متواصلة، فهو منذ تزوجا ويذهب إليها يومين فى الأسبوع عندما تكون ابنتها عند جدتها. فكرت فى هذه الفرصة لتعيش معه حياة زوجية حقيقية وزوجته الأولى بعيدة عنهما. لقد حكت السمراء عن زوجها للبيضاء كثيرا، قلبت كل حسناته إلى سيئات حتى قدرته فى الفراش، وفهمت البيضاء لعبة السمراء، فهى

عرفت الرجل عن قرب وليست به هذه السخافات التى تحدثت عنها زوجته الأولى، لكن عندما أصبحا وحدهما لمدة ثلاثة أيام فى شقة صديق له فى المدينة الساحلية، وجدت أنها غير مرتاحة من وجوده معها، وانكمش الحب فى قلبها، فبالرغم من ابتعاد زوجته الأولى عنها بأميال إلا أن صوتها لم يفارق أذنيها بالأحاديث المغلوطة عن زوجها.

وجدت أنها ليست طبيعية فى التعامل معه، إنها لم تجد فيه هذه الأشياء السيئة التى تحدثت عنها زوجته السمراء، لكن صوتها دائما معها. وفى نهاية اليوم الثالث قالت له إنها لن تستطيع الاستمرار معه، واحتفظت بنبل أخلاقها فلم تخبره بما فعلته زوجته الأولى عندما سألها عن سبب قرارها المفاجئ. وقبل أن تعود إلى بيتها قدمت طلبا لتغيير أرقام تليفونها.

الأنثى..

والناس تقول وداعا للصيف، ظهرت الأنثى على شاطىء المعمورة متعلقة فى ذراع شاب يصغرها بربع قرن تقريباً، مثل الذين يتمسكون بآخر نسمات الصيف قليلاً. لم يلتفت أحد من الناس القليلين على الشاطىء إلى فرق العمر بينهما، ربما لتباعد مقاعد الشاطئ والشماسى فى هذا الوقت، فالذى ينظر إليهما من بعيد، يشاهد بدن أنثى متناسق يضمه سروال ضيق موضة وبلوزة مكشوفة، ونظارة شمسية تخفى نصف وجهها وشعر طويل لا يتركه الهواء ساكنا. ويشاهد بدن شاب قوى كأنه يستعد لبطولة رياضية فى ألعاب القوى..

منذ اكتملت أنوثتها فى الخامسة عشرة من عمرها، لفتت الأنظار بشكلها الأنثوى، وكانت تتعلم فى مدرسة فرنسية فأضافت اللغة عليها النعومة فى الحديث، ومنذ ذلك الوقت وهى واعية لدلالها وأنوثتها،

وكانت فرصة اختيار عريس لها كبيرة من بين أبناء الأسر الثرية فى ذلك الوقت. اختار لها والداها شابا ثريا من عائلة كبيرة عريقة كان يكبرها بعشرين عاما. تزوجت بعد انتهائها من الدراسة الثانوية وأنجبت ثلاث بنات لم يرثن أنوثتها الصارخة، ويبدو أن الأنوثة بالمعنى الذى تتميز به هذه الأنثى موهبة لابد من مراعاتها وصقلها مثل فن من الفنون أو علم من الرياضيات.

فهى مثلاً عندما تتحدث مع عامل أو بائع أو شغال، لا تتحدث معه على أنها سيدته وهو الذى يخدمها، إنها تتحدث معه على أنه رجل، وهكذا تتعامل مع كل الذكور فى كل الفئات ومختلف الأعمار، ومعاملتها هذه لا تجعل الرجال يطمعون فيها بل لها طريقة فى معاملتهم تضفى على أنوثتها الاحترام، وتجعل من طلباتها أوامر لابد أن تطاع. عندما وصلت إلى الخمسين من عمرها ترملت، كانت قد زوجت اثنتين من بناتها وكانت الثالثة فى المرحلة الثانوية من دراستها.. ولأن زوجها كان من الأثرياء القدماء فلم يكن يملك مالا كثيرا، وقد وزع إرثه القليل بينها وبين بناتها الثلاث، بعد سنة من ترملها تزوجت من أرمل ثرى يكبرها بخمسة عشر عاماً، كان من أثرياء العصر الحديث فثراؤه كبير. وانتقلت مع ابنتها إلى الفيلا التى يمتلكها فى مصر الجديدة. كان لزوجها الثانى ثلاث بنات وشابان متزوجون جميعا، وقد قاطعوا والدهم بسبب هذه الزيجة.

عاشت الأنثى مع الثرى الجديد خمس سنوات. كان عدد الشغالين الذين يخدمونها فى الفيلا خمسة عشر، وكان مصروفها الشهرى الخاص خمسة آلاف من الجنيهات. ذاقت الحياة فى ثراء العصر الحديث وهى شيء آخر غير ثراء زوجها القديم، فثراء زوجها القديم كان عبارة عن شقة جيدة فى حى أثرياء الزمن القديم، وشغالة مقيمة، ومصروف معقول للبيت، ومصروف لكسوة الشتاء وآخر لكسوة الصيف لها ولبناتها وتعليم جيد للبنات.

أما هذا الثراء الحديث فهو ثراء بلا حساب، وصرف بلا حساب، ومصروف شهرى بلا حساب. وتعرفت من خلال زوجها على هؤلاء الأثرياء الجدد واختارت أحد أقاربه الشبان الأثرياء لتزوجه ابنتها بعد عودته من رحلة عمل فى بلد عربى، ولم تستطع خلال السنوات الخمس أن تتقرب من بنات زوجها، كن يكرهنها. بعد السنة الخامسة من الزواج ترملت الأنثى للمرة الثانية، وفى الليلة الثالثة للعزاء حضرت بنات الزوج الثلاث وضربن الأنثى، وأمرنها أن تحزم ملابسها وتترك قصر أبيهم، وقد حضر هذه الواقعة الشاب الذى اختارته لابنتها، فدافع عنها واستنكر فعلة قريباته وخساسة قريبه الذى لم يترك لأرملته شيئاً من ثرائه، فقد كتب كل ما يملك لبناته وابنيه..

عادت الأنثى إلى شقتها القديمة فى الحى العريق ولم يتركها الشاب وحيدة فى أحزانها، وقدر نبلها فى عدم مقاضاة بنات زوجها الراحل أو

حتى طلب معاش لها.. بطريقتها فى الحديث والتعامل مع الذكور لم يشعر الشاب أنها مثل أمه بل وجد فيها الأنثى الناضجة التى يتمنى الاقتران بها فطلبها للزواج. وهى لم تستنكر طلبه لأنها فى مثابة أمه، أو لأنها اختارته لابنتها، أو لأنها فى الخامسة والخمسين وهو فى الثانية والثلاثين. كانت قد انجذبت لرجولته وثرائه ولأول مرة فى حياتها تشعر أنها تحب وليست محبوبة فقط!

سألت ابنتها عن رأيها، فرحبت بالفكرة لأنها لم تحبه وتريد الزواج من زميل لها. وهكذا تزوجت الأنثى للمرة الثالثة بعد خمسة أشهر من رحيل زوجها، واستنكار شديد من أهل الشاب، وذهبت مع عريسها إلى الشاطئ لتلحق بعض الوقت من هذا الصيف قبل أن يذهب.!

عشق حتى البداية

من الذى أفسد هذا الحب العظيم؟!.. هل هو؟!.. هل هى؟!.. هل هما؟! هل هم؟!.

تعارفا فى الولايات المتحدة الأمريكية، كانت هى تعمل بدراستها الفندقية فى إدارة موتيل، وهو عبارة عن فندق صغير يقام على طريق السفر بين الولايات. وكان هو بدراسته الفندقية أيضا يعمل فى فندق على بحيرة. كان عملها فى ولاية أمريكية، وعمله فى ولاية أخرى، وقد تعارفا فى ولاية ثالثة حيث كان اجتماعاً للمصريين فى حفلة لمناسبة قومية. حدثت بينهما شرارة الحب من التقاء نظراتهما ثم اشتعلت عندما اكتشفا أنهما قد درسا دراسة واحدة ويعملان فى مجال واحد.

وبالرغم من أن الولاية التى يعمل بها تبعد عن الولاية التى تعمل هى بها بحوالى خمس ساعات فى الطائرة إلا أنه كان يذهب إليها كل أسبوع ليقضيا أجازة نهاية الأسبوع معا، ويحدثها كل يوم فى التليفون. لقد جمعهما الحب بعد أن أمضى كل منهما حوالى عشر سنوات تائها فى أمريكا بين الدراسة والعمل وقصص الحب المبتورة أو الفاشلة والغريب أنه عندما قرر كل منهما أن يبتعد عن علاقات الحب ويكرس حياته لعمله التقيا فى ذلك الاجتماع وتحابا. الحب العظيم لابد أن يتوج بالزواج هكذا قررا، لكن أين يعيشان؟!. كانت أحلامهما واحدة فى العودة إلى الوطن. لقد علما من أخبار مصر فى الجرائد وإعلاناتها عن مشاريع كبيرة سياحية ناجحة، وهناك موضة اسمها القرى السياحية، فكرا فى إقامة فندق على هيئة قرية سياحية بما ادخراه من دولارات، على أن يبحثا عن ممول لمشروعهما.

وعندما بعثا بأفكارهما إلى الأهل والأصدقاء فى مصر، وجدا اقتراحات كثيرة تشير إلى الساحل الشمالى، وعرض عليه أحد أقاربه ممولا يكون شريكا لهما وهو صاحب شركة إعلانات. وهكذا تزوجا بين فرحة الأهل بهذا الحب العظيم والآمال الكبيرة، واستطاعا مع شريكهما الثالث شراء قطعة أرض على الساحل الشمالى، وبدا فى تنفيذ مشروعهما منذ ثلاث سنوات، وكم كانت رحلاتهما إلى منطقة المستقبل مشعة بالآمال وكم كان عشقهما جميلا وقد أجلا الإنجاب إلى أن ينتهى المشروع.

كـانت أيام بناء المشـروع والإشـراف عليـه أيامـا مليـئـة بالحب والأحلام. وقام شريكهما بعمل الإعلانات اللازمة للمشروع فى الداخل والخـارج بطبـيـعة المصريين أصبـحت مـعظم العمـالة فى الفندق من أقاربهما، فالذى لديه ابنة أو ابن متخرج من كلية السياحة والفنادق أو أى كلية جامعية وغير جامعية ولا يجد عملا يذهب إليهما. وكانت فكرتهما أن يعمل الشبان والشابات ليلقنوهم أصول الفندقة الأمريكية، ويكون الفندق شابا فى كل ناحية.

بدأ الفندق عـملـه فى أول هذا الصـيف وبدأت الخـلافـات بين الزوجين، الزوجـة بخـبـرتها السـابقـة فى إدارة الموتيل كـانت مـديرة صارمـة مثل الأمريكان وظهرت طبيعة فيها لم يعرفها الزوج من قبل وهى حبها للسيطرة، وظهرت طبيعة فيه لم تعرفها من قبل وهى حبه للتـفرد بالقرارات. بدأ التناقض يظهر بينـهمـا وسـاهم فى هذا العـاملون والعاملات. أقاربه يشتكون منها له. وأقاربها يشتكون منه لها. وينقلون كلامـا ويتقولون بكلام. فى أول الأمر حـاول الزوجـان ألا يختلفـا أمام العاملين، ويتناقشان وحدهما فى حجرتهما فى المساء، لكن مع زيادة عدد المصطافين وقلة وقت فراغهما أصبح شجارهما ينفلت منهما أمام الناس. غاب الزوج يومين فى القاهرة لقضاء أشياء للفندق وعاد ليجد زوجته غيرت الكثير من قراراته وتشاجرت مع نصف العاملين. قال لها: «المركب الذى به ريسان يغرق».

وطلب منها أن تعود إلى بيتهما فى القاهرة لترتاح أعصابها وليمر الموسم الصيفى الأول لهما بسلام. وافقت وفى نفسها يقين أنه لن يستطيع العمل وحده، فشئون الإدارة هى التى مارستها من قبل وليس هو. ومن ناحية أخرى فهو يحبها ولن يستغنى عنها. مر أسبوعان وهى فى القاهرة ولم يتصل بها. لم تطلبه هى هاتفيا، هو الذى عودها على أن يطلبها، وانتظرت إلى أن طلبها، وقال لها إن كل شىء على ما يرام والفندق كامل العدد، وطلب منها أن تترك الإدارة له ويكون عملها الإشراف على العاملات، صرخت. هل بعد كل ذلك التعب فى الغربة والعمل الذى تحبه وتجيده تقوم بملاحظة العاملات. فى ثورة غضبها طلبت منه إنهاء الشركة معه، قال لها إنه سيحضر إليها ليتفاهما، وقبل وصوله وصلتها ورقة الطلاق، ثم أرسل إليها محامياً ومحاسباً ليتفقا معها على حقوقها القانونية والمالية. فى ذهولها تذكرت كلمات صديقتها الأمريكية إن عشقهما سيكون أقوى بعملهما معا، وتذكرت تحذير صديقتها المصرية إن عشقهما سينتهى مع بداية عملهما معا!!

الهديَّة..

قالت لزوجها فرحة أن ابنة خالتها جاءت من أمريكا ووعدتها بالذهاب إليها مساء اليوم، لم يبتهج الزوج ووافق على الذهاب معها متضرراً، منذ عشر سنوات سافرت ابنة خالتها وزوجها للعمل فى أمريكا، وعملا نظاماً لحياتهما أن يأخذا إجازة كل عامين لمدة شهرين فى الصيف، ويحضرا لزيارة الأهل والاطمئنان على بيتهما والاستمتاع بشواطئ مصر العظيمة بدولارات زهيدة من هذه التى يكسبونها فى أمريكا. ذهبت مع زوجها فرحة وهى متوقعة أن تعطيها ابنة خالتها هدية من أمريكا. فى أول زيارة لها أحضرت لها هدية قيمة، لكن فى الأجازات الثلاث التالية لم تحضر لها هدايا ولم تهتم.

فى أجازتها الماضية منذ عامين كانت ابنة خالتها حاملا فى شهرها السابع ومنظمة وقتها على أن تعود إلى بلدها فى أمريكا قبل الولادة

لتضع طفلها هناك، لكن فاجأها الوضع فى الشهر السابع فاستنجد زوج ابنة خالتها بها وزوجها فهرعا إليهما ونقلوها إلى مستشفى حيث وضعت بسهولة طفلتها الثانية بعد طفل ذكر. ولازمت ابنة خالتها فى المستشفى واشترت سلسلة ذهبية للطفلة، كانت تترك زوجها وابنها لترعاها، فلابد بعد ذلك الجهد البدنى والمادى الذى قدمته لها أن تحضر لها هدية قيمة من أمريكا.

هى تعرف أن زوجها لا يرتاح مع ابنة خالتها وزوجها وفى زيارتهما الأخيرة منذ عامين اغتاظ عندما حسب مرتبه الشهرى بسعر الدولار فى مصر، فوجد أنه يعادل يومين من المرتب الشهرى لزوج ابنة خالتها وأسبوعاً من مرتب ابنة خالتها فى أمريكا.. استقبلتهما ابنة خالتها بالأحضان، ووجدت مجموعة من الأقارب والأصدقاء. جلست بجانبها فرحة وسألتها أين ستقضى شهرى الأجازة؟ قالت ابنة خالتها إنهم قضوا شهراً فى الساحل الشمالى وعادوا من يومين ويبقى لهم شهر. شعرت بشىء من الحرج وزوجها يرمقها بنظرة ساخرة، لقد قالت له إن ابنة خالتها حدثتها فور عودتها من أمريكا لأنها افتقدتها. وزال تعجبها من مشاهدة وجوههم التى اكتسبت السمرة من لفحة الشمس بعد أن عرفت السبب.

تحدثت ابنة خالتها عن جمال الساحل الشمالى، وقالت إنهم سيسافرون إلى شواطئ البحر الأحمر، لقد استمتعوا بالبحر الأبيض ويريدون الاستمتاع بالأحمر.. لابد أن ابنة خالتها أحضرت لها هدية

قيمة من أمريكا لكنها لا تستطيع أن تعطيها لها وسط هذا الجمع.. لذلك عندما ذهبت إلى المطبخ ذهبت وراءها لتساعدها وهى متوقعة فى نفسها أن تحدثها عن الهدية، لكن ابنة خالتها حدثتها عن الحلوى التى صنعتها، وحملت معها الشاى والحلوى للضيوف، بدأ رأسها يدق، إنها لا تفكر فى الهدية لأنها محتاجة لشىء، فالهدية معناها أن ابنة خالتها تذكرتها وقدرت المجهود الذى قامت به من أجلها، وهدية العائد من الخارج مهما كانت بسيطة تُسعد.. زجاجة «بارڤان» يمكن أن تسعدها. لابد أن ابنة خالتها ستعطيها زجاجة «بارڤان» قبل أن تنصرف لتخبئها فى حقيبة يدها. انخفضت قيمة الهدية فى أفكارها من شىء قيم من أمريكا، إلى زجاجة «بارڤان» من سوق المطار أو من الطائرة.. ذهبت ابنة خالتها إلى حجرة النوم فذهبت وراءها حاملة حقيبة يدها بحجة أنها تريد أن تصلح من شعرها، ربما تعطيها الهدية فتضعها فى حقيبتها بعيداً عن عيون الآخرين، لكن ابنة خالتها حدثتها عن المشغولات الذهبية التى اشترتها بالأمس وفرجتها عليها.

تلكأت قليلاً ربما تعطيها الهدية، لكن شيئاً من هذا لم يحدث.. عادت إلى حجرة المعيشة وتملكها شعور بالإحباط، زاد الدق فى رأسها ولم تعد تسمع شيئاً مما يقولون، شعرت بتوتر، فأشارت لزوجها أن ينصرفا، وقام على الفور. خرجت معهما ابنة خالتها إلى باب الشقة. احتضنتها، وقالت لها إنهم عندما يعودون من رحلة البحر الأحمر ستحدثها لتراها قبل عودتهم إلى أمريكا، أرادت أن تتأكد من مسألة

الهدية فقالت لها إنهم سيذهبون إلى الأسكندرية فى هذا الوقت. قالت ابنة خالتها بطريقة أمريكانى: «إذا نلتقى فى إجازتنا القادمة».

وتأكدت أنها لم تحضر لها هدية.

جلست صامتة بجوار زوجها فى السيارة تخفى إحباطها فليس من اللائق أن تحدثه عن هذا الشعور. قال زوجها إن ابنة خالتها قليلة الذوق. خافت أن يعلق على مسألة الهدية فلم تجعله يكمل تعليقه، وانفجر غضبها وإحباطها وقالت إنه يكره أقاربها وابنة خالتها هذه بالذات. تعجب زوجها من غضبها المفاجئ، فقد كان يريد أن يُعلق على فناجين الشاى التى يعلوها التراب..!

سُلالة فراعنة

كان الجو خانقا من الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة، وأكثر خنقا فى هذه السيارة التابعة للشركة لتوصيل العاملين إلى منازلهم. جلست فيها سبع موظفات وموظفان جلسا فى آخر السيارة. كانت الموظفات تُمروحن على وجوههن بأوراق سميكة انتزعنَها من دوسيهات العمل بلا فائدة فى جلب الهواء.

قالت الموظفة (١) إنها ستطلب من المدير الجديد أن يأمر بوضع جهاز تكييف هواء فى سيارتهم هذه. ابتسمت موظفتان، وضحكت اثنتان، وتبادلت اثنتان النظرات، ولم يلتفت الرجلان إلى كلامها، وقالت بصيغة الأمر لسائق السيارة إنها ستذهب إلى منزل والدتها. قال لها السائق إنه سيوصلها إلى ناصية الشارع لأن عمليات الحفر فى هذا

الطريق تضايقه وسيعطل الباقين لأنه سيضطر بعد ذلك للالتفاف إلى طريق آخر وهذا سيأخذ وقتا والحر فظيع.

قالت الموظفة (١) غاضبة إنه إذا لم يوصلها إلى باب بيت والدتها ستشكوه للمدير. انضمت الموظفات إلى رأى السائق، فأصرت على أن يوصلها إلى باب البيت وأضافت بدلال ألا يعلمون أنها هى التى على الحجر؟!. خاف السائق من عبارتها الأخيرة وقال إنه سيوصلها فربما تكون فعلا هى التى على حجر المدير الجديد وربما تؤذيه.

مال أحد الرجلين على زميله وقال هامسا بامتعاض: «أليس عيبا وفضيحة أن تتحدث زميلة عن نفسها هكذا؟!». هز الرجل الثانى رأسه وقال: «الحجر فى اللغة العربية معناه الكنف والحماية يعنى عندما تقول إنك على حجر فلان معناه أنك فى حمايته». قال الرجل الأول: «وهل قالت الزميلة عبارتها بهذا المعنى اللغوى، وهل يفهمه أحد من الموجودين؟ أننا نعرف أن التى تقول هذه العبارة معناها إنها المدللة وأشياء أخرى!»..

وبعد أن نزلت الموظفة (١) أمام بيت والدتها بين نظرات الضيق من بقية الراكبين فى السيارة قالت الموظفة (٢): «على فكرة يا جماعة المدير الجديد لا يطيق زميلتنا هذه وينتظر أى خطأ منها ليعاقبها، قال لى هذا أكثر من مرة وأنا أتحدث معه على انفراد فى مكتبه». همهم سائق السيارة بكلمات عندما سمع هذا التعليق.

بعد أن نزلت الموظفة (٢) قالت الموظفة (٣): «أنا متأكدة إن عمرها ما تحدثت مع المدير وقد شاهدتها أكثر من مرة فى مكتب سكرتيرته ترجوها أن تقابله لشىء هام. وطبعا الشىء الهام هو نميمة على زملائها وزميلاتها فى القسم الذى تعمل به وتذكرون كيف كانت تشى بهم عند المدير القديم».

بعد أن نزلت الموظفة (٣) من السيارة قالت الموظفة (٤): «لا أحد فى الشركة يذم على زملائه مثل زميلتنا التى تتهم الناس جزافا، فهى كل يوم عند المدير الجديد، ويلبى كل طلباتها تصوروا أنه أمر بسيارة خاصة توصلها إلى بلدها عندما مات خالها، وانتظرتها إلى أن قامت بالعزاء وعادت بها، يوم كامل تعطل سيارة للشركة».

بعد أن نزلت الموظفة (٤) قالت الموظفة (٥): «الهانم التى تتباكى على تعطيل سيارة للشركة أعطاها المدير مكافأة مالية بدون مناسبة بعد أن أقامت له حفلة فى بيتها بمناسبة تعيينه وعزمت بعض زميلاتها وزملائها الذين تثق فيهم ورقصت أمامه بخلاعه لتسليه وهى متأكدة أن هذه الحكاية لن يعرفها أحد لكنها انتشرت بعد أن أخذت المكافأة»..

بعد أن نزلت الموظفة(٥) من السيارة قالت الموظفة (٦) لزميلتها: «شىء مضحك.. تعيب على زميلة انها اقامت حفلة ورقصت بخلاعة، وأنا كنت فى الرحلة التى نظمها قسمها ودعوا إليها المديرالجديد وشاهدت العجب مما فعلته لتتقرب إليه». سألتها الموظفة (٧): «ماذا فعلت»؟! نظرت الموظفة (٦) إلى الرجلين وقالت إنها ستحكى لها فيما بعد.

نزلت الموظفتان من السيارة. قال الرجل الأول لزميله: «لا أدرى لماذا اختاروا هذا الرجل ليكون مديراً وعندنا فى الشركة آخرون أكفأ منه وأحق منه فى المنصب؟!».

قال الرجل الثانى: «الحكاية كما فهمتها أن سوء التفاهم والخلاف وثل إلى ذروته بين المدير القديم ورئيس الشركة بسبب مكاسب مالية طلبها رئيس الشركة لنفسه ورفضها المدير القديم لأنها غير قانونية، فأقاله وعين بدله ألد أعدائه فعمل عكسه تماما فى كل شيء، والرجل لم تمض شهور على توليه السلطة وزادت عمليات استفزازه للموظفين وجعلهم جواسيس على بعضهم، وأولهم الموظفات كلاً على حدة بأنها المقربة إليه لتكون عيناً له على الآخريات، هل سمعت من قبل كلاما من الموظفات مثل الذى سمعناه الآن؟» هز الرجل الأول رأسه وقال: «حقيقة سُلالة فراعنة».

سأله الرجل الثانى ماذا قال؟. فنظر إليه نظرة شاكة وقال.. لا شيء..

الشبيه..

كلما دخل أحد إلى القاعة المقام فيها الفرح من زملاء العروس وزميلاتها يعتقد من النظر عن بعد أن العريس هو رئيسهم فى المؤسسة، لكن عندما يقتربون من العروسين للسلام والتهنئة يجدونه أصغر فى العمر كثيراً. أقصر فى طول القامة قليلاً. أسمر فى لون الوجه تقريباً، وقالت إحدى الزميلات أن الله لم يخلق شبيها لرئيسهم سوى هذا العريس.

الحقيقة كما يقول المثل يخلق من الشبه أربعين وربما أكثر، ففى الرحلات السياحية الخارجية التى اشتركت فيها العروس فى السنين الماضية وجدت فى محل لبيع التماثيل التذكارية فى مدينةأثينا تماثيل صغيرة تشبه رئيسها بتقاطيع وجهه الأغريقية وبدنه القوى، وقد اشترت تمثالين، أهدت لرئيسها واحدا، وضحك يومها وهو ينظر إلى التمثال وقال لابد أن أحد أجداده كان أغريقيا.

وفى رحلة أخرى سياحية قامت بها العروس فى إحدى مدن أوروبا الشرقية شاهدت تمثالين كبيرين يشبهان رئيسها يحوطان بمدخل بيت عريق ووقفت تتأملهما بحب، وتمنت ان تشترى ذلك البيت وتعيش فيه. ربما منذ تلك الرحلة قررت أن تبحث عن شبيه رئيسها، مادام موجوداً فى شرق العالم وغربه لتبحث عنه، لتدعو أن تجده فى الحقيقة مدام موجوداً فى تماثيل. المفهوم طبعاً أنها أحبت رئيسها بشكله الإغريقى وبدنه القوى، لكنه يقترب من الستين ومتزوج وله بنات وأبناء، وليس فى خطة حياته الزواج مرة ثانية، وقد فهمت منه هذا فى حديث خاص بينهما.

ذات يوم بعد انتهائه من اجتماع مع رؤساء الأقسام وهى واحدة منهم، كان مكتئبا على غير عادته، فتلكأت فى مكتبه إلى أن خرج المجتمعون وسألته ماذا به؟! قال لها وعيناه تلمعان بدموع محبوسة إنه يثق فيها وفى إخلاصها لذلك سيطلعها على مأساة حياته، وحكى لها عن زواجه غير المتكافىء وماذا تفعله زوجته الجاهلة، لكنه لا يفكر فى تركها أو طلاقها لأنه يحب بناته وأولاده ويعيش معها من أجلهم، وهو يحكى لها لم تستطع أن تحبس دموعها، أرادت أن تضع رأسه على صدرها وتعترف له بحبها الصامت منذ سنين وإنها ترفض الزواج حتى لاتنشغل عن حبه، لكنها لم تستطع. بعد أن مسحت دموعها سألته لماذا لايتزوج بدون علم أسرته من واحدة تحبه وتقدره ليرتاح معها بعض الوقت، كان تلميحاً مكشوفاً لابد أنه فهم، فقال لها إنه لا يحب هذه الطريقة فى الزواج السرى سواء كان رسمياً أو عرفيا. فهو إذا تزوج لابد

أن يعلم كل الناس وهو لم. و.. لن يفكر فى الزواج حتى وإن ماتت زوجته، وكل ما يرجوه منها أن يتسع صدرها للاستماع إلى شكواه من وقت لآخرلأنه شعر براحة غريبة لأول مرة فى حياته عندما تحدث إليها، فهى أول من تحدث معه عن مأساته منذ عشرين عاماً، وقد شعرت يومها بسعادة وإحباط شعوران لا يتفقان معا لكن هذا ما شعرت به، سعادة لأنه شعر بحبها له وخصها بأسراره، وإحباط لأنه لن يسألها شيئاً أكثر من هذه الجلسات معه. فى عمره الثلاثينى رئيسة قسم ومرتبها محترم وحبها يائس، لذلك بدأت تشغل نفسها بالرحلات فى أجازاتها الصيفية، وعندما وجدت شبيه حبيبها فى تلك التماثيل منت نفسها أن تجد الشبيه فى الحقيقة ووجدته.

فى صيف العام الماضى ذهبت مع والدتها إلى المعمورة بدعوة خالتها فى شقتها الجديدة، وذات عصر كانوا يجلسون فى الشرفة المطلة على البحر عندما وقع نظرها فى الشرفة المجاورة على شبيه حبيبها رئيسها، خفق قلبها وسألت خالتها بدون خجل عن هذا الشاب جارها. نظرت إليه خالتها ونادته باسمه ودعته مباشرة ليشرب معهم الشاى، تعلقت نظراتها به فتعلقت نظراته بها ولبى الدعوة. لاحظت خالتها وأمها إنهماكهما مع الشاب فى حديث طويل وارتاحتا فأخيرا ربما تتزوج. لم تهتم بعمر الشاب الذى يصغرها بخمس سنوات، ولا بدخله من عمله الذى أقل من دخلها، وهو أعجب بها من حديثهما الأول فقد كان لحسن حظها مشتاقاً لفتاة ناضجة عاقلة. خلال الشهور الأولى من

هذا العام تم التعارف بينهما واتفقا على الزواج فى بداية هذا الصيف لقضاء شهر العسل على الشاطىء الذى جمعهما.

وقد شاهد العريس التمثال الإغريقى فى مكان مرموق من حجرة المعيشة فى شقة والديها وتعجب فقالت له إنها كانت تحلم به قبل أن تراه وصدقها. خلال تلك الشهور قبل الزفاف وجدت فى الشاب مزايا كثيرة أعجبتها، وقد سألتها صديقتها المقربة هل أحبت الشاب لأنه شبيه رئيسها؟!.. فقالت لها صادقة: إنها فى أول الأمر أحبته لأنه شبيه حبيبها رئيسها. لكنها الآن تحب رئيسها لأنه شبيه حبيبها زوجها!!

المحظوظة..

اعتقد المقربون من هاتين الصديقتين أن واحدة محظوظة جداً والأخرى قليلة الحظ. ويستشهدون على ذلك بمثل من خيالهم، أنه إذا وقفت (أ) المحظوظة بجانب (ب) قليلة الحظ أمام عجلة الحظ المشهورة «الروليت»، واختارت (أ) رقم ٤ واختارت (ب) رقم ٣ ستدور العجلة بالكرة الصغيرة، وستهتز الكرة أمام رقم ٣ كأنها ستنزل فيه ثم تتحرك لتنزل فى رقم ٤ ونكسب (أ) المحظوظة، لكن إذا سردنا بعض الحكايات والأمثلة الحقيقية فى حياتهما سنفهم أن الحظ ليس له دخل فيما حدث لحياة كل منهما.

لقد بدأت صداقتهما منذ دراستهما فى المدرسة الثانوية، كانت معلمة الفصل معجبة بدماثة خلق (ب) وصدقها فى التعامل مع زميلاتها، لكنها اختارت (أ) لتكون رئيسة الفصل أو بتعريف التلامذة ألفة على

الفصل، والصديقتان كان صوتاهما جميلين وتشتركان فى فرقة الموسيقى والغناء بالمدرسة، لكن (أ) هى التى كانت تختارهامدرسة الموسيقى لتغنى منفردة فى حفلات نهاية العام الدراسى أمام المدعوين والمهمين فى وزارة التربية والتعليم.

إذا عرفنا السبب لن نقول إنها مسألة حظ، فقد كانت (أ) تنقل أخبار زميلاتها إلى معلمة الفصل لذلك اختارتها رئيسته، وكانت تحمل الهدايا خلسة إلى مدرسة الموسيقى لذلك كانت تختارها لتغنى منفردة فى الحفل الختامى. لم تتأثر صداقة الصديقتين بتلك الأحداث، كانتا تستذكران معا، وتتنزهان معا، والتحقتا بكلية جامعية واحدة، كان الطلبة المقربون للصديقتين يسعون إلى صداقة (ب) لكنهم كانوا يتنافسون على حب (أ). لم تكن (أ) أكثر جمالاً من (ب)، بل كانت الصديقتان على مستوى واحد من الجمال، لكن الحقيقة أن (أ) كانت تمنى الذين يتقربون إليها بعلاقة حب، أما (ب) فكانت تعاملهم بصراحة إنها صديقة فقط.

عندما تخرجت الصديقتان من الجامعة وبدرجة نجاح واحدة تقدمتا للعمل فى شركة أجنبية وفى الاختبار الشخصى نالتا نفس الدرجة، لكن الشركة عينت (أ) واعتذرت للأخرى، وتأكدت (ب) من شعورها القديم وهو أن صديقتها محظوظة وأكد شعورها المقربون منهما، لكن الحقيقة التى لم تعرفها (ب) أن صديقتها سعت عند أقاربها المهمين فتوسطوا لها فى الشركة الأجنبية عند الرؤساء المصريين فاختاروها، ولم يكن فى

عائلة(ب) ناس مهمون ولم يخطر على بالها مسألة الوساطة فى التعيين، لذلك تعبت كثيراً فى البحث عن عمل إلى أن تم تعيينها فى شركة مصرية وكان مرتبها نصف مرتب صديقتها فى الشهر وربما أقل حيث أن (أ) كان نصف مرتبها بالدولار، وبالرغم من ذلك لم تتأثر صداقتهما، كانتا تلتقيان دائما فى نهاية الأسبوع.

ذات يوم ذهبت الصديقتان بدعوة من صديقة لهما إلى ناد رياضى والتقيتا هناك بشقيق صديقتهما الداعية وكان شاباً رياضياً جذاباً وأيضاً من أسرة ثرية وقد أعجب الشاب بالفتاة (ب) وعبر عن إعجابه بها، لكن مثل كرة لعبة الحظ نزل فى الرقم الآخر وتزوج من المحظوظة(أ).

لم تكن الحكاية مسألة حظ كما ظنت (ب). الحقيقة أن (أ) كانت تذهب إلى النادى كل يوم بعد إنتهائها من عملها لأنها وجدت إحدى قريباتها مشتركة هناك وتقربت من الشاب الرياضى فتزوجها. وهكذا أكتملت عناصر الحظ للمحظوظة (أ) فهى تعمل عملا مربحا وتزوجت من شاب ثرى وقد صرحت لصديقتها أن زواجها ليس مبنيا على حب قوى كما تظن، وأن ثروة والد زوجها ستقسم على خمسة لذلك لن تغير عملها فى الشركة الأجنبية الذى يأخذ معظم وقتها، وهى تريد أن تظل قوية بقوة المادة. وتزوجت (ب) بعد عدة سنوات من زواج صديقتها من رجل أحبته وأحبها حبا حقيقا، وبدخله ودخلها من عملهما حياتهما معقولة. تباعدت لقاءات الصديقتين وإن ظلت صداقتهما خلال أحاديثهما التليفونية، وكثيراً ما تتحدث (أ) عن مشاكلها الزوجية بسبب

انشغالها فى عملها. عندما استلم زوج (أ) إرثه انتقل وزوجته إلى عمارة جديدة ودعت صديقتها (ب) وزوجها لزيارتهما، بهرت (ب) بالشقة الواسعة الفاخرة والأثاث الجديد، لكنها لم تشعر بترابط صديقتها وزوجها، لم تشعر بدفء فى الشقة الفاخرة، فقد كانت (أ) طول الوقت تتحدث عن النقود التى دفعتها وتؤكد أن زوجها اشترى الشقة فقط، ومع ذلك وربما لأول مرة فى حياة صداقتهما شعرت (ب) بالغيرة من صديقتها المحظوظة.

لاحظ زوجها اكتئابها فقرر أن يفاجئها بدعوة إلى رحلة صيفية على شاطىء جديد بالمكافأة التى نالها من عمله. وهما مسترخيان على الشاطىء فى لحظة شعور بالرضا والحب فكرت (ب) فى صديقتها المحظوظة وحياتها الثرية فى كل شىء، لكن صديقتها لم تنعم يوما مع زوجها برحلة ممتعة كالتى تنعم هى بها، فقد ذابت مشاعرها فى أرقام الدولارات التى تكسبها، وأقسمت فى نفسها أن صديقتها لم تشعر بمشاعر الحب والرضا كما تشعر هى بها، وهذه المشاعر التى تنعم بها تساوى مليون دولار ثم ابتسمت فى نفسها إنها هى المحظوظة.

عدوتى

تعب الدكتور «م» من متابعة الأبحاث والكلمات فى هذا المؤتمر الإجتماعى المقام فى مدينة ساحلية، فقرر أن يخرج إلى شوارع المدينة ليستنشق هواء البحر ثم يتبعه إلى المحلات ليشترى قميصاً خفيفاً.

فى محل ملابس للجنسين وأثناء معاينته للقمصان التفت ليشاهد بعض المعروضات فاصطدمت نظراته بوجه يبتسم له، يعرف صاحبته جيداً، همس فى نفسه «هذه عدوتى»، لكنه أوجدمن الواجب الأدبى أن يرد تحيتها بإيماءة من رأسه.

التفت إلى البائعة واختار قميصاً وذهب مسرعاً ليدفع الحساب ليختفى من المحل، فوجدها مرة أخرى أمامه، بادرته بالسؤال: ماذا تفعل فى هذه المدينة؟ قال باقتضاب: إنه فى مؤتمر، فقالت دون أن

يسألها إنها فى زيارة لخالتها، وسألته قبل أن يخرج عن اسم الفندق الذى يقيم به.

قال الاسم هامساً حتى لاتسمعه وسارمسرعاً ليختفى منها.. لقد كانت صديقة مقربة للفتاة التى كانت خطيبته، عندما كان يطلب خطيبته فى التليفون ويجد الخط مشغولاً بالساعات كانت تقول له: إنها كانت تتحدث مع فلانة صديقتها، عندما كان لايجدها فى منزلها كانت تقول له: إنها كانت مع صديقتها.

وفى يوم دعاها مع صديقتها هذه على الغداء فى مطعم فلاحظ أن صديقتها تعرف عنه الكثير ولم يعجبه هذا، فقد كان يحكى لخطيبته كل شىء عن حياته لتظهر صورته واضحة لها، وايقن أن كل ما كان يحكيه لها صديقتها تعرفه، ولابد أنها كانت تعرف أيضاً كل مشاعر الحب والغضب بينه وبين خطيبته، وقد شعر أن هناك شبحاً لفتاة أخرى فى حياته، واحدة تنظر إليه وتقول نظراتها إنها تعرف كل شىء عنه ليأخذ حذره. ولأنه دارس للعلوم الاجتماعية والنفسية فهو يفهم النفس البشرية، إذا هو حذر خطيبته من صديقتها أو هاجمها ربما تلتصق بها أكثر وقطعاً ستنقل كلامه لها، وربما تنصحها صديقتها بأنه لا يصلح لها لأنه سيمنعها من صديقاتها ومن الحياة الاجتماعية، وإذا أبدى إعجاباً بصديقتها ربما تظن خطيبته إنه سينجذب لها أو إنه يفضلها عليها فهو ملعون إذا هاجم صديقتها وملعون إذا أعجب بها. إنه لم يجد صديقتها هذه شيطانة، ففيها بعض المميزات والجاذبية مثل خطيبته وإلا ما كانتا

صديقتين، لكنه كلما شاهدهما معاً كان يشعر بشعور غريب لأنه تأكد أنهما تتحدثان عنه. الرجال لا يتحدثون مع أصدقائهم عن فتياتهم مثلما يحدث مع النساء. الرجال يتحدثون عن النساء عامة.. لكنهم لايتحدثون عن علاقاتهم الخاصة معهن، ويمكن أن نعرف أن امرأة ما مهمة فى حياة رجل عندما لايتحدث عنها.

وكانت أهم المشاكل التى واجهها مع خطيبته إنها لاتريد السكن فى شقته المتواضعة التى كان يسكنها فى حى شعبى. وقد حاول إقناعها ببدء حياتهما الزوجية فيها إلى أن تتيسر له المادة لينتقلا إلى حى آخر، وكان رفضها بإصرار لابد أن يغير شقته أولاً، واعتقد أن صديقه خطيبته تشجعها على هذا الرفض.

تراكمت المشاكل بينه وبين خطيبته إلى أن ألقت بخاتم الخطوبة فى وجهه، وقد علم فيما بعد إنها تزوجت وسافرت مع زوجها إلى أمريكا، وقرر ألا يقدم على الزواج إلا بعد أن ينتقل من شقته المتواضعة التى كانت سبباً فى انهيار حبه وزواجه.

وقد وفقه الله بطريقة لم تخطر على باله فى الانتقال إلى شقة فى حى جديد كان قد اشتراها أخاه الأكبر من جمعية تعاونية فى عمله ثم جاءه عمل فى الخارج فتنازل له عن الشقة على أن يدفع له بقية ثمنها بأقساط مريحة لميزانيته.

عند الغروب وأثناء وجوده فى حجرته بالفندق دق جرس التليفون وسمع صوتها. قال فى نفسه «هذه عدوتى». سألته إذا كان ليس مرتبطا فهى تود أن تقابله.

صمت، فقالت إنها تعرف إنه يكرهها لذلك تود أن تتحدث معه، وافق على مضض فأعطته عنوان مقهى على شاطئ البحر..

عندما قابلها قال مباشرة إنه يعرف إنها أيضاً تكرهه.

قالت إنها لم تفكر أبداً إنه رجل سيء وقد كانت تدافع عنه، بل إنها كانت معجبة بشخصيته، فهو لم يقصر فى حق خطيبته بل هى التى تركته.

سألها بسخرية كيف أعجبت به، وقد علمت بكل الأشياء السيئة عنه؟!

قالت: إنها فعلاً علمت من خطيبته كل سيئاته وأيضاً كل حسناته، لاحظ إنها تنظر إلى أصابع يديه، فقال إنه لم يتزوج لأنه انشغل بتحضير الدكتوراه والأبحاث وأصبح يسافر كثيراً فى مؤتمرات داخلية وخارجية و.. لم يجد الإنسانة التى تملأ قلبه وترضى بحياته.

سألها ألم تتزوج؟

هزت رأسها بالنفى ولم تقل الأسباب، حاولت أن تحكى له عن خطيبته السابقة وحياتها فى أمريكا فغير الحديث، تحدثا عن البلد والمؤتمر وعمله وعملها وياللعجب شعر بانجذاب إليها وإعجاب بشخصيتها.

وتواعدا على اللقاء فى اليوم التالى. لم يرد أن يأخذ مواصلة إلى الفندق وسار يصفر بألحان يحبها، تعجب إنه لم يفعل هذا من زمن!.. توقف لحظة وهمس لنفسه.. عدوتى.. هل يمكن أن تصبح زوجتى؟!

فى كلتا الحالتين ينتهى الحب!

لجأ الشاب إلى الطريقة التى يجمع بها الشباب الآن النقود لتكوين حياتهم الزوجية، فقد سافر للعمل فى بلد نفطى، ودعته خطيبته بالدموع وسألته أن يعود فى أجازة لأنها لا تتخيل الحياة بدونه قال لها إنه سيقتصد من مرتبه على قدر ما يستطيع وفى أول أجازة سيجلب النقود ليبدأ فى عمل بيتهما.

قالت له خلال دموعها الأفضل أن يرسل لها النقود الزائدة عن حاجته لتطمئن ولتحفظها له فى بنك إلى أن يعود، وافق الشاب فكان طموحه فى السفر ليصنع بيتا جميلا لحبيبته، لم يفكر مثل الكثيرين أن يكون رأس مال ويفتح مكتباً خاصاً مثل زملائه المهندسين، كان كل الذى فكر فيه بيتاً لحبيبته. أبعد عن رأسه فكرة أن تسافر له خطيبته ويتزوجا. لم يرد أن يصنع بيتاً هناك، أو يبدأ حياة زوجية تعطله عن عمله أراد أن ينتهى من مهمته خلال سنوات قليلة ويعود.

مرت الشهور الأولى وأرسل لها كمية من المال لأول مرة تراها فى حياتها، وبدلا من أن تضعها فى بنك باسمه وضعتها باسمها هى. فالبعد يضع بذور الشك، ربما قلبه يتحول عنها ويأخذ نقوده ويكون قد أخذ أجمل سنوات عمرها أيضا. لكن هل ستستمر عواطفها ملتهبة لغائب، وهل ستبقى على ما هى عليه؟ ستكبر قليلا. ومهما كانت الخطابات بينهما فالعواطف مثل الزرع إذا لم تروى تذبل.

كان هذا المنطق يشغلها قليلا لكنه أصبح يؤرقها بعد عام من غياب خطيبها، خصوصا عندما تقرب إليها أحد زملائها فى العمل وشاهدت الحب فى عينيه. فهو من العاملين النبهاء الذين يحملون شهادة عالية. وهى من العاملات اللاتى يحملن شهادات متوسطة ويعملن فى أمور السكرتارية. كان يجد حججاً كثيرة ليجلس بجانب مكتبها لتكتب له شيئا على الآلة الكاتبة أو تطبع شيئاً على الة التصوير الجديدة.

عندما وجد خاتم خطوبة فى يدها سألها عن المحظوظ. لم تجبه فى أول الأمر. لكن التواجد المستمر يصنع آلفة وحدثته عن سفر خطيبها واضطرارها لانتظاره سنين! تألم لحالها كما تألم لحاله لأنه أحبها، وهكذا بدأت القلق على عواطفها خصوصا إنها وجدت قلبها يخفق بالحب لزميلها وإعجابها به يفوق إعجابها بخطيبها. والبعيد عن العين. بعيد عن القلب. فماذا تفعل فى هذه المشكلة؟

حدثت صديقة لها عن خوفها من ترك خطيبها الذى يرسل لها نقوداً وعن الحبيب الجديد الذى عرفت إنه لا يملك سوى مرتبه البسيط.

قالت لها صديقتها بمكر إن فى يدها الحل.. أى فى يدها النقود.. سنة وراء سنة والخطيب لا يحضر فى أجازة ليستمر فى العمل ويرسل لها النقود. ازداد بعد خطيبها، وازداد قرب زميلها ولم تعد تحتمل كبت عواطفها فسألت زميلها أن يتزوجا. قال لها إن أمامه عدة سنوات حتى يستطيع أن يتزوج وهو يحب عمله الذى يتدرج فيه ولن يقوم بمغامرة الاغتراب من أجل النقود. قالت له إنها تستطيع أن تدفع لشقة وليساعدها فقط فى التأثيث. تعجب من اقتراحها فهو يعرف إنها من أسرة بسيطة ولا يمكن أن تكون قد اقتصدت من مرتبها القليل هذا المبلغ الكبير . أمام إصراره على معرفة مصدر النقود خافت أن يشك فى سلوكها فقالت له الحقيقة التى وقعت عليه مثل رصاصة فى كتف مجروح.

وقال إنه سيفكر فى الأمر.. لم يعد الشاب لديه أوراق لتكتبها له على الآلة الكاتبة أو تطبعها له. لم يعد يطرق باب حجرة السكرتارية وعندما تسأل عنه فى مكتبه يرد عيلها ببرود ويقول إنه مشغول. عندما اشتعلت عواطفها وزاد حنقهاعليه انتظرته عند باب الخروج لم تهمها العيون المتطلعة وتقدمت منه بجسارة تسأله أن يسير معها فهى تريده لأمر هام. وهو يعرف هذا الأمر الهام فقال لها على الفور إنه يرفض أن يبنى سعادته على سرقة آخر فهو لن يسرقها هى فقط منه بل سيسرق نقوده أيضاً وهذا من الفظاعة غير مقبول. وإذا أرادت أن تتزوجه فعليها أن تكتب النقود باسم خطيبها وتخبره بقرارها فى الابتعاد عنه وعليها أن تحتمل تكوين بيتها معه خطوة خطوة.

فكرت سريعا فى حياة الفقر والتعب مع حبيبها. إذا كانت انتظرت خطيبها ثلاث سنوات لماذا لا تنتظر المزيد؟

ففى كلتا الحالتين ينتهى الحب.. فى حالة الانتظار وحالة الفقر. الانتظار يمكن احتماله ففيه بعض الأمل، لكن الفقر.. توقفت خطواتها وسألها حبيبها هل فكرت؟! ابتسمت بمرارة وسارت مبتعدة عنه..

امرأة مختلفة

فرح الزوج برسالة زوجته، لتحديدها عن موعد وصولها إلى أرض الوطن ولهذه العبارة التى ختمت بها رسالتها إنها أصبحت امرأة مختلفة. لقد قال لها زوجها قبل سفرها: إنها ذاهبة إلى عالم مختلف فى الولايات المتحدة الأمريكية، وعليها أن تستفيد من منحتها التدريبية التى حصلت عليها من عملها وتستفيد من الحياة هناك. وتمنى أن تعود بعد الستة أشهر امرأة مختلفة.

لم يشعر الزوج بأزمة غياب زوجته بالنسبة لرعاية الطفلين، الولد فى المرحلة الابتدائية والبنت فى الحضانة، ولا برعاية البيت. فقد تطوعت أمه بالإقامة معهم فى هذه الفترة.

سارت حياته لا ينقصها شىء، بل إنه وجد وقت فراغ أكثر لممارسة هوايته فى القراءة وكتابة التعليقات على الأحداث الاجتماعية والسياسية

فى مقالات يرسلها من وقت لآخر إلى الصحف المصرية وأحياناً تنشرها، بجانب عمله فى جهاز مهم من أجهزة الدولة يأخذ معظم وقته فهو يهوى القراءة وتثقيف نفسه. وهذا أيضاً يفيده فى عمله، ولولا إن له دخلاً خاصاً من إرث والده لضاع نصف مرتبه فى شراء الكتب والمجلات المحلية والأجنبية..

لقد أحب زوجته منذ تسع سنوات وتزوجها منذ ثمانى سنوات. لكنه لم يستطع أن يجعلها تحب هوايته فى القراءة. فهى تكتفى بمعلومات عن عملها، تقرأ عناوين الصحف وتشاهد الصور فى المجلات وتسهر مع برامج وأفلام التليفزيون. أحياناً كانت تسأله أن يشرح لها حدثاً ما فى الأمور السياسية أو الاقتصادية وحتى الاجتماعية، لكنه اكتشف بعد تجارب كثيرة فى هذا الشأن أنه بينما يشرح لها كانت تختفى من أمامه أو تحدث أحد الطفلين أو الشغالة وأحياناً بعد حديثه تقول له كلمات بعيدة تماماً عن الموضوع الذى يشرحه، ويشعر بإحباط لأنها لا تشاركه فكراً ناضجاً.

إنها ليست امرأة سيئة الطباع أو مهملة فى بيتها فهى تقوم بعملها فى البيت خير قيام كما تؤدى عملها فى وظيفتها بجدية بدليل إنهم اختارها لهذه المنحة التدريبية. وهو يحبها بملامحها الشرقية. ولون بشرتها القمحية. وعينيها البنية. وخفة دمها وابتسامتها الصباحية، وشعرها البندقى المجعد. إنه يحبها، لكن كما يقال فى المثل.. «الحلو لا يكتمل فتفكيرها سطحياً وأحاديثها لا تتعدى الأمور المنزلية. وموضة الأزياء

والتفاهات التى تسمعها من زميلاتها وصديقاتها عن حياتهن الزوجية، لذلك كانت أمنيته التى قالها قبل سفرها أن تصبح امرأة مختلفة بالحياة المختلفة التى ستعيشها فى الولايات المتحدة الأمريكية.

صحب الزوج طفليه وأخت زوجته وذهبوا لاستقبال زوجته فى المطار. انتظروا كثيراً وتوترت فرحتهم عندما تعلقت عيونهم بركاب الطائرة القادمة من نيويورك ولم تقع نظراتهم عليها. ذهب الزوج ليستطلع الخبر. فوجد امرأة شقراء زرقاء العينين مقبلة عليه بابتهاج.

تسمر مكانه وسألها بذهول ماذا فعلت بنفسها؟!. هزت شعرها الناعم الأشقر وقالت إنها عالجت شعرها من الخشونة. وغيرت لونه وكذلك لون عينيها بوضع عدسات لاصقة ملونة.. وهذه آخر صيحة فى أمريكا.. «وما رأيك فى هذا التغيير»؟

قال لها هامساً إنها أصبحت امرأة مختلّة وليست مختلفة كما كتبت له.

قالت لها أختها بعد أن قبلتها.. إن كمية الظلال الزرقاء التى تضعها على جفنيها جعلت لون عينيها أزرق!. والشعر الأصفر غريباً عليها.. وسلم عليها طفلها ببرود بفعل الدهشة..

أما طفلتها ذات الأربع سنوات.. فقد بكت عندما حملتها لتقبلها وقالت:

«أنا عايزة ماما».

هذا النوع من الصديقات

حدثتها صديقتها فى الصباح وسألتها ماذا ستفعل فى هذا اليوم الأجازة وقبل أن تجيبها اقترحت أن تتناولا طعام الغداء فى مطعم. رحبت بالفكرة ربما التغيير يفيد نفسها المتعبة. قررت فى نفسها أن تترك صديقتها بعد ذلك وتذهب لخطيبها فى مكتب المحاسبة الخاص الذى يعمل به لتفاجئه بالزيارة جاءت صديقتها بسيارتها الجديدة مرتدية رداء وارد الخارج زاهى الألوان، تحليه بعقد وقرط من نفس لونه، مصففة شعرها بطريقة تزيد من حيويتها. هى أيضاً قد صففت شعرها بالأمس لكن لم يبد عليها أى حيوية، بردائها الذى لم تختره بعناية لسوء حالتها النفسية، إختارت ثوباً داكنا دون أن تدرى. فى إشارة مرور تشاجرت صديقتها مع رجل توقف بسيارته قريباً جداً من سيارتها، زعقت فيه وسبته، رد عليها بسباب مشابه وتدخل شرطى

المرور وبعد فض الإشتباك وسير السيارات قالت صديقتها ضاحكة أن منظر الرجل كان مضحكاً لمفاجأتها بسبابه. لم ترد عليها. فى المطعم افتعلت صديقتها مشاجرة مع الشاب الذى أحضر لهما الطلبات، لم يعجبها طبقها. التفت الموجودون ناحيتها وشعرت بحرج من صديقتها التى سألتها عن رأيها فيها. ألم تكن رائعة ؟!

قالت لها إن هذه طريقة سخيفة فى لفت الأنظار. أثناء تناولهما الطعام سألتها صديقتها عن خطيبها وقبل أن تجيبها اقترحت عليها أن يذهبا إليه فى مكان هذا العمل الإضافى فهى لم تتعرف عليه للآن. لم تسعفها الأعذار فهى لم ترد أن تعرف صديقتها هذه بخطيبها إلا بعد الزواج. لكن أمام إلحاح صديقتها وافقت أن تصحبها معها. تضايقت من نفسها لموافقتها فهى لا تحب طريقة صديقتها فى لفت الأنظار أمام الأغراب، وأيضاً لهذه المقارنة بينهما من الناحية المظهرية والنفسية.

عادة الصديقة الحقيقية عندما تقابل حبيب أو خطيب أو زوج صديقة لها فهى تلقى الضوء على صديقتها. تبرز محاسنها وتخفى مساوئها، تحاول ألا تكون متفوقة عليها فى أى شىء، لكن يوجد نوع من الصديقات لا يهمهن هذا المبدأ الإنسانى أو الأخلاقى ويجلسن فوق صديقاتهن أمام أحبائهن أو أزواجهن. وهكذا ألقت صديقتها الضوء على نفسها هى. أظهرت محاسنها وتحدثت بحيوية. ليس لديها هموم. فهى وحيدة والدين تسكن معهما فى عمارة فخمة وشقة واسعة وقد اشترى لها والدها شقة فى عمارة جديدة بالقرب منهم تؤجرها مفروشة

لأجانب حتى يأتى إبن الحلال ليتزوجها وتعيش فيها. أما هى فتعيش فى ضيق مع أهلها فى شقة ضيقة وعمارة قديمة. تشعر إنها مهددة بالضياع، ومتلفهة على الزواج من حبيبها لتعرف ماذا يعنى الإستقرار.

استطاعت صديقتها أن تجذب إهتمام خطيبها. تحدثت عن سهرتها فى الليلة السابقة فى حفل لمطرب أجنبى تذاكرها غالية. تحدثت عن سفرياتها فى صيف كل عام إلى شواطىء العالم الجميلة. تحدثت عن شقتها الجميلة التى تؤجرها مؤقتاً. حكت حكايات مسلية وبعضها غير لائق!

كأنها عن قصد أو بدون قصد تقول للرجل إنها أحسن وأفضل وظروفها أحسن وأفضل وأنوثتها وحيويتها أحسن وأفضل من خطيبته هذه، لقد كانت مثل صديقتها فى أول معرفتها بخطيبها. لم تكن لديها هذه الهموم المادية التى لابد أن تتخطاها لتجد الإستقرار فى حياتها. وكانت تحكى له حكايت طريفة وربما كان يحبها على تلك الصورة. فلماذا لم يعد يقول لها إنه يحبها ولماذا ليس متلهفا على إتمام الزواج؟!..

إستلقت صديقتها على كنبة أمام مكتب خطيبها لتريح ساقيها، كادت الدموع أن تنهمر من عينيها وهى تلاحظ نظرات خطيبها إلى جسد صديقتها. قالت فى نفسها إذا كان يفضلها فليتفضلها، لكنها لن تسعده. فهى مثل ملابسها زاهية من الخارج وقاتمة من الداخل فلماذا خطبها ثلاثة رجال وهربوا بالرغم من أن لديها كل ما يغرى الرجال الآن؟!

تداعت الذكريات من مخيلتها منذ كانت صديقتها زميلة لها فى المدرسة والكلية الجامعية. كانت تأخذ منها أى شيء يعجبها فى حقيبتها. أحياناً كانت تعطيها ما تتمسك به وأحياناً كانت تمنعها، فكانت صديقتها تسرق منها ما أرادته، ثم تضحك بعد يوم أو اثنين وتخبرها إنها قد أخذت ذلك الشيء، فليس غريباً عليها الآن أن تسرق منها خطيبها لأنه يعجبها. شعرت بالغيرة والغم. قامت صديقتها معلنة لها ضرورة العودة إلى منزلها لتستعد لسهرة مسائية مع أصدقاء، فاعتذرت لها عن مصاحبتها وقالت إنها ستبقى مع خطيبها. انتظرت فى صمت متوترة حديث خطيبها عن صديقتها.

سألها منذ متى وهى صديقتها.. قالت له منذ أيام الدراسة الثانوية هز رأسه وقال إنه لا يعجبه هذا النوع من الصديقات، إبتسمت وتعجبت من نفسها فهى بالرغم من حبها له منذ سنتين وخطوبتها منذ عام، إلا أنها لا تعرفه بما فيه الكفاية.

الأرملة تفكر..

كانت فى السادسة عشرة من عمرها عندما اكتملت أنوثتها ووضحت معالم جمالها وتهافت عليها العرسان. سألها والدها من تختار؟ قالت أغناهم وأعقلهم، واختار لها والدها شابا يكبرها بعشرين عاما تأخر فى الزواج بالنسبة لذلك الوقت حتى يكون نفسه وثروته فى بلده.. لم تكن لديه شهادة دراسية عالية لكن كان لديه شهادة فى عالم التجارة والحياة. هى أيضاً لم ترغب فى تكملة تعليمها كانت فرحة الشاب غامرة إنه وقع عليه الاختيار حتى إنه ركع على ركبتيه أمامها ووالديها وأقسم أن يجعلها «ست الستات»وإذا حدث واشتكت منه يوما على والدها أن يقتله بالرصاص.

وفى الشاب بقسمه ووعده ثلاثون عاما وهى تعيش فى هناء. أنجبت ثلاث بنات جميلات تزوجن فى سن مبكرة مثل أمهن أحسن زيجات.

ثلاثون عـامـاً لم تسمـع من زوجـهـا كلمـة نقـد أو عـتـاب، كلمـاته حب ونظراته ولمساته حنان وهيام. لم تعرف الشجار ولا الخصام. لم يدلل رجل زوجته كما دللها. لم تر ولم تسمع عن امرأة دللها زوجها.. لا بين شقيقاتها ولا قريباتها ولا فى القطر المصرى كله. لم يفسد جمالها القلق أو الحزن حتى عندما توفى والدها كان زوجها يأخذها فى رحلات إلى أوروبا لتنسى حـزنها بـجمـال تلك البلاد، لم يفسد جـمـالهـا الأعـمـال المنزلية. والإنجـاب منذ تزوجت وفى شقتـهـا الكبيرة المطلة على النيل من يخدموها ويقومون بكل الأعمال المنزلية. كانت تنام إلى منتصف اليوم لتستعد فى بقيته إلى السهر مع زوجها خارج البيت أو فى البيت يقيمون الحفلات.

لم يفسد جمالها العبوس فابتسامتها الراضية المطمئنة كانت تضىء وجهها لم تحمل هم تربية البنات أو التفكير فى دراستهن أو كسائهن ولا حتى تجهيزهن للزواج. وعندما تمرض يترك زوجها أعماله ويحضر لها أحسن الأطباء ويبقى تحت قدميها إلى أن يتم الشفاء. ثلاثون عاما فى هناء. هكذا يأتى أحياناً الحظ الجيد لبعض الناس، فلا يعرفون أن فى الحـيـاة ناس تعـسـاء، ولايفكرون أن التعـاسـة يمكن أن تدق بـابهم يومـاً فيهتز إهتزازا عنيفاً كما لو أنهم وحدهم داهمهم زلزال وهذا ما حدث لها. فى السادسة والأربعين وهى فى قمة نضوج الأنثى وجمالها الذى لم تفسده مفسدات الجمال مات زوجها إنهارت ومرضت من شدة تأثرها بالزلزال عندما فـوجئت بمنظرها فى المرآة قررت المقاومـة والشـفاء. كانت تعرف الكثير عن أعمال زوجها من أحاديثها والتى كانت تصغى

إليها باهتمام، قررت أن تستمر أعمال زوجها ويبقى اسمه فى السوق، قررت أن تدير هذه الأعمال.

الرجال الذين كانوا يحسدون زوجها على أعماله وزوجته تقربوا إليها بالمساعدات الفعلية. والنصائح التجارية. تقربوا إليها يعرضون عليها الزواج، ووجدت نفسها كما كانت فى السادسة عشرة من عمرها يتهافت عليها العرسان لكنهم الآن مختلفون، منهم المطلق والأرمل والمتزوج المستعد أن يترك زوجته، نصحتها شقيقاتها أن تختار وتذكرت ما قالته لأبيها منذ ثلاثين عاماً أن يختار لها الأغنى والأعقل، لكن من منهم يستطيع وهو فى هذا العمر الأعرج أن يهنيها ويدللها كما فعل زوجها! لا . لن تستطيع الزواج سألتها شقيقاتها هل كانت تحب زوجها لهذه الدرجة حتى تعيش بقية حياتها وحيدة؟ لأول مرة فى حياتها تواجه بهذا السؤال. زوجها لم يسألها إذا كانت تحبه ولم تسأل نفسها هذا السؤال لم تشعر نحوه بهذا الحب الذى تشاهده فى الأفلام كان يحبها وترد له هذا الحب بالامتنان أمام إلحاح شقيقاتها قررت أن تختبر بعض الرجال. وجدت أن ما يكرهون فى المرأة كان يحبذه زوجها وقررت ألا تختار، لم تواجههم بالرفض تماما فهى تحتاج إلى مساندتهم فى الأعمال، واجهها أحدهم بصراحة ماذا عن حاجة جسدها؟! وحدها احتضنت جسدها لقد كانوا يشتهونها وهى فى صحبة زوجها لم تلتفت إلى نظراتهم فزاد تقديرهم لها.. شعرت إنها إذا فرطت فى هذا الجسد سيزول التقدير والاحترام قررت أن تبقى أمامه الشىء المحال.. وهذا الشىء الذى يحتاجه الجسد هو مجرد شعور بالراحة..

بدأت تذهب إلى ناد خاص لعمل تدليك لجسدها وتمرينات رياضية بعدها تشعر براحة وانتصار! تدلل نفسها بنقودها، تذهب لزيارات شقيقاتها وبناتها وتدعوهن مع أزواجهن خارج بيتها أو داخله وتدعو أيضاً بعض رجال الأعمال وزوجاتهم أو بدونهن وبقيت كما كانت فى صحبة زوجها زهرة الحفل المحال قطفها.

وفى الليل عندما تهاجمها هواجس الوحدة تطلب المطلق أو الأرمل وتظل الأحاديث التليفونية بالساعات اعتقد الناس إنها كانت تحب زوجها حباً عظيماً حتى أنها ترفض الزواج واعتقد الأرمل والمطلق إنها لابد ستزهق من وحدتها وسيدفعها توتر جسدها إلى الزواج. ولم يعرف أحد حقيقة ما فى نفس الأرملة الجميلة..

بنت الأسطى عوض

قرر مدير شئون العاملين بالشركة الكبيرة أن يعيشها مرة ثانية. حياة شبابه الأول. وقررت الموظفة الجديدة فى إدارته أن تعيشها لأول مرة.

حياة مريحة ثرية. هو رجل جاد. طول عمره يحب الجدية. لقد كان والده عضوا فى حزب سياسى كبير قبل ثورة يوليه. منذ صغره وهو يختلط بالرجال المهمين فى الدولة.

درس فى كلية الحقوق مع أبنائهم ، وتزوج أبنة أحدهم . أنجب ثلاثة أولاد هم الآن رجال فى أعمال محترمة وتزوجوا زيجات فاخرة. لم يعرف الضيق المالى فقد ورث عن والده الأرض كما ورث الاحترام والجدية.. وهى ، الموظفة الجديدة فى إدارة شئون العاملين إبنة الأسطى عوض سائق سيارة رئيس مجلس إدارة الشركة. منذ ثلاثين

عاماً وهو يعمل فى الشركة. تدرج فى عمله على سياراتها إلى أن وصل إلى سيارة رئيس مجلس إدارتها. وكان قبل ذلك سائقاً لسيارات الناس الأكابر فى الزمن القديم.

تعلم أدب الحديث وأصول معاملة الذين يخدمهم ولديه حكايات ونوادر لا تنتهى. عرف بالأخلاق الطيبة لذلك إختاره رئيس مجلس الإدارة ليكون سائقه لسيارةا لشركة وسيارته الخاصة لزوجته وبناته. وقد وافق منذ شهور على تعيين إبنة سائقه ذات التعليم المتوسط فى إدارة شئون العاملين.

لم يكن هذا أول عمل لها بعد تخرجها عملت فى شركة صغيرة ومصنع ولم توفق. مكثت فى البيت لتتزوج لكنها لم تقبل من يشبع طموحها. لم ترد أن تتزوج مثل أخواتها الثلاث زيجات غير مريحة. فهى الوحيدة التى تعلمت فيهن. عندما قبلوها فى الشركة لأجل خاطر أبيها كانت تقترب من الثلاثين. فكرت إنها لابد إنها ستقابل أحد الموظفين الشبان الذين لم يتزوجوا بعد، فلا يمكن أن يكونوا كلهم متزوجين فى هذه الشركة الكبيرة. لكن هؤلاء الشبان كانوا يغازلونها فقط فهم يعرفون إنها إبنة الأسطى عوض وطموحهم بعيد عنها. جمال وجهها هادئ لا يلفت النظر. لكن جسدها فى طوله وإستدارة أجزاء منها يلفت النظر.

عندما عملت فى إدارة شئون العاملين وجدت أن مديرها يتحدث بجدية والويل لمن يخطىء فى عمله. عندما أخطأت يوما بكت وكاد أن

يغمى عليها عندما طلبها فى مكتبه. رآها على هذه الحالة السيئة فلانت ملامحه ولم تصدق أذنيها عندما حدثها بحنان وقال إنها موظفة ممتازة. خفق قلبها بشدة كأنها تحبه وتركت حجرته مسرعة.

الحقيقة إنها قد لفتت نظره منذ أول يوم إستلمت عملها. تبعها بنظراته وهمس لنفسه «خصرها صاروخ يعلوه مدفعان» لم يدر إذا كان قد سمع هذا الوصف أو قرأه أو ألفه هو. لم يدر أحد كيف تطورت الأمور. هى نفسها لم تدر فقد كان أملها أن يحبها ويتزوجها أحد الموظفين الصغار وليس مديراً كبيراً فى السن والمقام. كان مديرها يناديها فى حجرته ويحدثها بكلمات لم تسمعها من شباب اليوم. يود أن يلمس الصاروخ والمدفعين لكن لتربيته لا يستطيع أن يفعل. يود أن يطلب منها موعداً لكن لمركزه لا يستطيع أن يطلب.

تذكر فترة شبابه الأول عندما أحب فتاة مثلها ورفض والده زواجه منها لأنها ليست من عائلات الأكابر ورضخ لأمره. تذكر إنه مازال ممشوق القوام لم يترهل لحرصه على الألعاب الرياضية. والشيب فى رأسه زاده وقاراً وجمالاً. تذكر إنه سيخرج إلى المعاش بعد عام وصحته جيدة وقرر أن يعيشها مرة ثانية حياة شبابه الأول.

تهامس الموظفون فى إدارة شئون العاملين ووصلت همساتهم إلى بقية الإدارات حتى وصلت إلى رئيس مجلس الإدارة. فى سيارته سأل والدها: «هل حقيقة الإشاعة التى فى الدور الرابع»؟

فهم السائق ماذا يقصد وقال كأنه يبكى إنه ضرب إبنته حتى كاد أن يقتلها. فالعين لا تعلو على الحاجب. لكن إرادة الله كانت فوق إرادته.

هز رئيس مجلس الإدارة رأسه وقال لسائقه ألا يخاف على ابنته فالرجل أخلاقه عالية. مثل أحلام الليل التى تتحقق فى الصباح. أعد مدير شئون العاملين شقة فاخرة لزوجته الجديدة وقدم نيابة عنها استقالتها من الشركة. ولأن كل ما يفعله موضع احترام وقبول من أسرته فلم تعترض زوجته. ولم يهتم أبناؤه مادام حقهم محفوظا فى الميراث. ونسيت بنت الأسطى عوض خلفية حياتها وتعلمت بسرعة من زوجها أدب وأصول الحديث والمعاملة فى وضعها الجديد فى المجتمع. ذات ليلة صحبها معه فى حفلة وكانت بقوامها الذى ظهرت محاسنه بالملابس الفاخرة وتصفيف شعرها وطريقة حديثها مثل ابنة الأكابر الذين ينتمى إليهم زوجها وجاء رئيس مجلس إدارة الشركة وزوجته.

وسط جمع من المدعوين قدم مدير شئون العاملين زوجته لزوجة رئيس مجلس الإدارة فقالت بدهشة وصوت مرتفع «ماشاء الله. بنت الأسطى عوض؟!» وجم الجميع وارتبك مدير شئون العاملين لأول مرة منذ تزوج حبيبته.

الدكتور والقردة «نوجا»

عاد الدكتور «ش» بعد غيبة سنوات فى أفريقيا، عاد إلى الشقة التى ورثها عن والديه فى عمارة راسخة ضمن ثلاث عمارات بينهم فناء وسط حديقة. عاد إلى جيرانه الكبار فى السن والذين فى مثل عمره وورثوا الشقق الفاخرة عن أبائهم. عاد ومعه قردة من نوع الشمبانزى الراقى الذى لا يتضخم حجمه، اشتراها من البلدة التى كان يعمل بها. علمها الثقافة الإنسانية ويحدثها بلغته العربية فتفهم ماذا يريد من نغمات صوته وسماها «نوجا» رحب به الجيران كما رحبوا بالقردة اللطيفة التى كانت تستقبلهم بترحاب عندما يحضرون يهنئونه بالعودة وتقدم لهم الشربات والحلوى. مضيفة طريفة وهى أنيسة وجليسة الدكتور «ش» فهى تعلمت كيف تأكل معه على مائدة الطعام باستخدام الأدوات الحضارية. وتجلس بجواره تستمع إلى الموسيقى الهادئة

والأغانى العاطفية. وتقلده عندما يقرأ فى كتاب بأن تمسك كتاباً وتقلب صفحاته. وتسليه بالرقص الحديث عندما تسمع نغمة تعجبها ، وأصبحت مشهورة بين الجيران فى العمارات الثلاث. تلعب مع الأطفال فى حديقة الفناء وتجلس مع الفتيات أمام التليفزيون فى غياب صاحبها.

وقد زاد حب الدكتور لها وتقدير الجيران لشهامتها عندما أنقذته يوماً من أزمة قلبية. كان الوقت مساء عندما كان جالساً يقرأ فى كتاب عندما مالت رأسه على صدره ظنت «نوجا» أنه نام فهزته لتوقظه، كثيراً مايحدث له هذا فتوقظه ليذهب إلى فراشه وتذهب إلى حجرتها الصغيرة التى خصصها لها. لم يستجب لها وسمعته يتأوه، صرخت وجرت إلى أحد الجيران شدته من يده وهى تصرخ على غير عادتها وكأنها تريد أن تنطق.

ذهب معها الجار ولما وجد الدكتور «ش» على هذه الحالة استدعى له طبيباً. وقد قال الطبيب فيما بعد إنهم لحقوه فى اللحظات الأولى من الأزمة وكان الفضل للقردة. بعد الشفاء نصحه الطبيب أن يتزوج. لم يدر أحد لماذا اختار الدكتور «ش» هذه المرأة ليتزوجها. وبنات كثيرات كن مستعدات للزواج منه بالرغم من وصوله إلى سن الخمسين.

كانت «نوجا» تجلس بعيداً تراقب هذه المرأة الطويلة العريضة السمينة البيضاء، إنها لم تشاهد امرأة بهذه الضخامة مثل الفيل فى مسقط رأسها. كانت أحياناً تشاهد نساء فى الشقة فى صحبة صاحبها. رشيقات يتحدثن معه بلغة تألفها، لكن هذه المرأة تتحدث بلغة لم تألفها. كن

نساء لطيفات يدللنها ويحضرن لها الحلوى فى زياراتهن. أما هذه التى جاءت لتبقى فقد شعرت «نوجا» أن المرأة تكرهها يكفى أنها رفضت جلوسها معهما على مائدة الطعام. أصبحت تتناول طعامها مع الطباخ. كانت الزوجة تلاعبها فى وجود الزوج لأنها تعرف حبه لها لكن «نوجا» لم تكن تتجاوب معها لأنها عندما يخرج كانت تصرخ فيها بلغة لاتفهمها وتحبسها فى حجرتها وعندما يعود الزوج تشتكى منها لكنه لايعاقبها والحقيقة كانت القردة تخفى بعض الأشياء الخاصة بالزوجة وعندما تسألها عن أشيائها تخرج لها لسانها. وكانت «نوجا» تتعجب كما يتعجب الجيران من هذا الرجل النحيف القصير الذى تزوج امرأة ضخمة..

وقد شاهدت «نوجا» يوما ماكان يتساءل عنه الجيران همساً فيما بينهم. كانت محبوسة فى شرفة حجرة المعيشة وأرادت أن تذهب إلى دورة المياه الخاصة بها فقفزت إلى شرفة حجرة نوم صاحبها وكان «الشيش» مفتوحاً. وقد شاهدت منظراً فريداً فصفقت بيديها وهى تبدى دهشتها بصوتها. وقد سمعت «نوجا» خلال الزجاج المغلق صراخ المرأة فى زوجها وهى تشير إلى القردة وتقوم من الفراش وكانت أول مرة تشاهد «نوجا» هذه الكمية الهائلة من اللحم الأبيض بدون ملابس...

عندما يخرج الزوج تجلس الزوجة تقرأ وتضع شريطاً من الموسيقى الكلاسيكية فى المسجل لتسمعه بأعلى نغمة، وقد ضاق الجيران فى العمارات الثلاث من هذه المرأة الشرسة التى لاتلقى إليهم أى تحية

وتمنع زوجها من التواصل معهم وتتشاجر مع أطفالهم وتسمع الموسيقى بطريقة تزعجهم. وفى عصر ذلك اليوم بعد أن خرج الزوج جلست الزوجة فى ركنها المفضل ووضعت فى المسجل السيمفونية التاسعة لبيتهوفن وبالصوت المرتفع جداً جلست «نوجا» بعيداً فى الشرفة وعندما بدأ «الكورال» فى الغناء قـفـزت إلى الداخل وصـرخت فى المرأة وهى تشير إلى مصدر الصوت وتضع يديها على أذنيها.

أشارت لها المرأة بازدراء أن تبتعد فقفزت حيث المسجل وقامت المرأة مهتاجة وقد خلعت شبشبها وضربتها به. فزعت «نوجا» من هذا التصرف الهمجى وجرت إلى أعلى المكتبة والمرأة تلاحقها بالشبشب. قذفتها ببعض الكتب ثم قفزت إلى حيث النجفة الثمينة العتيقة وتعلقت بها وأخذت تتأرجح. قذفتها المرأة بالشبشب ولأن النجفة لم يتغير رباطها منذ سنين بعيدة لم تتحمل فوقعت بالقردة قريباً من المرأة. كان صوت الغناء مرتفعاً فلم يتبين الجيران صراخ الزوجة من صريخ الغناء وجرت «نوجا» خارجة من الشقة. لجأت إلى بنت من بنات الجيران اللطيفات التى سألتها ماذا بها؟ وضعت القردة أصبعها فوق فمها بمعنى ألا تقول شيئاً. كانت الساعة العاشرة مساء عندما سمع الجيران جلبة فى الفناء بين العمارات الثلاث، وعندما علموا أن زوجة الدكتور «ش» تنقل حقائبها وأشياءها فى سيارة نقل صغيرة لم يهتم أحد وأغلقوا نوافذهم وكانت «نوجا» جالسة بجوار بنت الجيران اللطيفة تتفرج على التليفزيون وتقزقز اللب معها.

زواج أولاد الأصول

كان الطبيب الكبير المنتمى لعائلة عريقة يراقب أولاد البواب فى العمارة التى تقع بها عيادته، ثلاثة أولاد يستذكرون دروسهم فى مدخل العمارة، كان الطبيب فرحاً بهم، وقد حاول يوماً إقناع البواب بتعليم بناته الثلاث أيضاً لكن لم يستطع، فالبنات يخدمن فى العمارة ويساعدنه فى مصاريف تعليم الأولاد والبنت مصيرها الزواج من شاب يتكفل بها أما الولد فعليه أن يتكفل بفتاة وهو يريد لأولاده مستقبلا فى الوظائف الحكومية لايريدهم عمالاً أو فلاحين مثل أقاربهم فى الصعيد قال الطبيب فى نفسه لعل الأولاد يفلحون ويستطيعون الانتقال بأسرتهم إلى حياة أفضل مرت الأعوام وتخرج الأولاد الثلاثة من الجامعة. اثنان يعملان فى التدريس والثالث مهندس، ولما اختفوا من العمارة علم الطبيب أنهم سافروا للعمل فى بلد عربى. بدأت حجرة البواب تكتظ بالآلات. الراديو والمسجل. والتليفزيون الثلاجة والغسالة.

ولما أصبحت هذه الآلات ثلاثة من كل نوع سأل البواب الطبيب أن يخزن هذه الأشياء فى جزء من مطبخ عيادته الكبير مادام لايستخدم فى الطهو. وافق الطبيب على أن يكون هذا لفترة محددة. ذات يوم وجد الطبيب سيارة كبيرة جديدة تقف أمام باب العمارة وأخبره البواب أن ابنه المهندس أرسلها. استاء الطبيب وقال رأيه للبواب إن ابنه كان الأجدر به أن يؤجر شقة أو يشتريها ليسكنوا فيها بدل هذه الحجرة الضيقة فى بئر السلم، واعتقد البواب أن الطبيب يغير منهم.. ولدهشة الطبيب فيما بعد عندما وجد البواب يستخدم السيارة التى وضعها فى جراج السيارات فى العمارة لتبيت فيها بناته الثلاث!.. فلم يكن أحد يستخدمها لأن الأولاد الثلاثة لايحضرون فى الأجازات، يعملون صيفاً وشتاءً فى البلد العربى.

وقد تزوجت البنات الثلاث بسمعة إخوتهم الذين يعملون فى الخارج. واحدة تزوجت من مدرس ثانوى زميل لأخويها المدرسين شاهدها يوماً وهو يحضر لهم بعض الأشياء التى يرسلها الإخوة وأعجبه جمالها، ووعده أخواها زميلاه بتجهيزها! وواحدة تزوجت من ميكانيكى سيارات يملك ورشة صغيرة وقد شاهدها ذات صباح وهى تنظف السيارة الفاخرة القابعة فى الجراج أثناء قيامه بتصليح إحدى السيارات وعلم منها أنها سيارة أخوها. أما الثالثة فقد تزوجت من صاحب الجراج الذى يؤجره من صاحب العمارة، لايهم أنه يكبرها كثيراً ومتزوج ولديه أسرة.

إن دهشة الطبيب الكبير تزداد من أحوال المجتمع الذى أصبح لايهمه سوى المادة. لم تعد العائلات تهتم بأصل وبيئة المتقدم لبناتها، فقد تقدم الشبان الثلاثة أولاد البواب لبنات من عائلات متوسطة وفوق المتوسطة متعلمين ومن بيئة غير بيئتهم وقوبلوا بترحاب!

تقدموا بسياراتهم وآلاتهم الكهربائية وشهاداتهم الجامعية، وحتى يكملوا مشوار جمع المال أخذوا زوجاتهم وسافروا حيث يعملون، وقد سأل الطبيب يوما البواب كيف قدمه أولاده لعائلات زوجاتهم فقال له: إنهم قدموه على أنه من أصحاب الأملاك فى الصعيد ولايحضر إلى العاصمة إلا نادراً. وأمام دهشة الطبيب قال البواب إن لديه «قيراطين» من الأرض يتولى أمرهما أخوه هناك. أليست هذه أملاك؟!

لقد زاد إصرار الطبيب على تمسكه بمبدأ ألا يزوج ابنتيه إلا من بيئة مثل بيئتهم وعائلة قريبة فى الأصول من عائلتهم، لن يهتم بالمادة مثل معظم الناس الآن.. وتحسر على أيام كانت العائلات تناسب العائلات وتسأل عن أصل وفصل المتقدمين لبناتها وآخر أسئلتهم كم يكسب. أصبحت العائلات الآن تناسب النقود والآلات. إنه ليس ضد تعليم أولاد البوابين والغسالات ليتعلموا كما يشاءون ويكسبوا مايستطيعون لكن المهم أن يرتقوا بأسرهم فيرتقى المجتمع، لكن معظمهم يظلون على عاداتهم القديمة وأسلوب حياتهم ولأنهم عاشوا فى ضنك من العيش فأهم شئ أن يجمعوا المال ويعيشوا «أى كلام».. لقد عادت واحدة من زوجات أولاد البواب إلى أهلها وهى تحمل طفلا ومصرة على الطلاق لأنها لم تتحمل أسلوب حياته.

عندما أخبرت البنت الكبرى للطبيب والدها أن هناك طبيباً شاباً يريد أن يتقدم لها لم يتقبل الخبر بارتياح، فهو لن يرتاح إلا بعد أن يعرف أصله وبيئته وكانت مقابلة عاصفة بين الطبيب الشاب والطبيب الكبير لقد قدم الشاب نفسه بسيارة فاخرة ودخل يصل إلى الألف فى الشهر وإيصال حجز شقة تمليك.. ولما علم الطبيب الكبير أن الشاب لايعمل بالطب بل تسويق الأودية زاد عدم ارتياحه وكانت مناقشة حادة بينهما.

فالطبيب الكبير يتعجب من عدم عمل الشاب بمهنته الطبية، والشاب مقتنع بالعمل الذى يكسب منه كثيراً، وقد علم الطبيب الكبير من السؤال عن الشاب أنه من أسرة لاتناسب أسرته. بهدوء وبأمثلة عن أولاد البواب تحدث الطبيب مع ابنته عن عدم التكافؤ الاجتماعى بينها وبين الطبيب الشاب. وبهدوء وإصرار تحدثت البنت عن إعجابها بالشاب وأنها ستتزوجه هو وليس أسرته، فهو يحمل شهادة علمية وبما يملكه ستعيش عيشة فى مستواهم وإذا لم يعجبها أسلوب حياته فهى ستعلمه وتهذبه.

حزن الطبيب الكبير على تفكير ابنته الخيالى فالبنت تتزوج أسرة وليس فرداً منها. لقد كان يلوم العائلات التى تقبل شبانا لبناتها دون مستواها الاجتماعى لكنه لم يتخيل أن هذا الخبل وصل لبنات العائلات صاحبة الأصول العريقة.!

كامل الأوصاف

كان الشاب أصغر إخوته، ومنذ تفتحت أفكاره للحياة وجد أن سبب عدم توافق إخوته فى الزواج أنهم تزوجوا من فتيات مختلفات عنهم، اثنان منهما تزوجا من فتاتين لم تكملا تعليمهما بينما هما خريجا الجامعة. والثالث بالرغم من أنه تزوج من زميلته الجامعية إلا أنها مختلفة عنه فى التفكير والهوايات، وقرر الشاب أن يتزوج من فتاة تشبهه تماما حتى يتوافق معها يريدها تعمل فى مثل حقل عمله تقرأ كتب الأدب وتفهم فى تنسيق الزهور وتحب الزرع الأخضر. يريدها تحب الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية خصوصاً موسيقى «باخ» يريدها رياضية تلعب رياضة التنس التى يزاولها يريدها نباتية .. تكره منظر اللحوم مثله.. منذ كان فى عمر الثامنة عشرة إلى أن وصل إلى الأربعين وهو يبحث عن ضالته ولم يجد كاملة الأوصاف التى حددها.

أثناء دراسته الجامعية كان أول حب له لفتاة تعرف عليها فى ملاعب التنس فى استاد الجامعة بطلة من بطلات ذلك الوقت كانت تدرس الأدب الإنجليزى وبالتالى تقرأ الروايات وكانت تحب الموسيقى الكلاسيكية، ولا تميل كثيراً لأكل اللحوم،لكنها كانت تدرس فى كلية غير كليته وحدثت وقتها مسابقات رياضية بين كليات الجامعة فدخلا فى منافسة لعبة التنس وقد غلبته ونالت كليتها الجائزة فكرهها لأنها غاظته يومها بفوزها والتهمت «ساندوتش» شاورمة أخرجها من قلبه فهى أيضاً تدرس دراسة مختلفة عنه فلن يجد التوافق معها.

وتعرف على فتاة تدرس نفس دراسته وتحب القراءة وتسكن مع أسرتها فى بيت حوله حديقة، كانت تحب الزرع الأخضر لكنها لم تنطبق عليها مواصفاته الأخرى خصوصاً عدم رغبتها فى العمل، حاول أن يشرح لها أهمية العمل للزوجة لتشارك الزوج أفكاره ويتوافقان معاً، لم يفلح وأخرجها من أفكاره، بواسطة أخيه الأكبر عمل فى شركة كبيرة واعتقد أن فرصة لقائه بفتاة أوصافه ستكون أكبر، ولأن الفتاة العاملة أكثر ثقة بنفسها وأكثر حرية من الطالبة فقد استطاع أن يلتقى ببعض زميلاته الفتيات خارج أسوار العمل، وإذا كان لم يجد الفتاة كاملة الأوصاف التى حددها فهو أيضاً شعر بالضجر من صحبتهن فأحاديث العمل لا تنتهى فى مكان العمل بل تستمر فى المقهى أو المطعم.

اعتقد زملاؤه وزميلاته فى العمل أنه لا يستطيع الزواج بسبب ظروف مادية، لكنه لم يخبرهم بأن لديه إرثا من والده فى أحد البنوك

من هذه الودائع التى تبيض وتفقس نقوداً تكفيه ليصنع بيتا ويتزوج وكان من الذكاء أيضاً ألا يخبر أحدا عن أوصاف فتاة أفكاره لأنه يعلم إن الفتيات خبيثات فإذا عرفت واحدة ماذا يتمناه تستطيع بخبثها أن تتقمص كل الأوصاف التى يريدها إلى أن تحصل عليه بالزواج ثم تعود إلى طبيعتها المختلفة عنه لقد كسر قلب ثلاث فتيات أحببنه حقيقة خلال سنوات عمره، وقد سألته واحدة منهن باكية ماذا يريد فى الفتاة التى يرغبها ولم يجاوب!.. لقد تغير المجتمع والزمن ومازالت مواصفاته التى يريدها فى الفتاة كما هى.

لم تعد الموسيقى الكلاسيكية هواية الفتيات فهى موسيقى قديمة «بايخه»، ويفضلن رياضة الرقص الحديث عن رياضة التنس، وأصبح التنافس بين هواية أغانى «عدوية»، و «تراڤولتا»، ودراما التليفزيون طغت على دراما الكتب الأدبية، والبنايات هدمت الزرع الأخضر وطغت ألوان الجدران على ألوان الزهور، وأكلى اللحوم التهموا النباتيين، وإذا كان لم يجد فتاته فى زمن كانت تلك الأوصاف التى يريدها موجودة فكيف يجدها فى هذا الزمن؟! وأصابه الاكتئاب.

عندما اجتمع إخوته وزوجاتهم معه فى عيد ميلاده الأربعين نصحوه أن ينسى مواصفات فتاة أحلامه فمتى سيتزوج؟ وكانت أول مرة تسمع فيها الزوجات هذه المواصفات، وهللت زوجة أحدهم إنها تعرف قريبة لها تنطبق عليها هذه الأوصاف وعمرها يقترب من عمره ولم تتزوج أيضاً وقامت مسرعة تطلب قريبتها لتعلن لها هذا الخبر السار.

فى بيت أخيه كان لقاؤه الأول معها ولأول مرة فى حياته يشعر بسعادة حقيقية بلقاء امرأة. إنه أخيراً وجدها توالت لقاءاتهما ليتعارفا أكثر وقال لها إنه خلال يأسه من العثور على فتاة أوصافه كان مؤمنا أن القدر يعد له مفاجأة.. لكن المفاجأة لم تأت على هواه فقد أخبرت حبيبته قريبتها أن الرجل الذى قدمته لها حقيقة يهوى الأشياء النادرة فى وقتنا هذا والتى تهواها، لكن ليست به الأوصاف التى تمنتها فى الرجل الذى تريد أن تتزوجه!

فى البنطلون

هى البنت الوحيدة لثلاثة إخوة، تعودت منذ صغرها أن ترتدى ملابسهم، كان أولاً لضيق ذات اليد للوالدين، فكانت ترتدى الشورت الذى ضاق على الإخوة، والبنطلون ببعض التعديلات، ثم أصبحت عادة، لم تغير الزى الرجالى فى مرا ـل تعليمها إلى أن عملت، كل الأصوات النسائية نصحتها بتغيير زيها ليعجب بها شاب ويتزوجها، فالشباب يفضلون الأنثى عن المتشبهة بالرجال ليس فقط فى زيهم بل فى معاملتها مع الشباب من زملائها، فهى تعاملهم كأنها واحد منهم، لم تسمع نصائحهن فهى ترتاح نفسيا وبدنيا فى البنطلون والبدلة حتى ذ ى السهرات فهى ترتدى بدلة سواريه، وكما يقول المثل الشعبى «كل فولة ولها كيال»، أعجب بها زميل فى العمل وأعجبت به، أحياناً المشاعر تتحدث أقوى من الكلمات تحابا وتزوجا.

انهالت عليها النصائح النسائية أن تغير من ملابسها الرجالى فليس من اللائق بعد أن أصبحت زوجة أن تستمر فى ملابسها هذه، سألت زوجها إذا كان لا يعجبه ملابسها فهى على استعداد أن تضحى براحتها النفسية والبدنية وترتدى الملابس النسائية، وفوجئت بإجابته، إنه أحبها فى الزى الرجالى وبطريقة تعاملها الواضحة الرجالى، فإذا غيرت من طبيعتها محتمل أن يكرهها وينفصلا.. وإنه عندما شاهدها ليلة الزفاف فى «فستان» الفرح كاد أن يهرب لأنه شعر أنه أمام واحدة لا يعرفها!! فهو يحبها فى البنطلون والبيجاما وبشعرها القصير، فلماذا تريد تغيير طبيعتها؟!

فرحت بتصريحه المفاجىء، لكنها انشغلت عدة أيام فى شهر العسل، لماذا هو مختلف عن معظم الرجال!؟.. وفى ليلة هادئة فى شرفة الفندق المطل على البحر سألته السؤال الذى شغلها صمت قليلاً لمفاجأة سؤالها ثم قال: إن الصراحة بينهما لابد أن تكون أساساً للحب ليعيش معهما، واعتذر لها عن عدم صراحته بخصوص أمه، فهى لم تمت كما أخبرها، بل هربت مع رجل وطلبت الطلاق من والده، كان طفلاً فى التاسعة وأخوه الوحيد فى الخامسة من عمره، كانت أمه صارخة الأنوثة فى شكلها وملابسها، معاملتها مع الرجال، كره والده جنس النساء، وبوعى أو بدون وعى جعل ولديه يكرهان الأنثى، وهو تأثر بوالده، بينما أخوه لم يتأثر، ربما أنه لم يع تماما شكل أمه وأنوثتها الطاغية وخيانتها لهم، نادراً ما كانت تدخل بيتهم امرأة غير جدته لوالده وعمته، كانتا مثل والده تحذران الصبيين من الإناث، لم يلتفت لجمال

أو أنوثة أية فتاة من الجيران، أو زميلات الدراسة بل كان الجمال الأنثوى يثير ذكريات طفولته وغثيانه، أحب الصبية وصادقهم، وفى فترة من حياته فى سن المراهقة شعر بميل نحو صبى أكثر رجولة من كل الصبية زملائه فى الشكل والمعاملة، وكاد أن يتورط فى علاقة شاذة معه لولا يقظة والده، فقد حدثه عن قيمة الأنثى فى الحياة وإنهن لسن كلهن مثل أمه، تحدث معه عن الحرام والحلال حتى لا يرتكب فعلاً جسيما يؤثر على حياته، وكان أخوه الأصغر على عكسه تماماً يهتم بالبنات وصحبتهن، وصحبه عدة مرات فى لقاءات معهن، لكنه لم يعجب بواحدة لدرجة الحب، فهرب منهن، وعندما أجبره أخوه على اختبار رجولته مع واحدة من بنات الليل اختار واحدة كانوا يطلقون عليها «الدكر» كره تلك الاختبارات ومصاحبة الفتيات اللاتى كن يغرينه بانوثتهن إلى أن التقى بها وأحبها لاختلافها تماما عنهن.

سألته إذا كان يقابل والدته قال إنه لم يرها منذ هربت وعرف أنها هاجرت إلى كندا، ولم يعرف إذا كانت وحدها أم مع رجل فهى لم تحدد هذا فى الخطاب الذى أرسلته له منذ عشرين عاماً، لم يرد عليها وانقطعت صلتها بهم.

احتضنته، سالت دموعه على صدرها، وقال: إن الأنوثة الحقيقية فى المشاعر الحنونة والإخلاص فى الحب، وليست فى الزى الأنثوى، وهذا ما وجده فيها.

إختفاء زوج..!

قال الزوج لزوجته «ياحْبيتى سنذهب عند امك يومين فجهزى الأولاد». لم يكن غريباً على الزوجة طلب زوجها هذا فقد تعودت أن تصحب الولدين والبنت إلى أمها وتؤنس وحدتها يومين من وقت لآخر. وهكذا حزمت الزوجة الحقيبة واصطحبهم الزوج إلى بيت حماته. استأذن منهم أن يذهب لمقابلة اصدقائه فى المقهى، ولم يكن ذهابه إلى المقهى شيئا غريبا. فقد تعود الزوج الذهاب إلى المقهى والسهر مع اصدقائه عندما تكون أسرته عند حماته. سألته الزوجة إذا كان سيبيت معهم فقال لها إنه سيبيت فى شقتهم ولم يكن هذا غريبا أيضا فقد تعود الزوج أن يستمتع بحريته فى الشقة الخالية لم تقلق الزوجة فى اليوم التالى عندما لم يحدثها الزوج ليسأل عنهم أو يذهب وقت الغذاء انشغلت فى الصباح بعملها وفى المساء مع أقارب جاءوا لزيارة أمها. ونامت مطمئنة فالسيدة العجوز التى تخدم أمها من سنين تعتنى بالأولاد ولا

تجعل أمهم تحمل همهم فى شئ. وهى على أية حال لم تحمل همهم فى أى شئ فأبوهم هو الذى يحمل همهم فى كل شئ. عندما لم يتصل بها زوجها فى اليوم الثالث من وجودها عند أمها بدأ ت تقلق واتصلت به فى بيتها فى أوقات مختلفة لم يرد، وأخبرها من قبل أن مكتب المحاسبة الذى يعمل به بعد الظهر مغلق فى اجازة. فذهبت إلى بيتها قلقة ربما يكون قد حدث له مكروه فليس من عادته ألا يتصل بها وهى عند أمها تعالت ضربات قلبها وهى تدخل إلى شقتها المظلمة خوفا أن تجده فى الفراش فاقد الحياة أضاءت الأنوار ولم تجده فى الحجرات. اعتقدت أن عملا طارئا شغله وقررت أن تمكث عند أمها عدة أيام إلى أن ينتهى زوجها من مشغولياته. فهى لا تستطيع تحمل البيت بدونه أو على الأصح لا تستطيع أن تقوم بكل الأعمال التى يقوم بها زوجها فى البيت فتحت دولاب ملابسها لتأخذ رداء وفوجئت باختفاء ملابس الزوج.

عاد الاضطراب إلى قلبها. أغلقت الأنوار والباب ونزلت مسرعة. سألت البواب عن آخر مرة شاهد فيها «البيه» فقال: إنه بعد أن وصلهم إلى بيت أمها عاد وأخذ حقيبته وسأله أن يستدعى له سيارة أجرة بعد أن وضع سيارته فى الجاراج، وقد سمعه وهو يقول للسائق «المطار» عادت الزوجة إلى بيت أمها التى سألتها ماذا حدث فوجهها «لونه مخطوف» بكت بحرقة وهى تقول «عملها الخائن وسافر».

صدمت الأم كما صدمت ابنتها من قبل. لقد ظنت الأم أن الزوج أبعد عن رأسه فكرة السفر بعد المشاجرات مع ابنتها والاعتراض على سفره. ظنت أنه لن يسافر كما وعدها .. لم ترد الزوجة أن تتصل بأحد أصدقاء الزوج المقربين لتسأل عن سفره المفاجئ. لم ترد أن تقف هذا

الموقف المهين فالذى فعله زوجها ليس سفراً لكنه هروب ! هذا الرجل الأهبل يعيش مرتاحا لا ينقصه شئ فلماذا يصر على السفر إلى بلد حار ليعمل؟! ولا تنقصه حتى النقود فله دخل محترم من أرض زراعية ورثها مع أخوته ويديرها أخوه الأكبر، ويعمل بعد الظهر فى مكتب محاسبة مع عمه ويأخذ مرتبا شهريا.

وإذا كانت عملية كبيرة يقوم بها يأخذ مكافأة. وهى بمرتبها الكبير من عملها لا تبخل على البيت أنه لا يستيقظ فى الصباح مفزوعا ليلحق بمواعيد عمل ولا ينتظر علاوة ليسد بها بندا من المصاريف كما ينتظر الموظفون الغلابة، وأحيانا لا يذهب إلى مكتب عمه ولا يخصم من مرتبه شئ. فلماذا يترك هذا النعيم؟

منذ تعرفت على زوجها وهو لا يعمل عملاً روتينياً هى التى عملها روتينى وتخرج مبكرة فى الصباح وهو قد أخذ على عاتقه العناية بالبيت وبعد ذلك الأطفال، فهو الذى يراقب الشغالة ويختار الطعام وفى أوقات اختفاء الشغالة يدبر كل شئ إلى أن تعود زوجته من عملها فتأخذ عنه بعض هذه الأعباء.

عشر سنوات والحياة تسير هكذا فكيف ستعيش الزوجة وحدها مسئولة عن كل شئ؟! منذ عدة أشهر قابل الزوج صديقا له يعمل فى بلد عربى وعرض عليه وظيفة محاسب فى عمله هناك، ولما أخبر زوجته بهذا العرض المغرى رفضته رفضا قاطعا وبأسباب منطقية وأخرى نفسية بالنسبة للأولاد وحتى بأسباب مادية فلديهما الكفاية ويؤمنان مستقبل الأولاد. واقتنع الزوج برفض زوجته وبأسبابها المنطقية والنفسية لكنه بعد عدة أيام عاد لمناقشة هذه الأسباب.

وانقلبت المناقشات إلى مشاجرات وتدخلت حماته فى الموضوع فزاد اشتعالا إلى أن وصل بالزوجة إلى طلب الطلاق إذا سافر وتركها فهى بالمنطق لا تستطيع أن تترك عملها وهى على أبواب ترقيه. ولا تريد تشريد الأولاد فى مدارس غريبة وأمها وإن كانت تحب الأولاد فهى لا تستطيع تحملهم لمدة طويلة. والعجوز التى تخدم أمها وتؤنسها ولا تستطيع خدمة الأولاد دائما . ربما تمرض فهل تستطيع هى أن تخدم أمها العجوز والأولاد هذا شئ فوق طاقة الاحتمال أبدى الزوج اقتناعا ظاهريا وصالحها، لكن موضوع السفر ظل يزن فى رأسه مثل زن ذباب فوق زجاج نافذة مغلقة يريد الانطلاق، وهكذا ارسل لصديقه بطلب العمل هناك وجاءه الرد بالموافقة فأعد أوراقه وجواز سفره وحجز تذكرة الطائرة، ولتخبط زوجته رأسها فى الجدار.

الفهرس

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٦٨١/١٩٩٩
I.S.B.N 977 - 01 - 6365 - 1